

أَسْرَارُ وَخَفَايَا عَالَمِ الْخَطَابَةِ

"خَبْرَةُ عِشْرِينَ عَاماً بَيْنَ يَدَيْكَ"

بقلم

شادي مروان الدُّرَّة

إِهْلَاءٌ

إِلَى مَقَامِ الَّذِي صَعِدَ - أَوَّلَ مَا صَعِدَ - عَلَى الصَّافَا فَأَعْلَنَهَا
مَدْوِيَّةً

﴿إِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾^١

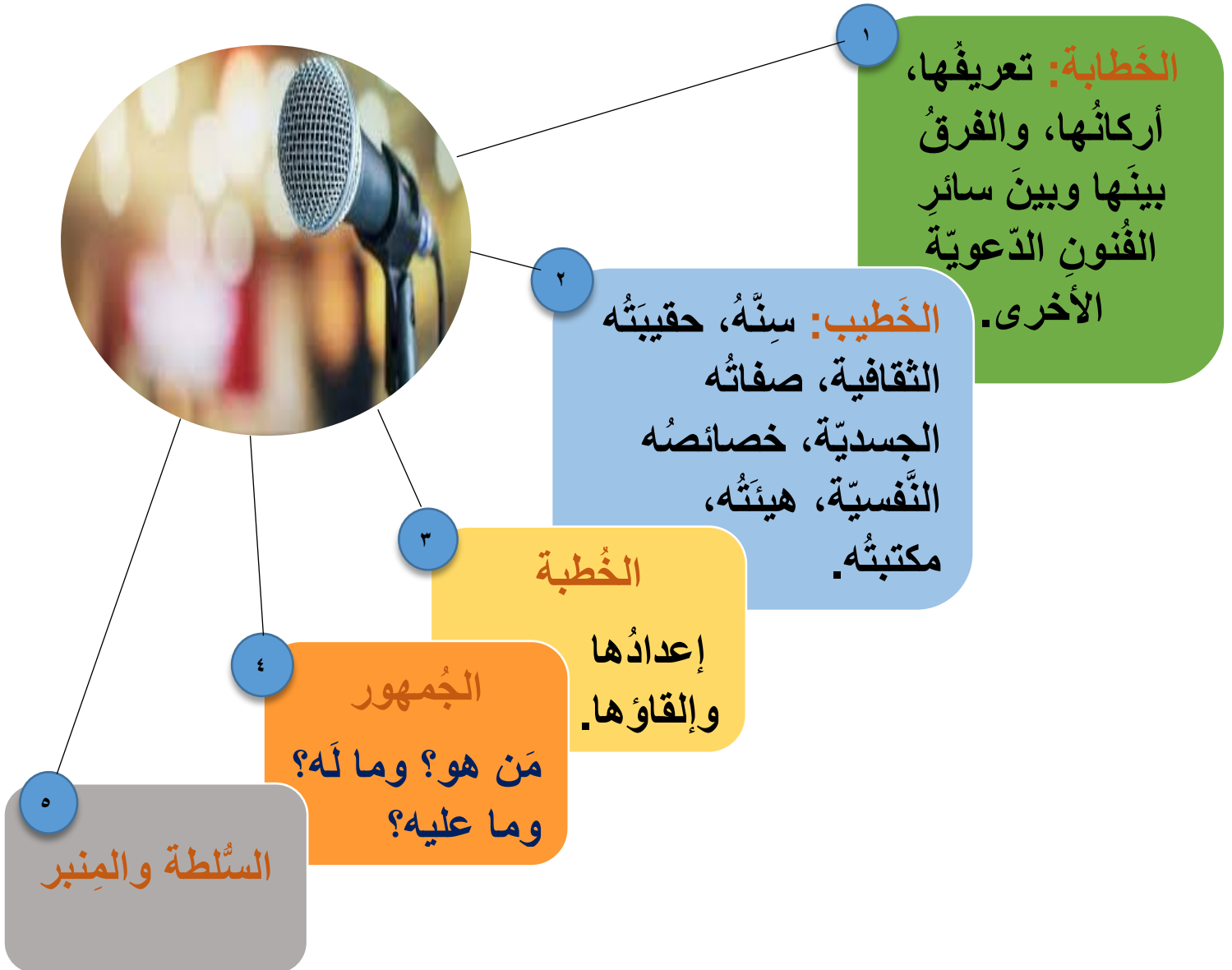
سَيِّدُ الْخُطَبَاءِ

سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

^١ - حَدِيثُ الصَّافَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمٍ (٤٨٠١) فِي كِتَابِ: التَّفْسِيرِ، بَابِ: قَوْلُهُ: " إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ " عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تُطالَعُ في هذا الكتابِ بَعْدَ المُقَدِّمَةِ والتَّقديمِ:



المُقَدِّمَة

مُقدِّمةُ هذا الكتاب

الحمدُ لله الَّذي خَلَقَ الإنسانَ، وعَلَّمَهُ البَيَانَ.

والصَّلَاةُ والسَّلَامُ الأَتَمَّانِ الأكَمَلانِ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الخُطباءِ الَّذي لَمْ ولن تَعْرِفَ المنابرُ والمحافلُ خطيباً مثله صِدْقاً وإخلاصاً، وفَصاحةً وبيانا، وتأثيراً وإقناعاً ...



وَقُلْ لي بِرَبِّكَ أَسَمِعْتَ بِخُطيبٍ في الأرضِ، مُذْ كانتِ الأرضُ، حَنَّ مِنْبَرُهُ - إِذْ تَرَكَهُ إلى غيرِهِ - إِلَيْهِ؟^٢
صلواتُ رَبِّي وسلامُهُ عَلَيهِ، ما اعتَلَّتِ المنابرُ الخُطباءَ،
ودَعَتْ إلى توحيدِ رَبِّ الأرضِ والسَّماءِ، وعلى إِلِهِ الأَتقياءِ،
وأصحابِهِ العُظماءِ الفُصحاءِ البُلغاءِ.

أَمَّا بَعْدُ

فإنَّ كتابنا هذا بجزأيه: الأول - وهو هذا - والثاني وجعلتُ عنوانه:

" الخُطابةُ في الزَّمنِ الصَّعبِ "

لَهُوَ طِرازٌ جَدِيدٌ كُلُّ الجَدَّةِ، مُخْتَلِفٌ كُلُّ الاختِلافِ عن جميعِ الكُتُبِ الَّتِي
أَخَذْتُ على عاتِقها مُعالجةً فنَّ الخُطابةِ.

فليس كتابنا هذا دليلاً فقهياً للخُطيبِ، وقد أفرَدْتُ لهذا الغرضِ كتاباً خاصاً
كما أَنَّهُ ليسَ ديواناً جَمَعَ فيه مؤلِّفه الخُطَبَ المشهورةَ لِخُطباءِ
الإسلامِ والجاهليَّةِ، وفي النِّيَّةِ أَنْ أسوقَ أبرَزَ الخُطَبِ، وأحلَّلها لِتكونَ دُرُوساً
عمليَّةً للخُطيبِ تُعينُهُ في إعدادِ الخُطَبِ الناجحةِ.

٢ - حديثُ حنينِ المنبرِ رواه البخاري برقم (٩١٨) في كتابِ الجمعةِ، في باب: الخُطبةُ على المنبرِ. عن جابر أَنَّهُ قالَ: كانَ جذعٌ يَقُومُ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فلما وُضِعَ لَهُ المنبرُ سَمِعنا للجَذعِ مثلَ أصواتِ العِشارِ حتَّى نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فوَضَعَ يَدَهُ عَلَيهِ " وفي روايةٍ أُخرى برقم (٣٢٨٥) " فوَضَعَ يَدَهُ عَلَيها فسَكَتْ ".

قال ابنُ حجر (٣٢٧ / ٣) العِشارُ: جَمْعُ عُشراءٍ وهي النَّاقَةُ الحاملُ.
وقال أيضاً (٣٩٠ / ١٠) ووَقَعَ في روايةِ عبدِ الواحدِ بنِ أيمن " فصاحتِ النَّخْلَةُ صياحَ الصَّبِيِّ " اهـ.

وليس هو بكتابٍ تَرَجَّمَ فيه جامعُه للخطباء المشهورين زمنَ الجاهليَّة والإسلام، ولم أرَ مَنْ اعتنى بهذا، وهو جديرٌ بذلك، وليكن بعنوان:

" طَبَقَاتُ الْخُطَبَاءِ "

وهو أبعدُ ما يَكُونُ عن مصَنَّفٍ أنشأ فيه صاحبُه خُطَباً لمُناسباتٍ شَتَّى لِتُتلى على المنابر، إذ يئس الخطيبُ من يفعلُ ذلك!

إنَّه ليسَ شيئاً ممَّا سَبَقَ، وإنَّ كانَ فيه بعضُ من كلِّ ما سَبَقَ ممَّا دَعَتْ إليه حاجةُ الكتاب.

إنَّه كتابٌ يُعرِّفُ بفنِّ الخطابة، ويُبرزُ تميُّزَها عن غيرها من سائرِ الفنون الدَّعويَّة.

إنَّه كتابٌ يُعرِّفُ بالخطيب - الَّذي يُعدُّ الرُّكنَ الأوَّلَ والأهمَّ من أركانِ الخطابة - مِن حيثُ سنُّه، وثقافته المطلوبُ منه امتلاكُها، والامتلاءُ منها، ويذكرُ أهمَّ صفاته الجسديَّة والنَّفسيَّة ... الخ

إنَّه كتابٌ يُعرِّفُ بالخطبة، وهي تلك الرِّسالة الَّتِي يُريدُ الخطيبُ إيصالَها إلى مُستمعيه - من حيثُ إعدادها وإلقاؤها.

إنَّه كتابٌ يُعرِّفُ بالجمهور - وهو الرُّكنُ الثَّالثُ من أركانِ العمليَّة الخطابيَّة - مَنْ هو؟ وماذا له؟ وماذا عليه؟

وأخيراً إنَّه كتابٌ يكشفُ عن طبيعةِ العلاقةِ بين السُّلطةِ والمنبر، بين الطُّغاة والدَّعاة.

ولعلَّ أهمَّ ما في هذا الكتاب - بجزأيه - هو أنه يكشفُ عن خفايا وخبايا هذا العالم، ومن هنا استقى هذا الكتابُ اسمه.

ففيه الإجابةُ عن هذه التَّساؤلاتِ الخطيرة:

١- لماذا يتفاضلُ الخطباءُ فيما بينهم؟ فخطيبٌ يتربَّع على عرشِ الخطابة، وآخر يفرُّ النَّاسُ منه ويقولونَ ليته يسكتُ!

- ٢- لماذا تتفاضلُ خُطبُ الخطيبِ البارزِ من الخطباء فيما بينها؟ فخطبة تُحفظُ، وأخرى تُهملُ وتُلْفَظُ وكلتاها لخطيبٍ واحدٍ !
- ٣- لماذا فقدَ المنبرُ - في عصرنا هذا - رُوحَهُ وتأثيره على جمهور المسلمين؟ واختلت رسالته؟

وفيه أيضاً بعضُ من المواقف التي عاشها كاتبُ هذه السطور، طريفها وسخيفها، ومُرعبها أيضاً فإليك هذا - وفوق هذا - مجموعاً بين دفتي كتابٍ واحدٍ، وبالله التوفيق.

كُتِبَ في

دمشقَ عاصمة بني أمية

١٤٤٠ هـ الموافق ٢٠١٩ م



التقديم

التقديم

لقد دأب كثير من المؤلفين في زماننا هذا - قبل أن ينشروا مؤلفاتهم، ويدفعوا بها إلى قرائهم - دأبوا على عرضها على علماء ذاع صيتهم، ولمع نجمهم، وفشا بين العامة والخاصة اسمهم لا بهدف نقدها - فهذا آخر ما يريدون - بل بهدف أن يظفروا من أولئك المشهورين بتقريظ لكتابهم يُصدرون به كتابهم، ويُزيّنون باسم ذلك المُقرّظ غلاف كتابهم، فيكون في ذلك دعاية للكاتب وللكتاب، يروج بها بين الناس!

وأذكر أنه ذات يوم جاءني شاب وقد ألّف كتاباً جمع فيه أمثال القرآن مع شرحها، وما زاد الشاب على النقاط ما جاء في تفسير القرآن للعلامة ابن كثير، و الإتيان للعلامة السيوطي، مع سقط عند النقل، وخلل فيما نقل، و طلب إلي أن أنظر فيه، وأراجعه، وأقدم له ، فاعتذرت إليه، ونصحتُه أن يقصد عالماً مشهوراً اسمه، معروفاً بين الناس قدره ... ولكن الرجل أصر على مطلبه إصراراً فأخذت الكتاب، وراجعتُه، وأصلحتُ خلله، وقدمتُ له بمقدمة بينت فيها حقيقة هذا الكتاب، ودفعتُ بها إلى ذاك الشاب المؤلف! وكان أكبر ظني أنه سيلقي بمقدمتي وراءه ظهرياً ولكنه استبقاها كما هي!

إن التقديم للكتاب ما هو إلا شهادة له أو عليه، فليحذر الذين يُقدمون للكتب من غير أن يقرؤوها ويقفوا على ما بها من غثٍ وسمين، وليحذروا أن تكون شهادتهم له شهادة زور، يغم بها صاحب الكتاب والغرم عليهم!

وفي تقديري أن خير من يُقدم للكتاب هو محتوي الكتاب نفسه.

وما أجمل قول القائل:

أنت قبل التّقرّظ من كَمَل اللّٰهُ فماذا يزيدك التّقرّظُ

- ١ -

الخطابة

تعريفها

أركانها

ما يميزها عن غيرها



١-الخطابة

تعريفها – أركانها

ما هي الخطابة؟

١-الخطابة عند أهل اللغة:

الخطابة عند أهل اللغة مصدرٌ للفعل خَطَبَ.

قال صاحبُ القاموسِ المحيط: وَخَطَبَ الخاطِبُ على المنبرِ
خَطَابَةً – بالفتح - ... الخ

وتنتمي هذه الكلمة وكذلك سائرُ أخواتها إلى الجذرِ الثلاثيِّ
/ خَطَبَ /.

قالَ صاحبُ المقاييسِ (م/ خطب) الخاءُ والطاءُ والباءُ أصلاً:

- أحدهما: الكلامُ بينَ اثنين، يُقالُ: خَاطَبَهُ يُخَاطِبُهُ خِطَاباً،
وأضافَ قائلاً: والخُطْبَةُ من ذلك، وهي الكلامُ
المُخْطوبُ به.

- والثاني: اختلافُ لونين، والأخطَبُ: الجِمارُ الذي تعلوه
خُضْرَةٌ.

وقال الرَّمْخَشَرِيُّ في أساسِ البلاغةِ (م/ خَطَبَ) خَاطَبَهُ أَحْسَنَ
الْخِطَابِ، وهو المُواجَهَةُ بالكلامِ.

وفي المُعْجَمِ الوسيطِ: خَطَبَ النَّاسَ، وفيهم، وعلَیْهِم خَطَابَةً،
وخُطْبَةً: ألقى عليهم خُطْبَتَهُ اهـ

أقولُ: فالْحَاصِلُ أَنَّ الخَطَابَةَ – بفتح الخاءِ – تعني في اللُّغَةِ ما يقومُ
به الخطيبُ من التَّكَلُّمِ أمامَ غيره.

وباختصار: الخَطَابَةُ هي إلقاءُ الخُطْبَةِ.



٢-الخطابة كفن بشريّ دَعَوِي:



يقول صاحب "خصائص الخطبة" الخطابة: علم معرفة طُرُق أداء الكلام، ونقل الأفكار إلى عقول السّامعين، وأحاسيسهم بصورةٍ مخصوصةٍ، وصفاتٍ مُعيّنة مع قصد التأثير والإقناع.

أركانُ الخطابة

للخطابة التي يُمارسها الخطباء من فوق المنابر، وفي المحافل الخاصة والعامة ثلاثة أركانٍ أساسيّةٍ وهي:

١-الخطيب ٢-الخطبة ٣-الجمهور

← الرُّكنُ الأوّل من أركانِ العمليّةِ الخطابيّةِ (الخطيب)

١-الخطيبُ عند أهل اللُّغة:

الخطيبُ عند أهل اللُّغة صِفَةٌ مُشبّهةٌ على وزن (فَعِيل) وهذا البناء يدلُّ على الثبوت ممّا هو خَلْقَةٌ أو مُكتَسَبٌ مثل (طَوِيل، وقَصِير، وخطيب، وفقّيه).

وهذا الوزن (فَعِيل) يُبنى من (فَعَلَ) وهذا الفعل يدلُّ على الطّبايع وعلى التّحوّل في الصّفات ... فمعنى (خطب) صارَ خطيباً أي: مارسَ الخطابة حتى صارتِ الخطابةُ سجيّةً له في حين أنّ معنى (خطب) ألقى خطبةً^١ ...

قال صاحبُ اللّسان (م/ خطب) رجلٌ خطيبٌ: حَسَنُ الخطبة، وجمْعُ الخطيبِ خطباء.



^١ - انظر "معاني الأبنية في العربيّة" لفاضل السّامرائي ص/ ٩٤ فما بعدها.



وقال الزَّمَخْشَرِيُّ في أساسِ البلاغةِ (م/ خَطَبَ)

خَطَبَ الْخَطِيبُ خُطْبَةً حَسَنَةً.

وخطبَ الخاطِبُ خُطْبَةً جَمِيلَةً.

أقولُ: وانظر كيف بُنيَ المُتَكَلِّمُ على وزنِ (فَعِيل) في حين بُنيَ طَالِبُ الزَّوْاجِ على وزنِ (فَاعِل) وتأمل ما وُصِفَتْ به خُطْبَةُ الخطيبِ، وخُطْبَةُ الخاطِبِ.

والحاصلُ: أنَّ الْخَطِيبَ هو الْمُتَكَلِّمُ فيما إذا كان حَسَنَ الْخُطْبَةِ، وقد جاء ذلك من مُمارَسَتِهِ لهذا الأمرِ حَتَّى صارَ سَجِيَّةً لَهُ خُلِقَتْ معه، وخُلِقَ معها، وبهذا تَكُونُ لُغَتُنَا الْخَالِدَةُ قد أَسْقَطَتِ الْكَثِيرَ مِمَّنْ يَعْتَلُونَ الْمَنَابِرَ، وَيَتَصَدَّرُونَ فِي الْمَحَافِلِ، وَيَدْعُونَ أَنَّهُمْ خُطَبَاءٌ، وما هُمْ بِحَسَنِي الْخُطْبَةِ.

٢- الْخَطِيبُ اصطلاحاً:



والخطيبُ هو ذاك الَّذي يتكلَّمُ أَمَامَ جُمهُورِهِ بكلامٍ - منثورٍ - يمتازُ:

بوقْدَةِ الْعَاطِفَةِ، وَرَجَاحَةِ الْفِكْرِ، وَسَمَوِّ الْمَعَانِي، وَحُسْنِ السَّبْكِ، وَرُوعَةِ الْبَيَانِ، وَصِدْقِ اللَّهْجَةِ، وَجَمَالِ الْمَنْطِقِ، وَعُمُقِ التَّأْثِيرِ، وَقُوَّةِ الْحُجَّةِ، بِقَصْدِ إِقْنَاعِ جُمهُورِهِ بقوله، واستِمَالَتِهِ إِلَيْهِ.

أقولُ: وَمِنَ الْجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أَنَّ لِخَطِيبِ الْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ شُرُوطاً وَقِيوداً وضوابطَ فِقْهِيَّةٍ لَا بُدَّ مِنْهَا أَنْظُرْهَا مُفَصَّلَةً فِي كِتَابِنَا " دَلِيلُ الْخَطِيبِ الْفِقْهِي".

← الرُّكْنُ الثَّانِي مِنْ أَرْكَانِ الْعَمَلِيَّةِ الْخُطَابِيَّةِ (الْخُطْبَةُ):

١- الْخُطْبَةُ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ:

يَسْتَعْمَلُ بَعْضُ اللُّغَوِيِّينَ الْخُطْبَةَ مَصْدَرًا ل (خَطَبَ) وَلَيْسَتْ هِيَ كَذَلِكَ، بَلْ هِيَ اسْمٌ لِلْكَلامِ الْمَخْطُوبِ بِهِ.

قال ثعلب تعليقاً على مَنْ جَعَلَ (الْخُطْبَةَ) مَصْدَرَ (خَطَبَ): لا أدري كيف ذلك؟ إلا أن يكونَ وَضَعَ الاسمَ مَوْضِعَ المصدرِ اهـ

والمعنى أنهم أَطْلَقُوا الْمَصْدَرَ و أرادوا اسمَ المفعولِ مِثْلَ (صيد) مُراداً به الْمَصِيد.

قال صاحبُ المقاييس (م/ خَطَبَ) الخُطْبَةُ: هي الكلامُ المَخْطُوبُ به.

ونَقَلَ صاحبُ اللِّسانِ عن أبي إِسْحاقَ قولَه: إِنَّ الخُطْبَةَ عند العربِ الكلامُ المنثورُ المسجوعُ.

هذا معناها.

وأما عن ضبطها فجاء في الصِّحاح (م/ خَطَبَ) خَطَبْتُ على المِنْبَرِ خُطْبَةً - بالضم - وخَطَبْتُ المَرَأَةَ خِطْبَةً - بالكسر اهـ.

و كُنْتُ أسمعُ أَشْيَاخَنَا يقولونَ: الخُطْبَةُ بالضمِّ لا للضمِّ.

أقولُ: والحاصلُ: أَنَّ الخُطْبَةَ - بضمِّ الخاءِ - هي الكلامُ الَّذِي يَقُولُهُ الخَطِيبُ أَمَامَ غَيْرِهِ ، وَيُفْهَمُ مِنْ كَلَامِ أَبِي إِسْحاقَ الَّذِي ساقَهُ صاحبُ اللِّسانِ أَنَّها لا بُدَّ أَنْ تكونَ على وَصْفٍ خاصٍّ مؤثِّرٍ.

٢- الخُطْبَةُ اصطلاحاً:

قال صاحبُ القاموسِ الفقهيِّ (١ / ١١٨) الخُطْبَةُ: هي الكلامُ

المنثورُ الَّذِي يَخْطُبُ به متكلِّمٌ فَصِيحٌ جَمْعاً مِنَ النَّاسِ لإِقْناعِهِم.

وقال المَكْتَبِيُّ : هي كلامٌ منثورٌ يمتازُ بِوَقْدَةِ العاطِفَةِ، و رَجاةِ الفِكرِ، و سُمُوِّ المَعاني ، و حُسْنِ السَّبكِ، و روعةِ البَيانِ، و صِدْقِ اللِّهْجَةِ ، و جَمالِ المَنْطِقِ، و عُمقِ التَّأثيرِ، و قوَّةِ الحُجَّةِ، يَتَوَجَّهُ به المُتَكَلِّمُ إلى الجُمهورِ المُسْتَمعِ له قاصِداً إقْناعَهُ بِقولِهِ، واستمالَتَهُ إِلَيْهِ.

أقولُ: ولِخُطْبَةِ الجُمعةِ والعِيدَيْنِ شُرُوطٌ وقيودٌ وضوابطٌ فقهيَّةٌ لا بُدَّ منها حتَّى تكونَ مُجزئةً شرعاً راجع فيها كتابنا " دليلُ الخطيبِ الفقهيِّ "

← الركن الثالث من أركان العملية الخطابية (الجمهور):

١- الجمهور عند أهل اللغة:



جاء في المعجم الوسيط : الجمهور من كل شيء مُعْظَمُهُ، وَمِنَ الرَّمْلِ وَنَحْوَهُ مَا تَرَاكَمَ ، وَ مِنَ النَّاسِ جُلُّهُمْ (ج) جماهير، وجماهيرُ الناسِ أشْرَافُهُم.

٢- الجمهور اصطلاحاً:



لا يَخْرُجُ المعنى الاصطلاحى عن المعنى اللغوي بشكلٍ

عام

فالجمهور: هُمُ الأشخاصُ مِنَ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ، الكِبَارِ والصِّغَارِ، الْمُتَعَلِّمِينَ والأُمِّيِّينَ... الَّذِينَ يَلْتَقُونَ حَوْلَ الخطيبِ خطيبِ المنابرِ والمَحَافِلِ لاسْتِمَاعِ كَلِمَتِهِ.

أقول: وللجمهور الحاضرين لخطبة الجمعة والعيدين شروطٌ وقيودٌ وضوابطٌ شرعيةٌ ذُكِرَتْهَا فِي كِتَابِي " دَلِيلُ الْخَطِيبِ الْفَقْهِي " .

٢-الخطابة والفنون الدعوية الأخرى

اضطرتني الظروف - ولحين من الزمان - لحضور صلاة الجمعة عند خطيب لا يمتلك أيّاً من مؤهلات الخطيب!

فلا هو يحسن اختيار الموضوع!

وإن هو أحسنه أساء في تحضيره وترتيب أفكاره.

وإن هو أحسن في هذا وذاك لم يحسن في إلقائه على الناس فلا إمتاع ولا إقناع!

وهل الخطابة شيء غير الإعداد والإلقاء؟

وهو فوق ذلك مقلّد سيء لأحد الخطباء المشهورين من أهل مصر

وبيّنه وبين قواعد العربية نحوها وصرفها خصومة شديدة، وعداوة بينة، ومما زاد الأمر سوءاً - فوق ما به من سوء - أنه مصاب بأفة لسانية عند نطقه ببعض الحروف!

ولقد كنت أشعر وأنا بين يديه بأنني بين يدي جلاّد يجلّدني، لا بين يدي خطيب ينصّحني ويرشّدني ومع هذا كلّه فلم أكاشفه يوماً بشيء ممّا حاك في نفسي، لعلمي بأن كثيراً - ولا أقول كلّهم - من الخطباء والدعاة لا يقبلون النصيحة، حتّى بلغ الأمر ببعضهم أنّه (بهذل) من رده عندما أخطأ وهو يقرأ في الصلاة! ولعلمي أيضاً بأن ما سأطلبه منه فوق طاقته، ولكلّ طاقته!

ولأمر يريدّه الله حدّث ما لم يكنّ بالحسبان، فذات جمعة من تلك الجمع الرهيبة وبعد انتهاء ذاك الخطيب التّعيس من خطبته، وصلاته تعالت الأصوات - فجأة - في المسجد، فنظرت فإذا ذاك الخطيب، وشاب - هو إمام ذاك المسجد وكان على عكس ذاك الخطيب - يجادلّه ويُعاتبه على سوء خطبته، وذاك الخطيب ما يفتأ يدافع عن نفسه ويدفع عنها ويبرئ ساحتها، على أن دفاعه عن نفسه وعن خطبته جاء كخطبته على منبره!



رَأَيْتُ ذَلِكَ الْمَشْهَدَ فَسَرَّني مَا رَأَيْتُ غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَتَدَخَّلْ بَلْ هَمَمْتُ بِالْانْصِرَافِ،
غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ الشَّابَّ الْمُجَادِلَ دَعَانِي - وَكَانَ بَيْنَنَا نَوْعٌ مَعْرِفَةٍ - وَأَقْسَمَ عَلَيَّ
أَنْ أَقُولَ رَأْيِي بِهَذَا الْخُطِيبِ.

وبالله ووالله وتالله لقد كَانَ ذَاكَ الْمَوْقِفُ مُحَرِّجاً جَدّاً فِي بِلَادِنَا الْكَبِيرَةِ،
أَلْفْنَا الْمَوَارِبَةَ، وَأَنْفَنَا مِنَ الْمُكَاشَفَةِ وَالْمُصَارَحَةِ، وَعدُّنَا مَنْ يَنْصَحُنَا، وَحَبِيبُنَا
مَنْ يَمْدَحُنَا ... وَلَكِنَّ الرَّجُلَ أَقْسَمَ عَلَيَّ، وَوَأَفَّقَ مَا قَالَهُ مَا فِي نَفْسِي فَصَارَ حُتُّهُ
وَكَانَ مِمَّا قُلْتُهُ لَهُ:

اعْلَمْ يَا أَخِي أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ - كَمَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ^١، وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَا تَصْلُحُ
أَنْ تَكُونَ خُطِيباً أَبَداً، فَلَا أَنْتَ تُحْسِنُ اخْتِيَارَ مَوْضُوعِكَ، وَلَا أَنْتَ تُحْسِنُ
عَرْضَهُ عَلَى النَّاسِ، وَهَلِ الْخُطْبَةُ النَّاجِحَةُ سِوَى إِعْدَادِ مُمْتَازٍ، وَإِقَاءِ مُمْتَازٍ؟
وَأَنْتَ فَوْقَ ذَلِكَ ضَعِيفٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ لَا تَكَادُ تُحْسِنُ ضَبْطَ الْكَلِمَاتِ، وَلَا تَرْكِيْبَ
الْجُمْلِ، وَذَكَرْتُهُ بِأَحَدِي خُطْبِهِ الْعَجِيبَةِ وَذَلِكَ يَوْمَ وَقَفَ يَنْصَحُ النَّاسَ بِحِفْظِ
النَّسَبِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ مِنْ لَدُن سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَتَّى
عَدْنَانِ ثُمَّ سَرَدَهُ عَلَى مَسَامِعِهِمْ مِنْ وَرَقَةٍ وَلَمْ يَكْذُ يُصَبِّ فِي ضَبْطِ اسْمِ وَاحِدٍ
مِنْهُمْ.

وَنَصَحْتُهُ بِأَنْ يُعِيدَ تَأْهِيلَ نَفْسِهِ، وَأَنْ يُحْسِنَ اخْتِيَارَ الْمَوَاضِيْعِ، وَيَتَدَرَّبَ
عَلَى إِقَائِهَا وَإِلَّا فَلْيَدْعِ الْمَنْبَرَ لِمَنْ هُوَ أَوْلَى بِهِ مِنْهُ، وَأَنْفَعُ لِلْمُسْلِمِينَ، فَحَرَكَ
رَأْسَهُ، وَوَعَدَ بِإِصْلَاحِ نَفْسِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا أَصْلَحَ نَفْسَهُ، وَلَا تَرَكَ الْمَنْبَرَ لِغَيْرِهِ!
وَلَعَمْرِي: إِنْ كَانَ الْخُطْبَاءُ وَالِدُّعَاءُ - أَكْثَرُهُمْ وَلَا أَقُولُ كُلُّهُمْ - لَا يَسْتَمْعُونَ
إِلَى النَّصِيحِ وَلَا يَأْخُذُونَ بِهِ، فَكَيْفَ يَتَوَقَّعُونَ مِنَ النَّاسِ أَنْ يُصْغُوا إِلَى
نَصَائِحِهِمْ وَيَأْخُذُوا بِهَا؟

وَكَانَ عِنْدِي صَدِيقٌ حَسَنُ التَّلَاوَةِ - عَلَى إِطَالَةٍ فِيهِ عِنْدَمَا يَوْمُ النَّاسِ وَهِيَ
خِلَافُ السُّنَّةِ - كَلَّفَ بِالْخُطَابَةِ حِيناً مِنَ الزَّمَانِ فَخُطِبَ فَاجْتَمَعَ فِي خُطْبَتِهِ
مِنَ السُّوءِ مَا تَفَرَّقَ فِي خُطْبِ غَيْرِهِ، وَزَادَ عَلَى ذَلِكَ بَأَنَّهُ مِنْ هَوَاةِ الْإِطَالَةِ
فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى حَدِّ الْإِمْلَالِ.

١- حديث " الدين النصيحة " أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان عن تميم الداري (٩٥) أن النبي ﷺ قال " الدين النصيحة " قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" وقد شرحه النووي شرحاً عظيماً نقله عنه العلامة ابن حجر فطالعه عنده.

ولمّا صارحناءُ برأينا فيه - عندما طلبَ ذلك منا- وقلنا له ما قلنا لذلك
الخطيبِ التّعسِ ابتسمَ ابتسامةَ المُتَكَبِّرِ، ومضى على أمره وظلّ كذلك حتّى
عُزِلَ عن الخطابةِ والإمامةِ فالذي لا يُغَيِّرُ نفسه قَمِنُ (جدير) بأن يُغَيِّرَ.

الفنون الدّعويّة الأخرى:

إنّ الدّعوة إلى الله عزّ وجلّ والتّعريف به وبدينه الإسلام عقيدةً وشريعةً
وأخلاقاً ... ليست حِكراً على الخطباء بل دائرتها أوسع من ذلك، ورجالها
أكثر من ذلك فهي تشمل:

١-التّدریس الدّینی.

٢-الوعظ والإرشاد.

٣-والتّالیف والتّحقیق.

٤-والدّعوة بالحال.

التّدریس من الفنون الدّعويّة:



إنّ التّدریس للعلوم الشرعیّة كالتّجوید والتّفسیر،
والفقه وأصوله، والحديث وعلومه، والسيرة النبویّة،
والتّاریخ ... تُعدُّ بلا شكّ من أبرز الفنون الدّعويّة فمن
خلالها يتعرّف النّاس على تفاصيل دينهم، بعد أن تناول
الخطباء خطباء المنابر والمحافل تلك الأمور بشيء من
الإيجاز والاختصار فكلّ مقامٍ مقالُه.

وإنّی لأحبُّ أن ألفتَ نظَرَ الدّعاة من المُدرّسين في المساجد والمدارس
والمعاهد والجامعات إلى أمور:

١-أن لا يقتصر المُدرّسون على علومٍ معيّنة، أو أبوابٍ محدّدة: بل لا بدّ
من تدريس جميع العلوم، ولا بدّ من فتح جميع الأبواب من كلّ علمٍ من
العلوم.

النَّصِيبَ الْأَكْبَرَ مِنَ الدُّرُوسِ، فَأَيْنَ بَاقِي الْفُنُونِ؟ وَأَيْنَ بَاقِي الْأَبْوَابِ مِنَ الْفِقْهِ
مثلاً ؟

فأنا لا أذكرُ أَنِّي حَضَرْتُ يوماً درساً عن الجهادِ، أو النِّظامِ الاقتصاديِّ في
الإسلامِ، أو النِّظامِ السياسيِّ ... وقد أدَّى هذا – كما نرى – إلى جَهْلِ جُمُهورِ
المُسلمينَ بهذه المَلَفَّاتِ الحسَّاسَةِ كما وأصابهم المَلَلُ من تلكَ المَلَفَّاتِ
المَطْرُوحَةِ بِشكْلِ دائمٍ؛ إذ كُلُّما أَرَادَ داعيةٌ أن يُدرِّسَ بدأً بِالْفِقْهِ من كتابِ المِياهِ
وآدابِ الاستِنجاءِ، أو بدأً بتدريسِ السِّيرةِ النَّبَوِيَّةِ!

٢- **ضرورةُ تطويرِ أسلوبِ التَّدريسِ:** وذلك بالاستعانةِ بوسائلِ الإيضاحِ
المُعاصرةِ كالصُّورِ، ومقاطعِ الفيديو، وقد صارتْ مُتاحةً للجميعِ وسهلةً
التَّحضيرِ والعَرَضِ، ويُلَاحَظُ أَنَّنَا ندعو إلى التَّجديدِ في وسائلِ العَرَضِ فقط.

٣- **ضرورةُ نشرِ الدُّروسِ عبرَ وسائلِ النِّشرِ المُعاصرةِ:** فالجُمُهورُ اليومَ لم
يَعُدْ ذاكَ الجُمُهورَ المُتواضِعَ الَّذِي يَحْضُرُ في الجامِعِ أو الجامعةِ بلْ تَعَدَّاهُ
إلى مِئاتِ الألُوفِ بل عشراتِ المِلايينِ ممَّنْ يُتَابِعُ وسائلَ البَثِّ المُعاصرةِ.

٤- **الاستفادةُ مِنَ العِلْمِ المُعاصرةِ:** ولا سِمْما لِمُدْرَسي العَقيدةِ والفِقْهِ، ولقدْ
جَرَّبْتُ هذا بِنَفْسي في مِجالِ الفِقْهِ فَدرَسْتُ التَّنْشِيرَ ووظائفَ الأعضاءِ
وَرَبَطْتُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ الفِقْهِ فَاسْتَفَدْتُ وَأَفَدْتُ كَثِيراً.

الوَعظُ والإِرشادُ مِنَ الفُنُونِ الدَّعَوِيَّةِ:

إنَّ الوَعظَ والإِرشادَ مِنَ الفُنُونِ الدَّعَوِيَّةِ بلْ هو أَقْرَبُ الفُنُونِ الدَّعَوِيَّةِ
إلى النَّاسِ إن وَجَدَ أَهْلاً لَهُ.

نموذجٌ مِنَ أَهْلِ الوَعظِ والإِرشادِ:



يَعُدُّ ابْنُ الجوزيِّ مِنَ أعلامِ هذا الفَنِّ الدَّعَوِيِّ، ونِجائِهِ –
كما قالَ مَنْ تَرَجَّمَ لَهُ – جاءَ مِنْ أَنَّهُ أَعَدَّ لَهُ العُدَّةَ مِنْ عِلْمِ
الشَّرِيعَةِ والأدبِ والتَّاريخِ فَحَفِظَ الكَثِيرَ مِنَ الأحاديثِ والرِّقائِقِ
والأخبارِ والحِكاياتِ والأشعارِ مَعَ إحاطَةٍ تامَّةٍ بأحوالِ عَصْرِهِ
وشُؤونِ مُجتمَعِهِ وأحوالِ النَّاسِ خاصَّتِهِمْ وعامَّتِهِمْ.



يقول ابن جُبَيْر وهو شاهدُ عيانٍ في رحلته الشهيرة ص/ ١٧٦ " ثُمَّ شَاهَدْنَا صَبِيحَةَ يَوْمِ السَّبْتِ مَجْلِسَ الشَّيْخِ الْفَقِيهِ ابْنِ عَلِيٍّ الْجَوْزِيِّ ... وَمِنْ أَبْهَرِ آيَاتِهِ أَنَّهُ يَصْعَدُ الْمِنْبَرَ وَيَبْتَدِئُ الْقُرْآنَ وَعَدَّهُمْ نَيْفَ عَلَى الْعِشْرِينَ قَارِئاً ... فَإِذَا فَرَّغُوا أَخَذَ هَذَا الْإِمَامُ الْغَرِيبُ الشَّانِ فِي إِبْرَادِ خُطْبَتِهِ عَجَلاً مُبْتَدِئاً، وَأَفْرَغَ فِي أَصْدَافِ الْأَسْمَاعِ مِنْ أَلْفَاظِهِ دُرُراً، وَانْتَظَمَ أَوَائِلَ الْآيَاتِ الْمَقْرُوءَاتِ فِي أَثْنَاءِ خُطْبَتِهِ فَقَرَأَ، وَأَتَى بِهَا عَلَى نَسَقِ التَّلَاوَةِ لَهَا لَا مُقَدِّمًا وَلَا مُؤَخَّرًا، ثُمَّ أَكْمَلَ الْخُطْبَةَ عَلَى قَافِيَةٍ آخِرِ آيَةٍ مِنْهَا... ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى بَعْدَ أَنْ فَرَّغَ مِنْ خُطْبَتِهِ بِرَقَائِقَ مِنَ الْوَعظِ وَآيَاتٍ بَيِّنَاتٍ مِنَ الذِّكْرِ، طَارَتْ لَهَا الْقُلُوبُ اشْتِيَاقاً، وَذَابَتْ بِهَا الْأَنْفُسُ احْتِرَاقاً، إِلَى أَنْ عَلَا الضَّجِيجُ، وَتَرَدَّدَ بِشَهَقَاتِهِ النَّشِيجُ، وَأَعْلَنَ التَّائِبُونَ بِالصِّيَاحِ، وَتَسَاقَطُوا عَلَيْهِ تَسَاقُطَ الْفَرَاشِ عَلَى الْمِصْبَاحِ، كُلُّ يُلْقِي نَاصِيَتَهُ بِيَدِهِ فَيَجْزُهَا، وَيَمْسُحُ عَلَى رَأْسِهِ دَاعِياً لَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُغْشَى عَلَيْهِ، فَيُرفَعُ فِي الْأَذْرُعِ إِلَيْهِ، فَشَاهَدْنَا هَوَلاً يَمَلُّ النُّفُوسَ إِنَابَةً وَنَدَامَةً، وَيُذَكِّرُهَا هَوَلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ...



يقول ابن الجوزي في كتابه الفذ " صيد الخاطر ص/ ٥٥ " ما زِلْتُ نَفْسِي تُتَارِ عُنِي - بما يوجبُه مَجْلِسُ الْوَعظِ وَتَوْبَةُ التَّائِبِينَ وَرُؤْيَا الزَّاهِدِينَ - إِلَى الزُّهْدِ، وَالْانْقِطَاعِ عَنِ الْخَلْقِ، وَالْانْفِرَادِ بِالْآخِرَةِ، فَتَأَمَّلْتُ ذَلِكَ فَوَجَدْتُ عُمُومَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَرَى أَنَّهُ لَا يَخْلُو لِي مَجْلِسٌ مِنْ خَلْقٍ لَا يُحْصُونَ، يَبْكُونَ، وَيَنْدُمُونَ عَلَى ذُنُوبِهِمْ، وَيَقُومُ فِي الْغَالِبِ جَمَاعَةٌ يَتَوَبُّونَ، وَيَقْطَعُونَ شُعُورَ الصَّبَا، وَلَقَدْ تَابَ عِنْدِي فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ أَكْثَرُ مِنْ مِئَةٍ، وَعُمُومُهُمْ صَبِيانٌ، نَشَتُوا عَلَى اللَّعِبِ وَالْانْهَمَاكِ فِي الْمَعَاصِي.

التأليف والتحقيق من الفنون الدعوية:

٣

إِنَّ التَّأْلِيفَ، وَكَذَلِكَ تَحْقِيقُ مَا أُلْفَ وَ إِخْرَاجُهُ مِنْ ظُلُمَاتِ الْمَكْتَبَاتِ وَالْمَتَاحِفِ إِلَى النَّاسِ لِيَقْرَؤُوهُ .

إِنَّ هَذَا وَذَلِكَ مِنَ الْفُنُونِ الدَّعْوِيَّةِ، وَهُوَ أَبْقَاهَا وَأَدْوَمُهَا، وَأَطْوَلُهَا عُمرًا، وَأَكْثَرُهَا نَفْعًا، وَهَلْ أَهْلُ عَصْرِنَا إِلَّا عَالَةً عَلَى الْعُصُورِ الَّتِي سَلَفَتْ وَخَلَتْ؟

عَلَى أَنَّ التَّأْلِيفَ وَالتَّحْقِيقَ يَجِبُ أَنْ يُرَاعَى فِيهِ أُمُورٌ:

- ١- حاجة المجتمع الإسلامي المعاصرة.
- ٢- عدم إثارة الخلافات القديمة وعدم التطرُّق للخلافيات.
- ٣- تسهيل العبارة، وتوضيحها، والاستعانة بوسائل الإيضاح التي جاء بها عصرنا كالصور والمُصَوِّرات.

٤ الدَّعوة إلى الله بالحال:

قد لا يكون المسلم خطيباً، أو فقيهاً، أو عالماً قادراً على التَّأليف ولكنّه قد يكون من الدَّعاة وذلك من خلال تمسُّكه بتعاليم الإسلام في منزله ومع جيرانه وفي سوقه وفي مكان عمله ...

وبهذا نستطيع جميعنا أن نكون من الدَّعاة إلى الله عزَّ وجلَّ.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

فصلت: ٣٣

٥ الدَّعاة والجنود:



ولستُ أجدُ للدَّعاة مثلاً أقرب وأوضح من الجنود والمقاتلين، غايَتهم واحدة وهي الدِّفاع عن الدِّيار والجمي، ولكن لكلِّ فرقةٍ منهم سلاحها وموقعها واختصاصها.

ولا يجوزُ في المعارك - ولا في العقول - أن يتخلَّى المقاتلُ عن موقعه ليشغلَ موقعاً آخرَ وجبهةً أخرى يقاتلُ فيها وهذه حماقةٌ كبرى منه فلا هو حمى موقعه إذ تركه، ولا هو أغنى في موقع غيره إذ شغله، فحسبنا الموقعين معاً.

فيا أيُّها الدَّعاة إلى الله، كلُّكم على خيرٍ، ولكن ليختَرُ كلُّ واحدٍ منكم الموقعَ الذي يناسبه ويتناسبُ مع قدراته ومؤهلاته حتَّى لا نُؤتى من قبله.

وكلُّ خطيبٍ من طرازِ دينك الخطيبين يرتكبُ معصيتين:

أولاهُما: أنه شغلَ موقعاً ليس أهلاً له.

وثانيتها: أنه حرَمَ النَّاسَ من أن ينتفعوا بمن هو أهلٌ لذلك المنبرِ. فلا هو نفعَ النَّاسَ، ولا هو تركَ النَّاسَ لينتفعوا بغيره ولكن أكثرَ الواعِظين لا يتَّعظون!

- ٢ -



الخطيبُ

سُنَّه

حَقِيقَتُهُ الثَّقَافِيَّة

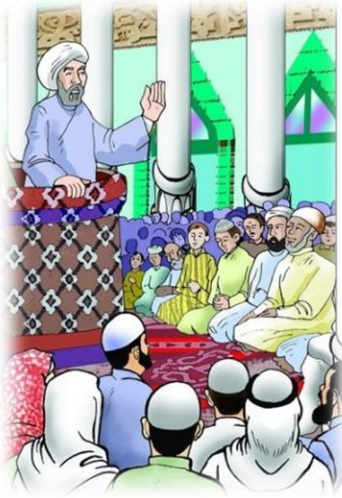
صِفَاتُهُ الْجَسَدِيَّة

خَصَائِصُهُ النَّفْسِيَّة

هَيْئَتُهُ وَمَظْهَرُهُ

١ - مَنْ هُوَ الْخَطِيبُ؟

إِنَّ الْخَطِيبَ هُوَ النَّاطِقُ الرَّسْمِيُّ - وَلَا أَقُولُ الْوَحِيدَ - بِاسْمِ الْإِسْلَامِ.
إِنَّهُ ذَاكَ الَّذِي امْتَلَأَ مِنَ الْإِسْلَامِ عِلْماً بِهِ، وَحُبّاً لَهُ، وَإِخْلَاصاً... ثُمَّ قَامَ
يَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ.



إِنَّهُ ذَاكَ الَّذِي يَقُومُ - فَوْقَ مَنبَرِهِ أَوْ فِي مَحْفَلِهِ -
قَاصِداً رِضَا اللَّهِ وَنَفْعَ النَّاسِ لَا رِضَا الْحُكَّامِ الْمُتَأَلِّهِينَ
أَوْ رِضَا النَّاسِ أَوْ بَعْضِهِمْ مِنَ الْحَاضِرِينَ.
إِنَّهُ ذَاكَ الَّذِي يَعْرِفُ كَيْفَ يَصْطَادُ مَوْضُوعَهُ وَيُنَسِّقُ
أَفْكَارَهُ.

إِنَّهُ ذَاكَ الَّذِي يَتَفَنَّنُ فِي إِيصَالِ أَفْكَارِهِ إِلَى جُمْهُورِهِ
مِنْ خِلَالِ مَنَافِذِ الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ وَالرُّوحِ.

إِنَّهُ ذَاكَ الَّذِي يَنْسَى النَّاسُ فِي حَضْرَتِهِ أَنْفُسَهُمْ، فَأَبْصَارُهُمْ نَحْوَهُ مُشْدُودَةٌ،
وَأَسْمَاعُهُمْ إِلَيْهِ مُصْغِيَةٌ، يَحْفَظُونَ كَلَامَهُ، وَيَفْهَمُونَ مُرَادَهُ، وَيَعْمَلُونَ
بِوَصَايَاهُ.

إِنَّهُ ذَاكَ الَّذِي إِذَا مَا أَمَرَ بِمَعْرُوفٍ كَانَ أَسْبَقَ النَّاسِ إِلَيْهِ!

إِنَّهُ ذَاكَ الَّذِي إِذَا مَا نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ عَنْهُ!

إِنَّهُ ذَاكَ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ مَنبَرُهُ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ - شَاهِداً لَهُ لَا شَاهِداً
عَلَيْهِ.

إِنَّهُ بِاخْتِصَارٍ وَبِإِيجَازٍ

إِنَّهُ

لِسَانُ الْإِسْلَامِ

سِينُ الْخَطِيبِ



٢- فِتْيَانُ الْمَنَابِرِ

إِنَّ الْخَطِيبَ - كَمَا أَسْلَفْنَا - هُوَ النَّاطِقُ الرَّسْمِيُّ بِاسْمِ الْإِسْلَامِ
وَهَلْ يَكُونُ كَذَلِكَ إِلَّا مَنْ تَشَبَّعَ مِنْ عُلُومِ الْإِسْلَامِ، وَامْتَلَأَ قَلْبُهُ حُبًّا لَهُ،
وَإِخْلَاصًا وَحِمَاسَةً لِلدَّعْوَةِ إِلَيْهِ ثُمَّ انْطَلَقَ - مِنْ عَلَى مَنبَرِهِ، أَوْ فِي مَحَافِلِهِ -
يَدْعُو إِلَيْهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَيُنَافِخُ عَنْهُ عَلَى عِلْمٍ!

وَهَلْ يَكُونُ كَذَلِكَ إِلَّا مَنْ كَانَ جَرِيءَ الْقَلْبِ، ثَابِتَ الْفَوَادِ، لَا تَرْتَعِدُ فَرَائِصُهُ
عِنْدَمَا يَقِفُ بَيْنَ جُمْهُورِهِ خَطِيبًا بِهِمْ، يَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ، وَيُبَلِّغُهُمْ رِسَالَةَ رَبِّهِمْ؟
وَهَلْ يَكُونُ كَذَلِكَ إِلَّا مَنْ فَقَّهَ جُمْهُورَهُ الْمُحْتَشِدَ أَمَامَهُ، الْمُلتَفَّ حَوْلَيْهِ، فَأَبْصَرَ
بَعَيْنَ بَصِيرَتِهِ مَدَارِكَهُ الْعَقْلِيَّةَ، وَحَاجَاتِهِ الْحَالِيَّةَ، وَتَطْلُعَاتِهِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةَ ...
وَهَلْ ... وَهَلْ وَهَلْ

وَجَلِيٌّ أَنْ مِثْلَ هَذِهِ الْمُؤَهَّلَاتِ، وَتِلْكَ الْخِبَرَاتِ بِالْإِسْلَامِ وَالْجُمْهُورِ ... لَا تَنَائِي
لِشَابِّ غَيْرِ مُبْتَدِيٍّ مَا يَزَالُ فِي أَرْحَامِ الْمَعَاهدِ، أَوْ حَدِيثِ الْوِلَادَةِ الْعِلْمِيَّةِ؟

وَلَكِنَّهُمْ يَسْتَعْجِلُونَ!

غَيْرَ أَنَّ الْكَثْرَةَ الْكَاثِرَةَ مِنَ الَّذِينَ لَا يَزَالُونَ فِي أَرْحَامِ مَعَاهدِهِمْ، أَوْ حَدِيثِ
الْوِلَادَةِ الْعِلْمِيَّةِ يَتَحَرِّقُونَ شَوْقًا لِرُكُوبِ الْمَنَابِرِ، وَتَصْدُرُ الْمَحَافِلِ، قَبْلَ أَنْ
يَتَأَهَّلُوا لِذَلِكَ نَاسِينَ أَوْ مُتَنَاسِينَ مَا قَالَتْهُ الْعَرَبُ يَوْمًا " قَبْلَ الرِّمَاءِ ثَمَلًا
الْكُنَائِنُ " ^١ وَمَا قَرَأُوهُ فِي كُتُبِ أَصُولِ الْفِقْهِ " مَنْ اسْتَعْجَلَ بِالشَّيْءِ قَبْلَ أَوَانِهِ
عُوقِبَ بِحِرْمَانِهِ " وَكَمْ أُوتِيَ الْمَنبَرُ مِنْ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ؟



إِنَّ اعْتِلَاءَ الْمَنَابِرِ، وَتَصْدُرَ الْمَحَافِلِ أَصْعَبُ مِنْ رُكُوبِ
فَرَسٍ شَمُوسٍ، إِنْ لَمْ يَكُنْ رَاكِبُهَا ذَا خِبْرَةٍ وَدِرَايَةٍ انْتَهَى بِهِ
الْمَطَافُ صَرِيعًا تَحْتَ أَقْدَامِهَا، وَلَعَلَّهُ لَا يُعَاوِدُ رُكُوبَهَا كَرَّةً
أُخْرَى كَمَا حَدَثَ مَعَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُبْتَدِئِينَ مِمَّنْ اسْتَعْجَلَ رُكُوبَ
الْمَنَابِرِ، أَوْ تَصَدَّرَ الْمَحَافِلَ فَجَنَى عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى جُمْهُورِهِ مَعًا.

^١ - هُوَ مِثْلُ يُضْرَبُ لِمُضَرَّةِ الْإِسْتِعْدَادِ لِلْأَمْرِ قَبْلَ حُلُولِهِ، وَالْكُنَائِنَةُ: الْجَعْبَةُ وَهِيَ وَعَاءُ السَّهْمِ
انْظُرْ " جُمُورَةُ الْأَمْثَالِ " ١٢٢ / ٢، وَ" مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ " ١٠١ / ٢.

ولكن ماذا لو؟ 🤔

ماذا لو أضطرَّ غيرُ متأهِّلٍ للخطابة أنْ يعلو منبراً، أو قُدِّمَ في محفلٍ ليتكلَّم؟

إذاً فليختَر من المواضيع أنسبها وأسهلها، وأسلسها، وأوضحها:

أنسبها لجمهوره

وأسهلها تحضيراً عليه

وأسلسها إلقاءً

وأوضحها فهماً

وليحذر كلَّ الحذر - وهو المبتدئ - من اختيارِ المواضيع الصَّعبة، أو الإطالة في المواضيع السَّهلة، فهما - أعني وُجُودَ الموضوع والإطالة - عدوَّ المبتدئ اللدودان.

نموذجٌ مُدهش:



كُلَّفَ خطيبٌ مُبتدئٌ بالخطابة في أحدِ المساجد بسببِ غيابِ الخطيبِ لأداءِ فريضةِ الحجِّ للمرةِ العاشرةِ وإذا به - وهو المبتدئ - يُفاجئُ جمهوره بالحديثِ عن الربا من حيثِ تعريفه وأنواعه وخطره على صاحبه والمجتمعِ وحُرمةِ التعاملِ مع البنوكِ الربويَّةِ ...

وجلِّي أنْ مثلَ هذا الموضوعِ يفتقرُ إلى خبرةٍ شرعيَّةٍ واقتصاديَّةٍ واسعةٍ، وهو - أيضاً - ليسَ من المواضيعِ المُحبَّبةِ لدى الحكوماتِ التي أقامتْ نظامها الاقتصاديَّ على أُسسٍ ربويَّةٍ!

ولئن تساءلتم عن ذاك الخطيبِ المُدهش؟ فالجوابُ إنَّه أنا!

٣-المُعَمَّرُونَ

قديماً قالوا:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ فَلَا يُغَرُّ بِطَيْبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ^١



ما أحسنَ أنْ يُغَادِرَ الْخَطِيبُ الَّذِي تَقَدَّمتْ سُنُّهُ، وَاِنْحَنَى ظَهْرُهُ، وَخَارَتْ قُوَاهُ، وَفَقَدَ حِمَاسَتَهُ، وَاسْتَنْفَذَ ذَخِيرَتَهُ، وَقَدَّمَ أَحْسَنَ مَا عِنْدَهُ ... مَا أَحْسَنَ أَنْ يُغَادِرَ مَنبَرَهُ، وَيُنْزِلَ عَنْ صَهْوَتِهِ، قَبْلَ أَنْ يَتَبَرَّمَ بِهِ النَّاسُ، وَيُطَالِبُوهُ بِذَلِكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِلِسَانِهِمْ فَبِحَالِهِمْ، وَذَلِكَ بَانْصِرَافِهِمْ عَنْهُ أَوْ بِالنَّوْمِ أَثْنَاءَ إِقَائِهِ كَلِمَتِهِ!

وأحسنُ من هذا – لو استطاع – أن يتنازلَ عنه لِمَنْ يراه أهلاً له، لئلاَّ يَعْلُوهُ مَنْ لَيْسَ هُوَ بِأَهْلٍ لَهُ.

على أنْ تَرَكَ الْمَنبَرَ لَا يَعْدُو تَرَكَ جَبْهَةٍ إِلَى غَيْرِهَا مِنَ الْجَبَهَاتِ فَهُنَاكَ التَّأْلِيفُ وَالتَّدْرِيسُ وَالتَّدْرِيبُ ...

إِنَّ الْمَنبَرَ مُلْكٌ لِلأُمَّةِ، وَلَيْسَ حِكْراً عَلَى هَذَا الْخَطِيبِ أَوْ ذَاكَ، وَبِقَاوُهُ عَلَيْهِ رَهْنٌ بِقُدْرَتِهِ عَلَى الْقِيَامِ بِأَعْبَائِهِ، وَأَدَاءِ أَمَانَتِهِ، وَمَا أَتَقَلَّهَا مِنْ أَمَانَةٍ!

ثُمَّ أَوْلَسْتَ يَا أَيُّهَا الْمُعَمَّرُ قَدْ خَلَفْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْخُطَبَاءِ الْكُھُولِ؟ فَلِمَ تَسْتَفْظِعُ أَنْ يَخْلِفَكَ مَنْ يَأْتِي بِعَدَاكَ مِنَ الشَّبَابِ الْفُحُولِ؟

إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُطَبَاءِ يَظُنُّونَ أَنَّ الْمَنَابِرَ مُلْكٌ لَهُمْ وَكُلَّمَا طَالَ وَقُوفُهُمْ عَلَيْهَا تَأَكَّدَ عِنْدَهُمْ هَذَا الشُّعُورُ وَتَقَوَّى لَدِيهِمْ هَذَا الْحَقُّ! فَتَرَاهُمْ يَضُنُّونَ بِهِ حَتَّى لَا يَصْرِفَهُمْ عَنْهُ إِلَّا مَوْتُ مُنْهِي، أَوْ مَرَضٌ مُضْنِي، أَوْ خَرَفٌ مُنْسِي، أَوْ عَزْلٌ مُخْزِي – لَا قَدَّرَ اللَّهُ-

بَلْ إِنَّهُمْ يَظُنُّونَ السُّوءَ بِمَنْ يَنْصَحُهُمْ وَيَرُونَ فِيهِ عَدُوًّا لِلدَّعْوَةِ وَلِلدُّعَاةِ!

^١ - هذا مطلع قصيدة للشاعر الأندلسي المشهور أبي البقاء صالح بن شريف الرندي يرثي الأندلس انظر " مجاني الأدب في حقائق العرب " ٢٤٥ / ٥ .

أَعْرِفُ حَاطِباً مَمَّنْ تَقَدَّمَتْ سِنُّهُ، وَبَلَيْتْ أَفْكَارُهُ، وَاسْتَنْفَذَ مَا عِنْدَهُ، عَزَلَ
وَوُلِّيَ غَيْرُهُ، فَإِذَا بِهِ يَغْضَبُ غَضْبَتَهُ، وَتَتَوَرُّ ثَائِرَتُهُ، وَيَهْوِجُ وَيَمُوجُ، وَيَخْرُجُ
مَنْ أَدَبِ الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ، ثُمَّ إِذَا بِهِ يُرْسِلُ النَّاسَ أَفْوَاجاً أَفْوَاجاً إِلَى هُنَا وَهَنَاكَ
كَيْمَا يَعُودُوا بِهِ إِلَى مَنبَرِهِ الَّذِي أَقْصَى عَنْهُ!

وَلَكِنْ هَلْ هُوَ مَنبَرُهُ حَقّاً؟

تَنَاقُضُ!



وَلَا أُدْرِي كَيْفَ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ كَيْفَ لِأَوَّلِكَ الدُّعَاةِ أَنْ يُحَارِبُوا مُحْتَكِرِي
السُّلْطَةِ لِأَنْفُسِهِمُ الَّذِينَ ضُنُّوا بِالسُّلْطَةِ وَمَنَعُوا تَدَاوُلَهَا إِنْ كَانُوا هُمْ ضُنُّوا
بِالْمَنبَرِ فَلَا يَتْرُكُونَهُ إِلَّا بِمَوْتٍ مُنْهِيٍّ أَوْ عَزَلٍ مُخْزِيٍّ.

وَتَذَكَّرُ يَا أَيُّهَا الْمُعَمَّرُ أَنَّ الْجِيلَ الَّذِي نَشَأْتَ فِيهِ وَخَاطَبْتَهُ وَخَطَبْتَ فِيهِ قَدْ
مَاتَ أَكْثَرُهُ، وَمَا تَرَاهُ حَوْلَكَ هُوَ جِيلٌ جَدِيدٌ مُخْتَلِفٌ فِي طَرِيقَةِ تَفْكِيرِهِ، وَنَظَرَتِهِ
لِلْحَيَاةِ فَهُوَ يَرَاكَ غَرِيباً عَنْهُ، كَمَا تَرَاهُ أَنْتَ غَرِيباً عَنْكَ.

وَتَذَكَّرُ يَا أَيُّهَا الْمُعَمَّرُ أَنَّ آخِرَ أَمْرِكَ يُنْسَى أَوَّلُهُ، وَأَنَّ ضَعْفَ نَهَائِكَ هُوَ
آخِرُ مَا سَيَذْكُرُهُ النَّاسُ عَنْكَ، فَاتْرُكِ الْمَنبَرَ وَفِي النَّاسِ رَغْبَةً بِكَ، قَبْلَ أَنْ
تَتْرُكَهُ وَفِي النَّاسِ رَغْبَةً عَنْكَ، وَاللَّهُ يُجْزِيكَ الْخَيْرَ عَلَى مَا قَدَّمْتَ وَأَقَدْتَ.

مِنْ مِشْكَاتِ الْفَارُوقِ:

رَوَى ابْنُ كَثِيرٍ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ " الْبَدَايَةُ وَالنَّهَايَةُ " ١٥٤ / ٧



هَذِهِ الْوَاقِعَةُ عَنْ عَمْرِو قَالَ " لَمَّا فَرَّغَ عَمْرٌ مِنَ الْحَجِّ سَنَةَ
(٢٣) هـ وَنَزَلَ بِالْأَبْطَحِ دَعَا اللَّهَ وَشَكَا إِلَيْهِ أَنَّهُ كَبُرَتْ سِنُّهُ،
وَضَعُفَتْ قُوَّتُهُ، وَانْتَشَرَتْ رَعِيَّتُهُ، وَخَافَ مِنَ التَّقْصِيرِ،
وَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يَقْبِضَهُ إِلَيْهِ ... فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ هَذَا الدُّعَاءُ
فَقَبِضَهُ إِلَيْهِ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانُهُ عَلَيْهِ.

٤- مِيرَاتُ الْمَنَابِرِ

دَخَلْتُ - ذاتَ جُمُعَةٍ - مَسْجِداً من تِلْكَ المَسَاجِدِ الكُبْرَى الجامِعَةِ

وكان خطيبُ ذاكِ المسجدِ - رَحِمَهُ اللهُ - رجُلًا مَشْهُورًا بالْعِلْمِ وَالصَّلَاحِ وهو وإنْ لم يَكُنْ خطيباً مَفَوَّهاً فيكفِيهِ أَنَّهُ كانَ مِمَّنْ لا يُدَاهِنُ ولا يُمارِي ولا يَرْضَى أنْ يجعلَ من نَفْسِهِ بُوْقاً لِلطُّغَاةِ، أو نَعْلًا لِلظَّالِمِينَ، وهذا ما رَغِبَ النَّاسَ بِهِ، وجَعَلَ قُلُوبَهُم تَنْجَذِبُ إِلَيْهِ.

ولَمَّا أنْ حَضَرَ وَقْتُ صُعودِ الْخطيبِ الْمِنْبَرِ - والنَّاسُ وأنا مَعَهُم نَنْتَظِرُ قُدُومَ ذاكِ الْخطيبِ فإذا بِشَابٍّ لم يَطَرَّ شاربُهُ^١ بَعْدُ يَدْنُو من الْمِنْبَرِ رُويْدًا رُويْدًا ثُمَّ يَنْسَلِقُ دَرَجَاتِهِ دَرَجَةً دَرَجَةً وَسَطَ اسْتِغْرَابِ النَّاسِ وَدَهْشَتِهِمْ وَلِسَانُ حَالِهِمْ يَقُولُ: مَنْ هَذَا الشَّابُّ؟ وأَيْنَ ذاكِ الشَّيْخِ؟

وما إنْ انْتَهَى الْمُؤَدِّينُ من الْأَذَانِ الثَّانِي حَتَّى قامَ ذاكِ الشَّابُّ وَيَدُهُ تَرْتَجِفُ وهو يَحْمِلُ مَجْمُوعَةً من الْأُورَاقِ فِيهَا خُطْبَةٌ كُتِبَتْ لَهُ، ولم يَكْتُبْها هوَ بِنَفْسِهِ وبَدَأَ بِقِرَاءَتِها على جُمُوعِ النَّاسِ بُلْغَةً لا شَرْقِيَّةً ولا غَرْبِيَّةً، ولم يَرْفَعْ رَأْسَهُ من تِلْكَ الْأُورَاقِ طِيلَةَ الْخُطْبَةِ الْأُولَى ثُمَّ جَلَسَ.

ولَمَّا قامَ لِلْخُطْبَةِ الثَّانِيَةِ ازدَادَ الْأَمْرُ سُوءاً فَمَا إنْ شَرَعَ بالدُّعَاءِ حَتَّى جَعَلَ عَرَفُهُ يَتَصَبَّبُ، وَلِسَانُهُ يَتَلَعَثُ، فَقُلْتُ لَيْتَهُ كَتَبَ الدُّعَاءَ أَيْضاً إِذَا لأُراَحِنَا و نَفْسَهُ من ذاكِ الْعَنَاءِ!

ولَمَّا وَقَفَ يُصَلِّي بالنَّاسِ لَمْ تَكُنْ قِرَاءَتُهُ بأَحْسَنَ حالاً مِنْ خُطْبَتِهِ!

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لا شَكَّ أَنَّ الشَّيْخَ مَعذُورٌ وَلَكِنْ أَلَمْ يَجِدْ سِوَى هَذَا الْفَتَى التَّعَسَّ الغَرَّ لِيَجْعَلَهُ يَقُومُ مَقَامَهُ؟

ثُمَّ عَلِمْتُ فِيمَا بَعْدَ أَنَّهُ ابْنُهُ!

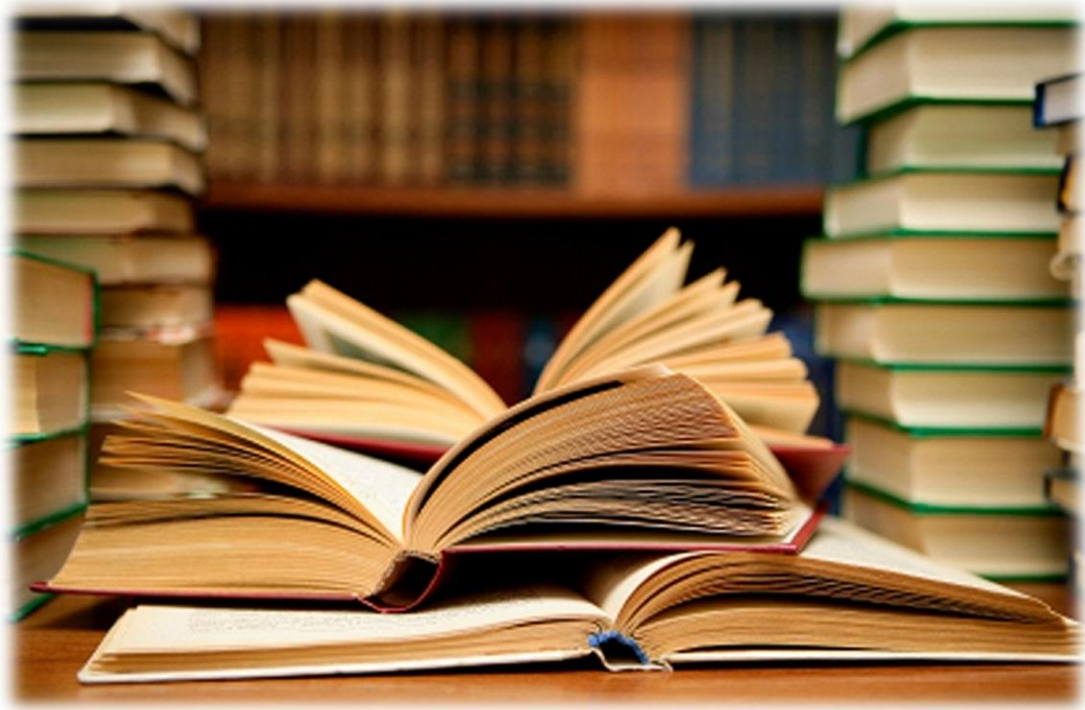
إِنَّ الْمَنَابِرَ لَيْسَتْ كَالْمَنَازِلِ وَالْمَتَاجِرِ وَالسَّيَّارَاتِ ... نَرُثُهَا عن آبائِنَا ثُمَّ نُورِثُهَا لِأَبْنائِنَا!

^١ - قال الزمخشري في أساس البلاغة (م/ طر) ومن المجاز: طرَّ الشاربُ والشَّعْرُ والنَّبَات ... ومعناه شقَّ الجلد والأَرْضَ ... وهذا غلامٌ لم يطرَّ شاربُهُ، وما عدا أن طرَّ شاربُهُ، وغلام طارٌّ.

إِنَّ الْمَنَابِرَ مُلْكٌ لِلأُمَّةِ وَأُولَى النَّاسِ بِهَا أَجْدَرُ هُمْ عَلَى الْقِيَامِ بِحَقِّهَا
وَلَئِنْ كَانَ مَا حَدَّثَ تِلْكَ الْجُمُعَةِ غَرِيباً فَأَغْرَبُ مِنْهُ أَنَّ ذَاكَ الشَّابَّ اسْتَمَرَ
خُطِيباً عَلَى ذَاكَ الْمَنْبَرِ، وَمَا زَالَتْ خُطْبُهُ فِيمَا بَعْدَ كُخُطْبَتِهِ الْأُولَى!!!



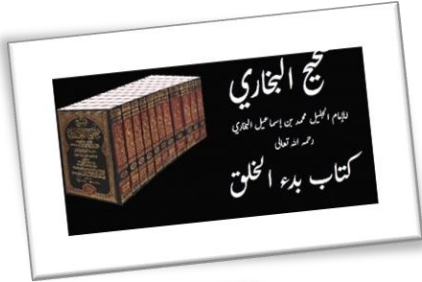
ثقافة الخطيب و زادُه العِلْمِيّ



٥- الخَطِيبُ وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ

الْقُرْآنُ وَمِنْبَرُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

- روى البخاريُّ في كتابِ بَدْءِ الْخَلْقِ عن صفوان بن يعلى عن أبيه (٣٢٦٦) أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ عَلَى الْمِنْبَرِ ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ﴾ [الزخرف: ٧٧].



- رَوَى مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أُخْتِ لِعَمْرَةَ (٨٧٢) أَنَّهَا قَالَتْ:



" أَخَذْتُ قِ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهُوَ يَقْرَأُ بِهَا عَلَى الْمِنْبَرِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ "

- روى مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْإِمَارَةِ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ (١٩١٧) أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ:



﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]

أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ "

- روى أبو داود في كتابِ الصَّلَاةِ عن أبي سعيد (١٤١٠) أَنَّهُ قَالَ:



" قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ ﴿ص﴾ فَلَمَّا بَلَغَ السَّجْدَةَ نَزَلَ فَسَجَدَ وَسَجَدَ النَّاسُ مَعَهُ ... الْحَدِيثُ "

- روى أبو داود في كتاب الحدود عن عائشة (٤٤٧٤) أنها قالت:

" لَمَّا نَزَلَ عَذْرِي قَامَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ - فَذَكَرَ ذَلِكَ وَتَلَا - تَعْنِي - الْقُرْآنَ، فَلَمَّا نَزَلَ مِنَ الْمِنْبَرِ أَمَرَ بِالرَّجُلَيْنِ وَالْمَرْأَةِ فَضَرَبُوا حَذَّهْمَ ."

- روى النسائي في كتاب البيوع عن عائشة (٤٦٦٥) أنها قالت:

" لَمَّا نَزَلَتْ آيَاتُ الرَّبِّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ فَتَلَاهُنَّ عَلَى النَّاسِ ثُمَّ حَرَّمَ التِّجَارَةَ فِي الْخَمْرِ ."

القرآن وثقافة الدعاة إلى الله:



إنَّ القرآنَ العظيمَ هو المكوّن الأوّل والأكبر لثقافة الدعاة عموماً، والخطباء منهم خصوصاً، وهو أيضاً المعين الذي لا ينضب، والشجرة التي لا تنقطع ثمارها، ولا يزول فيئها، وهو كافٍ لمن عكف عليه، ففيه نباء ما كان، وخبر ما سيكون، وتعليل ما هو كائن ...

زاد الخطيب من القرآن العظيم:

هذا وعلى الخطباء {خطباء المنابر والمحافل} أن يعتنوا بالقرآن ويهتموا به أكثر من غيرهم من سائر الدعاة ولكل حاجته إليه. ويتجلى هذا الاهتمام في ثلاثة جوانب أساسية لا يستغنى عنها ولا يُغني بعضها عن بعض وهي:

١- العناية والاهتمام بتلاوته وتجويده

ولا عذر للخطيب - خطيب المنابر والمحافل - في إهمال هذا الجانب أبداً فهو بحاجة إليه عند تلاوته لآيات القرآن أثناء إلقائه خطبته أو كلمته، وفي محرابه أيضاً، وكم يقبُح بالخطيب أن تكون تلاوته للقرآن غير مُجودة ولا مُرتلة.

وأذكرُ أنه ذات مرة قَدِمَ أحدُ الدَّعاة! ليُصَلِّي بالنَّاسِ صلاةَ العشاءِ، فلَمَّا أَمَّ النَّاسَ قرأَ قراءةً مُزريّةً لا تجويدَ فيها ولا ترتيل فأزرى بنفسه أيماً إزرأ.

حُسْنُ الصَّوْتِ وَحُسْنُ التَّلَاوَةِ:

إنَّ حُسْنَ الصَّوْتِ هبةٌ من الله، وما كان كذلك لا يُسأل العبدُ عنه ولا يؤاخذُ فيه، وأمَّا حُسْنُ التَّلَاوَةِ فمُكْتَسَبَةٌ فَلِذَا يُسألُ العبدُ عنها ويُؤاخذُ عليها، فعليه أن يَجِدَّ ويجتهدَ ليحصلَ ذلك.



يقول ابنُ الجَزَرِي (مُحمَّد بن محمد بن عليّ بن يوسف المتوفى: (٨٣٣ هـ).

مَنْ لَمْ يُجَوِّدِ الْقُرْآنَ أَثِمَ
وهكذا منه إلينا وصلاً
وزينة الأداء والقراءة
من صفة لها ومُستحقّها
إلا رياضةٍ إمريّ بفكّه

والأخذُ بالتَّجويدِ حَتْمٌ لَزِمٌ
لأنّه به الإله أنزل
وهو أيضاً حليّة التلاوة
وهو إعطاء الحروف حقّها
وليس بينه وبين تركه

قال لي أحدُهم مرَّةً: يا أستاذُ لماذا صوتُك ليسَ جميلاً، فقلتُ له: علمي أنكم طلبتمُ خطيباً لمسجدكم يخطب في أحيائكم، لا قارئاً يقرأ على أمواتكم!

٢- الاستكثار من محفوظاتهم منه - مع إتقان ذاك المحفوظ -

وما أجدَر أن يكون الخطيبُ حافظاً لكتابِ الله من فاتحته وحتَّى خاتمته، مُستحضراً لآياته التي تفي وتُغطي جميعَ المواضيعِ والمناسباتِ التي يمكنُ للخطيبِ خطيبِ المنابرِ والمحافلِ أن يتطرَّقَ إليها.

آية أنقذت خطيباً أي خطيب من الحرج!



يروي القزويني في كتابه " التَّدوينُ في أخبارِ قزوين " (٤/ ١٨٩) عن الخليفة الفدِّ هارون الرَّشيد أنه خَطَب يوماً على منبرِ أبيه المَهدي بالرُّصافة وهو متألِّمٌ من مرضٍ كان به، والدُّبابُ يؤذيه، فأرتج عليه في خطبته، فاستأنفَ كلاماً عقَدَ به الخطبة وقال: " يا أيُّها النَّاسُ انظروا إلى أجلكم منصباً، وأفضلكم أمّاً وأباً، وأحسنكم وجهاً، وأنفذكم أمراً، أدته دُبابَةٌ فلم يستطع لها دفعاً قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ^١ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ^٢ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ^٣ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

٣- أن يتعمَّقوا في فهمه، ويغوصوا في أعماق معانيه:

غيرَ مُكتفين بلونٍ واحدٍ من ألوانِ تفسيره بل عليهم أن يعقدوا الصِّلةَ معها جميعاً ليحصلوا على الصُّورةِ الكاملةِ لمعنى الآية.

فهناك التفسيرُ الأثريُّ، ومن أبرزَ أعلامه العلامةُ ابنُ جريرِ الطَّبْري، وابنُ كثير.

وهناك التفسيرُ الفقهيُّ ومن أبرزَ أعلامه القرطبيُّ، والجصاصُ الحنفيُّ. وهناك التفسيرُ العلميُّ ومن أبرزَ أعلامه من المعاصرينَ الدكتور زغلول النجار.

وهناك التفسيرُ العقليُّ ومن أبرزَ أعلامه الفخرُ الرَّازي صاحبُ كتاب

" مفاتيحُ الغيب " .

وهناك التفسير اللغوي والبلاغي ومن أبرز أعلامه الزمخشري ،ومن المعاصرين الدكتور فاضل السامرائي.

وهناك التفسير الأدبي وحسبنا منه كتاب الظلال لمؤلفه الشهيد السيّد قطب رحمه الله.



وفي تقديري أنّ هذه التفسيرات لا يُغني بعضها عن بعض بل بعضها يُكمل بعضاً.

قرآن المنابر والمحافل:

إذا ما أراد الخطيب - خطيب المنابر والمحافل - أثناء تحضيره لخطبته أو لکلمته أن يستشهد بآية أو بأكثر من القرآن العظيم فعليه أن يُراعي الأمور الآتية:

١- أن يختار من الآيات ما يُناسب موضوعه مناسبة واضحة لا خفاء فيها ولا بُعد ولا غموض.

٢- أن يتقن تلاوتها وحفظها إتقاناً تاماً، ولا أرى مانعاً أن يكتبها على

ورقة خاصة إن لم يكن حافظاً لها، أو خاف أن ينساها، وهذا وإن كان يُزري بالخطيب فهو أقلُّ سوءاً من تخبُّطه عند تلاوتها وهو على منبره، أو في محفله..

٣- أن يُراجع تفسيرها في مصادر التفسير المُعتبرة غير مُقتصر على لون واحد من ألوان التفسير، وليحذر أن يُعول على فهمه هو أو فهم الجماهير لها، ولعله إن فعل ذلك وضعها في غير موضعها أو استشهد بها على ما لا تصلح شاهدة له، بل قد تكون شاهدة عليه.



روى الترمذي في أبواب التفسير عن أبي عمران التُّجيبِي (٢٩٧٢) أنه قال كُنَّا بِمَدِينَةِ الرُّومِ، فَأَخْرَجُوا لَنَا صَقّاً عَظِيماً مِنَ الرُّومِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلُهُمْ أَوْ أَكْثَرُ، وَعَلَى أَهْلِ مِصْرَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، وَعَلَى الْجَمَاعَةِ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صَفِّ الرُّومِ حَتَّى دَخَلَ فِيهِمْ، فَصَاحَ النَّاسُ وَقَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ يُلْقَى بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ:

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَتُؤَوَّلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ هَذَا التَّأْوِيلُ، وَإِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا -مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ- لَمَّا أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ، وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ - سِرّاً دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ الْإِسْلَامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَلَوْ أَقْمَنَّا فِي أَمْوَالِنَا فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ يَرُدُّ عَلَيْنَا مَا قُلْنَا:

﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة ١٩٥]

فكَانَتْ التَّهْلُكَةُ الْإِقَامَةُ عَلَى الْأَمْوَالِ وَإِصْلَاحُهَا وَتَرْكُهَا الْغَزْوَ.

قال الترمذي في بيان درجة هذا الحديث: هذا حديث حسن صحيح غريب.



٤- أن يُفسِّرَها لجمهوره بأسلوب شائقٍ وجميلٍ ويحسُنُ به أن يستفيد من أسلوب وطريقة صاحب الظلال فطريقته مُتميزة جداً ورائعة ورائقة وله لمسات تَمَسُّ عَصْرَنَا وتتجاوب مع حاجات أهله.

تَحْرِيفٌ عَلَى الْمَنَابِرِ وَالْمَحَافِلِ:

لَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَوَكَّلَ أَمْرَهَا إِلَى أَهْلِهَا فَقَالَ:

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَقَدْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ وَوَكَّلَ حِفْظَهُ إِلَى نَفْسِهِ فَقَالَ:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]



فَأَمَّا التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ فَأَصَابَهُمَا التَّحْرِيفُ بِالزِّيَادَةِ عَلَيْهِمَا، وَالنَّقْصِ مِنْهُمَا، وَالتَّلَاغِبِ بِمَعَانِي آيَاتِهِمَا.

وَأَمَّا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فَقَدْ صَانَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّغْيِيرِ وَالزِّيَادَةِ عَلَيْهِ وَالنَّقْصِ مِنْهُ، وَأَمَّا مَعَانِيهِ فَقَدْ وَكَّلَ حِرَاسَتَهَا إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ.



رَوَى الْبَزَّازُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَفَعَهُ - قَالَ: "يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عَدُوُّهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ".

يَقُولُ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ (٥ / ١٠) عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ مِنْ أَنْ يُزَادَ فِيهِ أَوْ يَنْقُصَ مِنْهُ ... فَتَوَلَّى حِفْظَهُ فَلَمْ يَزَلْ مَحْفُوظًا، وَقَالَ فِي غَيْرِهِ:

﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا﴾ فَوَكَّلَ حِفْظَهُ إِلَيْهِمْ فَبَدَّلُوا وَغَيَّرُوا.



قصة فيها عبرة :



وساقَ القُرْطُبِيُّ هذه القِصَّةَ فقالَ: كانَ للمأمونِ - وهو أميرٌ إذ ذاك - مجلسٌ نَظَرٌ، فدخلَ في جُمْلَةِ النَّاسِ رجلٌ يهوديٌّ حَسَنُ الثَّوبِ، حَسَنُ الوَجْهِ، طَيِّبُ الرَّائِحَةِ، قالَ: فَتَكَلَّمْتُ فَأَحْسَنَ الكَلَامَ والعِبَارَةَ، فَقَالَ لَهُ المأمونُ بعدَ أنْ تَقَوَّضَ المَجْلِسَ: إِسْرَائِيلِيُّ؟

قالَ: نعم

قالَ: أَسْلِمَ حَتَّى أَفْعَلَ بِكَ وَأَصْنَعَ، ووعدَهُ

فَقَالَ: ديني ودينُ آبائي وانصَرَفَ.

قالَ: فَلَمَّا كَانَ بعدَ سَنَةٍ جَاءَنَا مُسْلِمًا قَالَ: فَتَكَلَّمْتُ عَلَى الفِقهِ فَأَحْسَنَ الكَلَامَ، فَلَمَّا تَقَوَّضَ المَجْلِسُ دَعَاهُ المأمونُ وَقَالَ: أَلَسْتَ صَاحِبِنَا بِالْأَمْسِ؟

قالَ لَهُ: بَلَى.

قالَ: فما كَانَ سَبَبُ إِسْلَامِكَ؟

قالَ: انصرفتُ من حَضْرَتِكَ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُمْتَحِنَ هذه الأديانَ ... فَعَمَدْتُ إِلَى التَّوْرَةِ فَكَتَبْتُ ثَلَاثَ نُسخٍ فَرَدْتُ فِيهَا وَنَقَصْتُ وَأَدَخَلْتُهَا الكَنِيسَةَ فَاشْتَرَيْتُ مِنْي.

وَعَمَدْتُ إِلَى الإنجيلِ فَكَتَبْتُ ثَلَاثَ نُسخٍ فَرَدْتُ فِيهَا وَنَقَصْتُ وَأَدَخَلْتُهَا البَيْعَةَ فَاشْتَرَيْتُ مِنْي.

وَعَمَدْتُ إِلَى القرآنِ فَعَمِلْتُ ثَلَاثَ نُسخٍ فَرَدْتُ فِيهَا وَنَقَصْتُ وَأَدَخَلْتُهَا الوَرَّاقِينَ فَتَصَفَحُوهَا فَلَمَّا أَنْ وَجَدُوا فِيهَا الزِّيَادَةَ والنَّقْصَ رَمَوْا بِهَا فَلَمْ يَشْتَرَوْهَا فَعَلِمْتُ أَنَّ هَذَا كِتَابٌ مَحْفُوظٌ فَكَانَ هَذَا سَبَبَ إِسْلَامِي.

قالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ: فَحَجَجْتُ تِلْكَ السَّنَةَ فَلَقِيتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ فَذَكَرْتُ لَهُ الْخَبَرَ

فَقَالَ لِي: مُصَدِّقٌ هَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ.

قالَ: قُلْتُ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ؟

قالَ: فِي قَوْلِ اللَّهِ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ :

﴿بِمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]

فَجَعَلَ حَفِظَهُ إِلَيْهِمْ فَضَاعَ،

وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]
فَحَفِظَهُ اللَّهُ فَلَمْ يَضِغْ.

أقول: وبعدَ كلِّ ما سَبَقَ فَإِنَّ الْخُطْبَاءَ وَسَائِرَ الدُّعَاةِ مِنَ الْمُدَرِّسِينَ وَالْمُؤَلِّفِينَ ... يَقَعُ عَلَى عَاتِقِهِمْ مَسْئُولِيَّةٌ تَصَحِيحَ التَّفْسِيرَاتِ الْخَاطِئَةِ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

ولكنَّ الذي حَدَثَ أَنَّ بَعْضاً مِنْهُمْ تَوَرَّطَ فِي إِشَاعَةِ تَفَاسِيرٍ مَغْلُوطَةٍ، بَعْضُهُمْ عَنْ جَهْلِ، وَبَعْضُهُمْ عَنْ عَمْدٍ وَهَذِهِ نَمَازِجٌ مِنْ ذَلِكَ:

١- تَمَلُّقٌ لِلْمِلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ:

وقفَ خطيبٌ مشهورٌ - يَوْمًا - وَجَعَلَ يَتَرَلَّفُ لِلْمِلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ، وَاسْتَشْهَدَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢]

وَلَوْ أَنَّ هَذَا الْخَطِيبَ أَتَمَّ النَّصَّ الْقُرْآنِيَّ (٨٣-٨٥) مِنْ ذَاتِ السُّورَةِ، أَوْ قَرَأَ السُّورَةَ بِتَدْبِيرٍ، أَوْ رَاجَعَ تَفْسِيرَهَا، أَوْ كَانَ مَمَّنْ يَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ بِتَمَعٍ لَعَلَّمَ أَيَّ تَحْرِيفٍ ارْتَكَبَ فِي حَقِّ هَذِهِ الْآيَةِ وَالْإِسْلَامِ وَلَكِنَّهُ التَّرَلَّفُ.

التَّفْسِيرُ الْحَقُّ لِهَذِهِ الْآيَةِ الْمُنْسَجَمُ مَعَ جَوِّ السُّورَةِ نَفْسِهَا
وَمَوْقِفِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْمِلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ:



يَقُولُ صَاحِبُ الظَّلَالِ (٣/ ١٧-٢١) وَلَقَدْ وَرَدَتْ رَوَايَاتٌ لَهَا قِيَمَتُهَا فِي تَحْدِيدِ مَنْ هُمُ النَّصَارَى الْمَعْنِيُّونَ بِهَذَا النَّصِّ أوردَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ قَالًا: وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي النَّجَاشِيِّ وَأَصْحَابِهِ، وَسَاقَ الْقِصَّةَ إِلَى قَوْلِهِ: ثُمَّ أَمَرَ جَعْفَرًا أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، فَقَرَأَ سُورَةَ "مَرْيَمَ" فَقَامُوا تَفِيضُ أَعْيُنُهُمْ مِنَ الدَّمْعِ فَهَمُّ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ:

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ۖ﴾

وَذَكَرَ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ أَنَّهُ قَالَ: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَفَدَّ مِنَ النَّصَارَى حِينَ ظَهَرَ خَبْرُهُ، مِنَ الْحَبَشَةِ فَوَجَدُوهُ فِي الْمَسْجِدِ فَكَلَّمُوهُ وَسَلَّوْهُ ... فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَمَّا أَرَادُوا دَعَاَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ فَلَمَّا سَمِعُوهُ فَاضَتْ أَعْيُنُهُمْ مِنَ الدَّمْعِ، ثُمَّ اسْتَجَابُوا لَهُ وَآمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا كَانَ يُوصَفُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِمْ مِنْ أَمْرِهِ ... وَيُقَالُ: إِنَّ فِيهِمْ نَزَلَتْ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ ...

وَقَالَ قَتَادَةُ: نَزَلَتْ فِي نَاسٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ كَانُوا عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْحَقِّ مِمَّا جَاءَ بِهِ عِيسَى، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ آمَنُوا بِهِ فَأَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

وهذا الذي نُقِرَّره في معنى هذا النص، والذي يدلُّ عليه السياق بذاته وتوَيِّدُهُ هذه الروايات التي أسلفنا هو الذي يَتَّفَقُ مع بَقِيَّةِ التَّقْرِيرَاتِ في هذه السُّورَةِ وفي غيرها عن مَوْقِفِ أَهْلِ الْكِتَابِ عَامَّةً - الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى - من هذا الدِّينِ وأَهْلِهِ، كما أَنَّهُ هو الَّذِي يَتَّفَقُ مع الْوَاقِعِ التَّارِيخِيِّ الَّذِي عَرَفْتَهُ الْأُمَّةُ الْمُسْلِمَةُ خِلَالَ أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا.

إِنَّ السُّورَةَ وَحْدَةً فِي اتِّجَاهِهَا وَظِلَالِهَا وَجَوِّهَا وَأَهْدَافِهَا ... وقد وَرَدَتْ في هذه السُّورَةِ نَفْسُهَا نُصُوصٌ وَتَقْرِيرَاتٌ تُحَدِّدُ معنى هذا النصِّ الَّذِي نَوَاجِهُهُ هُنَا وَتَجْلُوهُ نَذَكُرُ مِنْهَا:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ۚ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾
[المائدة: ٥١]

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾
[المائدة: ٦٨]

كَذَلِكَ جَاءَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ:

﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ۗ وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۖ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾
[١٢٠]

كذلك صدّق الواقع التاريخي ما حدّر الله الأمة المسلمة إيّاه، من اليهود ومن النصارى سواهم.

وإذا كان الواقع التاريخي قد حفظ لليهود وقفّتهم النكدة للإسلام منذ اليوم الأول الذي دخل فيه الإسلام عليهم المدينة ... فإنّ هذا الواقع قد حفظ كذلك للنصارى الصليبيين أنّهم اتخذوا من الإسلام موقف العداء منذ معركة اليرموك ...



لقد تجلّت أحقاد الصليبيّة على الإسلام وأهله في الحروب الصليبيّة المشهورة طوال قرنين من الزمان، كما تجلّت في حروب الإبادة التي شنتها الصليبيّة على الإسلام والمسلمين في الأندلس، ثمّ في حملات الاستعمار والتبشير على الممالك الإسلاميّة في إفريقيا أولاً، ثمّ في العالم كلّه أخيراً.

ولقد ظلّت الصّهيوينيّة العالميّة، والصليبيّة العالميّة حليفين في حرب الإسلام – على كلّ ما بينهما من أحقاد – ولكنّهم كانوا في حربهم للإسلام كما قال عنهم العليم الخبير **(بعضهم أولياء بعض)** [الأنفال: ٧٣] حتّى مزّقوا دولة الخلافة أخيراً .

وهذا ما ينبغي أن يعيه الواعون اليوم وغداً، فلا ينساقوا وراء حركات التمييع الخادعة، أو المخدوعة التي تنظر إلى أوائل مثل هذا النصّ القرآنيّ دون متابعة لبقية.

ودون متابعة لسياق السورة كلّها.

ودون متابعة لتقريرات القرآن عامّة

ودون متابعة للواقع التاريخي الذي يصدّق هذا كلّه ...

أقول: إنّما أطلت هنا لأهميّة هذا الأمر ولكم لوي عنق هذا النصّ ليأخذ منه مادة قرآنيّة لمدح الملة النصرانيّة هكذا على العموم والتعميم والله أعلم.

٢- التَّلَاعِبُ بِآيَاتِ الْجِهَادِ:

إِنَّ الْجِهَادَ هُوَ دِرْعُ الْأَمَّةِ الْحَصِينِ، وَلَمْ يَصِلْ حَالُ الْأَمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَى مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَذَلَّةِ وَالْمَهَانَةِ إِلَّا عِنْدَمَا أُغْمِدَتْ سَيْفُهَا، وَعَقَرَتْ جَوَادِهَا، وَمَنَحَتْ - لِأَعْدَائِهَا - أَكْتَافَهَا.

وَلَقَدْ شَنَّ أَعْدَاءُ الْأَمَّةِ وَاتَّبَاعُهُمْ حَمَلَةً شَرِسَةً ضِدَّ الْجِهَادِ، وَمِنْ آثَارِ تِلْكَ الْحَمَلَةِ أَنَّهُمْ قَصَرُوا الْجِهَادَ عَلَى صَدِّ الْعُدْوَانِ وَحَسْبُ - وَ لَيْتَ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ يَدَافِعُونَ عَنْ بِلَادِهِمْ - وَعَطَّلُوا السَّبَبَ الثَّانِي أَلَا وَهُوَ الْقِتَالُ لِنَشْرِ الْإِسْلَامِ - بَعْدَ التَّبْلِيغِ مِنَّا وَالرَّفْضِ مِنْهُمْ -

وَلَقَدْ تَأَثَّرَ كَثِيرٌ مِنَ الْخُطَبَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَالِدُّعَاةِ عَنْ طَيْبِ نِيَّةٍ، أَوْ عَنْ سُوءِ نِيَّةٍ بِتِلْكَ الدَّعَاوَى الَّتِي قَرَّمَتْ مِنْ شَأْنِ الْجِهَادِ، وَحَصَرَتْهُ فِي صَدِّ الْعُدْوَانِ وَقَصَرَتْهُ عَلَيْهِ دُونَ بَاقِي الْأَسْبَابِ الْأُخْرَى، وَلَقَدْ وَجَدَ هَؤُلَاءِ الْمَخْدُوعُونَ أَوْ الْمُخَادِعُونَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ حُجَّةً لَهُمْ وَأَعْنِي قَوْلَهُ تَعَالَى:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾

[البقرة: ١٩٠]

التَّفْسِيرُ الْحَقُّ لِهَذِهِ الْآيَةِ:



يَقُولُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ جَرِيرٍ (٣ / ٥٦١) اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هَذِهِ الْآيَةُ هِيَ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ بِقِتَالِ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَقَالُوا: أُمِرَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ بِقِتَالِ مَنْ قَاتَلَهُمْ مِنَ الْمَشْرُكِينَ، وَالْكَفَّ عَمَّنْ كَفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ نُسِخَتْ بِ " بَرَاءَةِ " .

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ ذَكَرَهُ لِلْمُسْلِمِينَ بِقِتَالِ الْكُفَّارِ، لَمْ يُنْسَخْ وَإِنَّمَا الْإِعْتِدَاءُ الَّذِي نَهَاَهُمُ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ نَهْيُهُ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالذَّرَارِيِّ

قَالُوا: وَالنَّهْيُ عَنْ قَتْلِهِمْ ثَابِتٌ حُكْمُهُ الْيَوْمَ.

قَالُوا: فَلَا شَيْءَ نُسِخَ مِنْ حُكْمِ هَذِهِ الْآيَةِ.

أقول: والذي يُفهم من كلام ابن جرير أنّ هذه الآية إن كانت منسوخة فلا حجة فيها على قصر أسباب الجهاد في صدّ العدوان، ولئن لم تكن منسوخة – وهذا ما رجّحه ابن جرير – فإنّ معناها تحريم قتل من لا يُقاتل وليس لهذا المعنى صلة بأسباب القتال.



يقول الدكتور هيكل في كتابه الفذ: " الجهاد والقتال في السياسة الشرعية " (١ / ٨١٥) موضحاً أسباب القتال وأنها لا تقف عند صدّ العدوان فقط " إنّ الجهاد شرع أول ما شرع حرباً دفاعية ضدّ من يبدأ المسلمين بالاعتداء والقتال ... ثم جاء الإذن بأن يبدأ المسلمون الكفار بالقتال بعد تبليغهم الدعوة ورفضهم لها ولو لم يصدر من الكفار عدوان على المسلمين ...



يقول العلامة الجصاص (٣ / ١٩١) " ولا نعلم أحداً من الفقهاء يحظر قتال من اعتزل قتالنا من المشركين، وإنما الخلاف في جواز ترك قتالهم لا في حظره، فقد حصل من الجميع الاتفاق على نسخ حظر القتال لمن كان وصفه ما ذكرنا ".

٣- التلاعبُ بآياتِ الربّ:



إنّ الربّا من أكبر الكبائر، ولقد توعّد الله مُرتكبيه بالحرب التي لا هوادة فيها، وسّع الرسول ﷺ من دائرة اللعن لتتجاوز آخذه ومُعطيّه إلى كلّ من له صلة بتلك الجريمة النكراء، ولقد سبق القرآن إلى تحريم الربّا كلّ من التّوراة والإنجيل، فتحريم الربّا ممّا توافقت عليه الشرائع السّماوية جمعاء.

غيرَ أَنَّ الْيَهُودَ فَتَحُوا بَابَهُ فَدَخَلَ فِيهِ النَّصَارَى، وَلَمْ يَلْبَثِ الْمُسْلِمُونَ أَنْ تَوَرَّطُوا هُمْ أَيْضاً فِيهِ حَتَّى إِنَّ أَغْلَبَ الْحُكُومَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْيَوْمَ بَنَتْ اقْتِصَادَهَا عَلَى النِّظَامِ الرَّبُّوبِيِّ.



وَلَيْسَ الْعَجَبُ مِنْ سُكُوتِ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ عَلَى هَذِهِ الْكَبِيرَةِ بَلْ إِنَّ بَعْضَهُمْ سَارَ فِي رِكَابِ مَنْ أَحَلَّ الرَّبَّاءُ فَجَعَلَ يَلْوِي بَعْضاً مِنَ النُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ لِتَشْهَدَ لَهُ زُوراً عَلَى مَا يُرِيدُ.

وَلَقَدْ أَكْثَرَ هَؤُلَاءِ مِنَ الْاسْتِدْلَالِ بِهَذِهِ الْآيَةِ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً ﴾ [آل عمران: ١٣٠]

فَأَوْهَمُوا النَّاسَ أَنَّ الرِّبَا إِذَا لَمْ يَكُنْ أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً حَلَّ أَكْلُهُ وَسَاغَ تَعَاطِيهِ!

وَهَذَا خِلَافُ مَا أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ وَلَوْ أَنَّهُمْ طَالَعُوا مَا قَالَهُ عُلَمَاءُ التَّفْسِيرِ لَانْتَهَوْا عَمَّا يَقُولُونَ، وَبُنَسَ مَا يَقُولُونَ.



يَقُولُ الْعَلَّامَةُ الرَّازِي (١٠ / ٤٨) وَقَوْلُهُ " لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً " لَا دَلَالَهَ فِيهِ عَلَى إِبَاحَةِ الْأَكْلِ عِنْدَ زَوَالِ هَذِهِ الْحَالَةِ.

وَيَقُولُ الْعَلَّامَةُ الْجَصَّاصُ (٢ / ٣٢٤) وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً ﴾ [آل عمران: ١٣٠]

قِيلَ: فِي مَعْنَى أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا: الْمُضَاعَفَةُ بِالتَّأْجِيلِ أَجْلاً بَعْدَ أَجَلٍ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ قِسْطٌ مِنَ الزِّيَادَةِ عَلَى الْمَالِ.

وَالثَّانِي: مَا يُضَاعَفُونَ بِهِ أَمْوَالُهُمْ.

وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْمَخْصُوصَ بِالذِّكْرِ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَا عَدَاهُ بِخِلَافِهِ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ ذِكْرُ تَحْرِيمِ الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً دَلَالَةً عَلَى إِبَاحَتِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً.

فَلَمَّا كَانَ الرِّبَا مَحْظُوراً بِهَذِهِ الصِّفَةِ وَبِعَدَمِهَا دَلٌّ ذَلِكَ عَلَى فُسَادِ قَوْلِهِمْ فِي ذَلِكَ أَهـ.

موقفٌ مُستغربٌ من بعضِ الخطباءِ!



كانتِ المصارفُ الربويَّةُ مُنفردةً في بلادنا
ومُستأثرةً بالسَّاحةِ الاقتصاديَّةِ كلها ثمَّ بدأتِ
المصارفُ الإسلاميَّةُ تدخُلُ بلادنا رُويداً رُويداً،
فما كان مِنِّي إلَّا أنْ خَطبتُ مُعلنًا عن دخولها
ومُرحِّباً بها وداعياً إلى التَّعاملِ معها ونَبِّذَ ما
سِواها.

والَّذي فاجأني هو موقفُ بعضِ الخطباءِ حيثُ بدؤوا يُشكِّكون ويغْمِزونَ
بتلكِ المصارفِ الإسلاميَّةِ فما كان مِنِّي إلَّا أنْ خَطبتُ وقلْتُ:

أوليسَ من العَجيبِ أنَّ الكثيرَ من الَّذِينَ يُشكِّكون ويغْمِزونَ بالمصارفِ
الإسلاميَّةِ لم يُهاجموا الآنَ ولا فيما مَضَى البَنوكُ الربويَّةُ!

ولئنْ كان الشَّكُّ في هذه المصارفِ ١٠٪ فإنَّ تلكَ حرامٌ ١٠٠٪ فلماذا
يسكِّتون عن الحرامِ الخالصِ، ويُلاحِقون ما فيه شكٌّ – كما يزعمون –
ولصالحٍ من هؤلاءِ يعملون؟!

إنَّه بلا شكٍّ مَسَلَكٌ مُريبٌ ... إلى آخرِ ما قُلْتُهُ.

٤- إِباحَةُ الرَّدَّةِ:

الإسلامُ بعقيدَتِهِ وشريعَتِهِ ومَنظومَتِهِ الأخلاقيَّةِ لا يحتاجُ مثلهُ – ولا مثَلُ
لهُ – إلى أنْ يُكرَه أحدٌ على الدُّخولِ فيه، ويكفي الدُّعَاةُ أنْ يُحسِنُوا تَقْدِيمَهُ
للنَّاسِ فيُقبِلوا عليه زُرَّافاتٍ ووحداناً، ولكن من دَخَلَ في هذا الدِّينِ عن قَنَاعَةٍ
فلا يَجوزُ له الخُروجُ عنه فإن فَعَلَ – واستُتِيبَ ثمَّ لم يَثْبُ – فإنَّه يُقتَلُ رَدَّةً،
ثم لا يُغسَلُ، ولا يُصَلَّى عليه، ولا يُدفَنُ في مقابرِ المُسلمين، وهذا ممَّا لا
خِلافَ فيه بينَ أَهْلِ العِلْمِ.

رَوَى الشَّيْخَانِ وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي مُوسَى (٧١٥٧) أَنَّ رَجُلًا أَسْلَمَ
ثُمَّ تَهَوَّدَ فَاتَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَهُوَ عِنْدَ أَبِي مُوسَى فَقَالَ: مَا لِهَذَا؟

قال: أَسْلَمَ ثُمَّ تَهَوَّدَ

قال: " لَا أَجْلِسُ حَتَّى أَقْتُلَهُ، قِضَاءُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ "

وفي روايةٍ لِلْبُخَارِيِّ: فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ.

قال الإمام النُّووي (٢٠٨ / ١٢) فِيهِ وُجُوبُ قَتْلِ
المرتدِّ، وقد أجمَعُوا على قَتْلِهِ اهـ.

و رَغْمُ وُضُوحِ الْأَمْرِ وَوُقُوعِ الْإِجْمَاعِ عَلَيْهِ كَمَا
نَقَلَهُ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ جَاءَ فِي عَصْرِنَا مَنْ يُنَازِعُ فِي
ذَلِكَ، وَيَغَالِطُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْمَنَابِرِ وَفِي الْمَحَافِلِ
مُسْتَدَلًّا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]

يقول العلامة القُرطبي (٣٩٣ / ١٠) ومعنى
الآية: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْفَلْنَا قُلُوبَهُمْ، أَيُّهَا
النَّاسُ مِنْ رَبِّكُمْ الْحَقُّ فَإِلَيْهِ التَّوْفِيقُ وَالْخِذْلَانُ،
وَبِيْدِهِ الْهُدَى وَالضَّلَالُ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُؤْمِنُ،
وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيُكْفِرُ ... فَإِنْ شِئْتُمْ فَأَمِنُوا، وَإِنْ
شِئْتُمْ فَاكْفُرُوا وَلَيْسَ هَذَا بِتَرْخِيصٍ وَتَخْيِيرٍ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ،
وَإِنَّمَا هُوَ وَعِيدٌ وَتَهْدِيدٌ، أَي: إِنْ كَفَرْتُمْ فَقَدْ أَعَدَّ لَكُمْ النَّارَ، وَإِنْ آمَنْتُمْ فَلَكُمْ
الْجَنَّةُ...

٥- التلاعب بمفهوم الشهادة :

الشهيدُ مصطلحٌ إسلامي ، وهذا المصطلح خاص بمن يُقْتَل من المسلمين
في معركةٍ ضِدَّ الْكُفَّارِ كَقَتْلَى الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةِ أُحُدَ ، وَفَتْوحِ الشَّامِ
وَالْعِرَاقِ وَمِصْرَ وَمَعَارِكِ الْمَغُولِ وَالصُّلَيْبِيِّينَ ...

ومن الفقهاء من وقف بهذا المصطلح عند هذا الحد ، ومنهم من توسع
به فأدخل فيه من يُقْتَل من المسلمين في معركةٍ ضِدَّ الْبَغَاةِ وَقَطَاعِ الطَّرِيقِ .

ويذكر الإمام النووي السر وراء تسمية الشهيد بهذا الاسم فيقول :

١- لأن الله ورسوله شهدا له بالجنة .

٢- لأن روحه تشهدُ دار السلام .

ورغم وضوح ما سبق فقد تعرض هذا المصطلح الديني العظيم
لاعتداءات سافرة.

فهذا شهيدٌ لا لشيء إلا لأنه ابن المسؤول الفلاني!

وهذا شهيد الفن أو الرياضة أو الحب أو النساء!

ولعل أخطر ما في الأمر هو إطلاق الشهادة على من قُتِلَ في المعارك
من غير المسلمين كالنصارى.



ومما حدث معي أني خطبت ذات يومٍ عن مفهوم الشهادة
بمناسبة عيد الشهداء وكان فيما قلته إن **جول جمال**
(١٩٣١-١٩٥٦) وهو سوري مسيحي قام بعملية فدائية ضد
البارجة الفرنسية (جان بار).

قلت : إنه لا يجوز أن يُسمى شهيداً لأن هذا المصطلح خاص
بالمسلمين وأقامت كلمتي الدنيا ولم تقعدها .

حتى إنني استدعيت الى بعض الجهات الأمنية للتحقيق معي فيما قلته.

وكان فيما قلته للمحقق إن هذا المصطلح مصطلح إسلامي وهذا الرجل
ليس مسلماً ولعل النصارى لا يُسمون موتاهم شهداء بل لعلمهم لا يؤمنون
بالجنة التي نؤمن بها أنفسميه شهيداً رغم أنفه وأنفهم!

النهر الجاري:



هذا ويمكن للخطيب أن يجعل من القرآن أو من بعض سورته أو من بعض آياته أو من بعض مواضيعه سلسلةً تجري على منبره يتلو بعضها بعضاً كأنها دفقاتُ نهرٍ عذبٍ.



غير أن هذا المسلكَ وعِرٌّ وصعبٌ وليس سهلاً كما يبدو، وأنصح للخطيب الذي يجد من نفسه ميلاً نحو هذا النوع من الخطب أن يطالع خطب الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - ليتعلم منه طريقته الفذة في تفسير القرآن على المنبر، وليحذر أن يعيد ما قاله على منبره.

القرآن على منابرنا اليوم!

إنه مما يؤسف له ما آل إليه حال القرآن على منابرنا و في محافلنا فقد انحسر الاستشهاد بالقرآن العظيم إلى حدٍّ غير مسبوقٍ وغير مقبولٍ، ففي كثيرٍ من الخطب لا تكاد تسمع سوى آيةٍ أو آيتين، في حين غاب القرآن أو كاد عن محافلنا.

ومردُّ هذه الظاهرة الخطيرة يعودُ إلى أن العلاقة بين الدعاة والقرآن قد وهنت إلى حدٍّ بعيدٍ، وقد لمستُ هذا بنفسِي من خلال معرفتي بهم، فتلاوتهم له قليلة، والحافظون له من بين جموع الدعاة يُعدّون على أصابع اليد، وصلّتهم بتفسيره لا تتجاوز ما درّسوه على مقاعد الدراسة في المعاهد



والجامعات - وما أقلها - وهذه الظاهرة ظاهرة سلبيةٌ جداً، وخطيرةٌ جداً، ولا بدّ من تلافيها بالعودة إلى رحاب القرآن تلاوةً وحفظاً وتفسيراً، وحبذا لو ألزمت المعاهد والجامعات بحفظ القرآن كلّ كما هو الحال في الأزهر الشريف الذي كان لي شرف الانتساب إليه والتخرج فيه.

٦- الخُطيبُ وأحاديثُ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلّم

سمعتُ الرّسولَ ﷺ يقولُ:

روى البخاريُّ في صحيحه في كتابِ بدءِ الوحي وهو الحديثُ الأوّلُ عنده عن علقمة بن وقاص اللّيثي أنّه قال: سمعتُ عمرَ بن الخطّابِ على المنبرِ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: " إنّما الأعمالُ بالنيّاتِ ... الحديث "

روى البخاريُّ في صحيحه في كتابِ أحاديثِ الأنبياء عن ابن عبّاسٍ (٣٤٤٥) أنّه قال: سمعتُ عمرَ يقولُ على المنبرِ سمعتُ النّبِيَّ ﷺ يقولُ: لا تطروني كما أطرت النصارى ابنَ مريم .. الحديث

روى البخاريُّ في صحيحه في كتابِ الصّوم عن حميد بن عبد الرّحمن (٢٠٠٣) أنّه سمعَ مُعاويةَ بنَ أبي سُفيانَ - يومَ عاشوراء عام حجٍّ - على المنبرِ يقولُ: " يا أهلَ المدينة أين علماؤكم؟ سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ هذا يومَ عاشوراء ولم يكتبِ الله عليكم صيامه، وأنا صائمٌ فمن شاء فليصم، ومن شاء فليفطر.

روى مُسلمٌ في صحيحه في كتابِ الإمارة عن عُمر بن هانئ (١٠٣٧) أنّه قال: سمعتُ مُعاويةَ على المنبرِ يقولُ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: لا تزال طائفةٌ من أمتي قائمةً بأمرِ الله ... الحديث

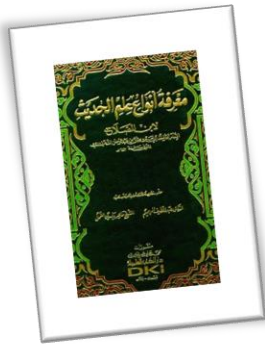
روى أبو داودَ في كتابِ الصّلاة عن أبي الزُّبَيْرِ أنّه قال: سمعتُ عبدَ الله بن الزُّبَيْرِ على المنبرِ يقولُ: كان النّبِيُّ ﷺ إذا انصرفَ من الصّلاة يقولُ: لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له ... الحديث

• مَنَابِرُنَا وَالْحَدِيثُ:

لأحاديثِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ حُضورُها - الَّذي لا تخطئُه الأذنُ - من فوق منابرنا، وفي مَحافِلنا العامَّةِ والخاصَّةِ حتَّى إنَّها زاحمت القرآنَ وزَحمتَه، إذ قلَّما تخلو خُطبةُ خُطيبٍ، أو كلمةُ مُتكلِّمٍ في مَحفلٍ عامٍّ أو خاصٍّ، من عددٍ وافرٍ من أحاديثِ النَّبيِّ عليه أركى الصَّلَاةِ وأتمِّ السَّلَامِ وللحديثِ بقيَّة.

زاد الخُطيب من أحاديثِ الحبيب ﷺ:

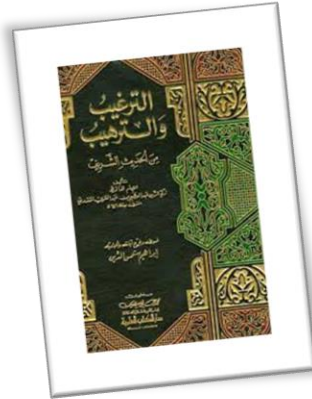
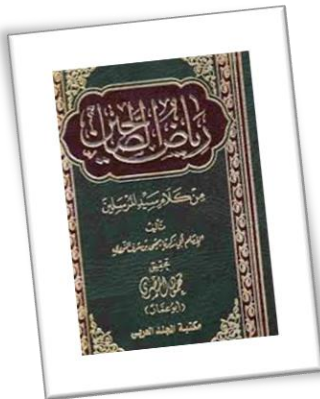
إنَّ الحديثَ الشَّريفَ هو المُكوِّنُ الثَّاني لثقافةِ الدُّعاةِ عُموماً والخُطباءِ خصوصاً فعلى الخُطيب -خُطيبِ المنابرِ والمَحافلِ- أن يوثقَ صِلَتَه بالسُّنَّةِ النَّبويَّةِ وعلومِها مُطالعةً وحِفظاً وتفهُماً.



يقولُ العَلَّامةُ ابنُ الصَّلَاح في كتابه الفذُّ " معرفةُ أنواعِ علومِ الحديثِ " (ص/ ٢٥١) " وليُقَدِّم العِنايةَ بالصَّحَّاحينَ ثمَّ بسُننِ أبي داودَ، وسُننِ النَّسائي، وكتابِ التِّرْمِذِي، ضَبْطاً لِمُشكِلهَا، وفَهْماً لَحَفِيٍّ مَعَانِيهَا ولا يُخَدَعَنَّ عن كتابِ السُّننِ الكَبيرِ لِلبيهَقي فَإِنَّا لا نَعْلَمُ مِثْلَه في بابِه ...

أقولُ: ومن الكُتُبِ التي تَمسُّ حاجةَ الخُطيبِ إليها سِوى تلكِ الكُتُبِ الأُصول:

- ١- كتابُ التَّرجيبِ والتَّرهيبِ لِلحافظِ المُنذِري (ت: ٦٥٦ هـ)
- ٢- كتابُ رياضِ الصَّالحينَ لِلوليِّ الصَّالحِ النَّووي (ت: ٦٧٦ هـ)



وذلك لا اعتنائها بجمع باقية رائعة من أحاديث الوعظ والإرشاد التي يتداولها الخطباء على منابرهم وفي محافلهم.

يقول العلامة ابن الصلاح: (ص/ ٢٥٠) ثم لا ينبغي لطالب الحديث أن يقتصر على سماع الحديث، وكنته دون معرفته وفهمه، فيكون قد أتعب نفسه من غير أن يظفر بطائل، وبغير أن يحصل في عداد أهل الحديث، بل لم يزد على أن صار من المتشبهين المنقوصين، المتحلين بما هم منه عاطلون.

ثم روى هذين البيتين للأديب فارس بن الحسين يقول فيهما:



ذهبت بمدته الرواية
ية بالرواية والدراية
فالعلم ليس له نهاية

يا طالب العلم الذي
كن في الرواية ذا العنا
و ارو القليل وراعاه

لتوتّي ثمارها:

إن الاستشهاد بحديث رسول الله ﷺ من فوق المنابر، وفي المحافل عامها وخاصها، ولمختلف المناسبات – ظاهرة سليمة وصحيحة وصحيّة أيضاً، ولكن ولكي توتّي هذه الظاهرة ثمارها المرجوة منها فلا بدّ للخطيب أن يُراعي جملة من الأمور وهي:

شرح
وبيان
معناه

بيان حاله

قراءته
قراءة
سليمة

صلاحيته
للاحتجاج

مناسبته
للموضوع

١- مُنَاسِبَةُ الْحَدِيثِ لِلْمَوْضُوعِ:



إِنَّ أَوَّلَ مَا يَنْبَغِي عَلَى الْخَطِيبِ هُوَ أَنْ يَخْتَارَ مِنَ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ مَا يُنَاسِبُ مَوْضُوعَهُ -خُطْبَةً كَانَ أَمْ كَلِمَةً بِشَكْلِ عَامٍ، وَلِلْفِكْرَةِ الْجُزْئِيَّةِ بِشَكْلِ خَاصٍ- مُنَاسِبَةً تَامَّةً.

وَإِذَا مَا وَجَدَ الْخَطِيبُ عِدَّةَ أَحَادِيثٍ مُنَاسِبَةٍ فَلْيَخْتَرْ أَصَحَّهَا وَأَوْضَحَهَا وَأَقْرَبَهَا فَهَمَّا لِلْجُمْهُورِ.

٢- صِلَاحِيَّتُهُ لِّلْاِحْتِجَاجِ:

وَبَعْدَ أَنْ يَخْتَارَ الْخَطِيبُ الْأَحَادِيثَ الَّتِي يُرِيدُ أَنْ يَسْتَشْهَدَ بِهَا فِي خُطْبَتِهِ أَوْ فِي مَحْفَلِهِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَأَكَّدَ مِنْ صِلَاحِيَّتِهَا لِّلْاِحْتِجَاجِ بِهَا، فَلَيْسَ كُلُّ حَدِيثٍ يَقَعُ عَلَيْهِ الْخَطِيبُ أَثْنَاءَ تَحْضِيرِهِ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتْلُوهُ مِنْ عَلَى مِنْبَرِهِ، أَوْ فِي مَحْفَلِهِ، لَا بَلْ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنْ قُوَّةِ الثُّبُوتِ مَا يُؤْهِلُهُ لِذَلِكَ.

عَلَى أَنَّ الْمَقْدَارَ الْمَطْلُوبَ مِنْ قُوَّةِ الثُّبُوتِ يَخْتَلِفُ تَمَاماً بِاخْتِلَافِ الْفِكْرَةِ الَّتِي سَبَقَ الْحَدِيثُ مِنْ أَجْلِ الْاِسْتِشْهَادِ بِهِ لَهَا، وَالِاسْتِدْلَالِ بِهِ عَلَيْهَا.

وَهَذَا الْعَلَامَةُ ابْنُ الصَّلَاحِ يُوضِّحُ هَذَا الْمَقَامَ الْمَهْمَ فَيَقُولُ فِي كِتَابِهِ " عِلْمُ الْحَدِيثِ " (ص/ ١٠٣) مَا نَصَّهُ:

" يَجُوزُ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَغَيْرِهِمُ التَّسَاهُلُ فِي الْأَسَانِيدِ، وَرَوَايَةُ مَا سِوَى الْمَوْضُوعِ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ مِنْ غَيْرِ اِهْتِمَامٍ بِبَيَانِ ضَعْفِهَا فِيمَا سِوَى صِفَاتِ اللَّهِ، وَأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ مِنَ الْحَلَالِ وَ الْحَرَامِ وَ غَيْرِهَا، وَذَلِكَ كَالْمَوَاعِظِ وَالْقَصَصِ، وَفَضَائِلِ الْأَعْمَالِ، وَسَائِرِ فُنُونِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ، وَسَائِرِ مَا لَا تَعَلُّقَ لَهُ بِالْأَحْكَامِ وَالْعَقَائِدِ " .



ويقول الإمام النووي في كتابه "الأذكار" (ص / ٨): قال العلماء من المحدثين والفُقهاء وغيرهم: يجوزُ ويُستحبُّ العملُ في الفضائلِ والترغيبِ والترهيبِ بالحديثِ الضَّعيفِ ما لم يكن مَوْضوعاً.

وأما الأحكامُ كالحلالِ والحرامِ والبيعِ والنكاحِ والطلاقِ وغير ذلك فلا يُعملُ فيها إلا بالحديثِ الصَّحيحِ أو الحسنِ إلا أن يكونَ في احتياطٍ في شيءٍ من ذلك.



ويقول أستاذنا الدكتور بديع في كتابه "الإيضاح" (ص / ١٠١) "أصبح من البدهيِّ لدينا أن الحديثَ الصَّحيحَ والحسنَ صالحانِ للاحتجاجَ بهما وجواز العملِ بمقتضاهما سواءً في الأحكامِ الشرعيَّةِ أو في الفضائلِ والمناقبِ أو في الترغيبِ والترهيبِ.

وأما الحديثُ الضَّعيفُ فقد تعدَّدت فيه آراءُ أهلِ العِلْمِ ، واختلفت الأقوالُ والمذاهبُ، وتتلخَّص هذه المذاهبُ في ثلاثة وهي:

المذهبُ الأوَّلُ:

لا يُعملُ بالحديثِ الضَّعيفِ مُطلقاً – مهما كانت درجةُ ضعفه – فلا يُلتفتُ إليه لا في الأحكامِ ولا في سواها من أمورِ الشرعِ.

المذهبُ الثاني:

يُعملُ به مُطلقاً – إن لم يشتدَّ ضعفه ولم يكن في البابِ سواه – ووجهُ الإطلاقِ ومكانه عند أصحابِ هذا القولِ هو: الأحكامُ الشرعيَّةُ والفضائلُ والمناقبُ.

المذهبُ الثالثُ:

يُعملُ به في الفضائلِ والمناقبِ والترغيبِ والترهيبِ فقط، ولا يُعملُ به في الحلالِ والحرامِ فضلاً عن العقائدِ.

وقد ذكر أصحابُ هذا المذهبِ للعملِ به شروطاً وهي:

١- أن يكونَ الضَّعْفُ غيرَ شديدٍ، فيخرجُ من انفرادِ الكذابينِ والمتهمينِ وفاحشي الغلطِ.

٢- أن يكون مُندرجاً تحت أصلٍ عامٍّ مشروعٍ، فيُخرَجُ ما يُخترَعُ بحيث لا يكون له أصلٌ أصلاً.

٣- ألا يُعتقدَ عندَ العملِ به ثبوته، إلَّاءَ يُنسَبَ إلى النَّبيِّ ﷺ ما لم يَقُلْه ...

هذا وقد ذهبَ إلى هذا المذهبِ جُمهورُ العلماءِ والمُحدِّثين.

وأختمُ هنا بما ذكره ابنُ حجر الهيتميُّ يقولُ " قد اتَّفَقَ العُلَمَاءُ على جَوَازِ العملِ بالحديثِ الضَّعِيفِ في فُضائلِ الأَعْمَالِ لأنَّه إن كانَ صَحيحاً في نفسِ الأمرِ فقد أُعْطِيَ حَقُّهُ مِنَ العملِ به، وإلَّا لم يترتَّبْ على العملِ به مَفْسَدَةٌ تحليلٍ ولا تحريمٍ ولا ضياعُ حقٍّ للغيرِ".

٣- قراءته على الجمهورِ قراءةً سليمةً:

خَطَبْتُ ذاتَ مرَّةٍ عن موضوعِ السِّحْرِ فَسَقْتُ الحديثَ المُتَّفَقَ عليه أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قد سَحَرَ، سَحَرَهُ رَجُلٌ يَهُودِيٌّ وَمِمَّا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي سَقَيْتُهُ

" يَا عَائِشَةُ أَشَعَرْتُ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ ... "

فَضَمَمْتُ تَاءَ " أَشَعَرْتُ " وَلَمَّا أَنْ أَنْتَهَيْتُ مِنْ خُطْبَتِي دَنَا مِنِّي رَجُلٌ وَقَوْرٌ وَقَالَ لِي: الصَّوَابُ كَسْرُ التَّاءِ لَا ضَمُّهَا فَشَكَرْتُهُ ثُمَّ رَجَعْتُ وَرَاجَعْتُ الْحَدِيثَ وَشَرَحَهُ^١ فَكَانَ الصَّوَابُ مَعَهُ فَصَحَّحْتُ خَطْبِي فِي الْأُسْبُوعِ التَّالِي، وَشَكَرْتُ الرَّجُلَ مِنْ عَلَى مِنْبَرِي.

هذا وإنِّي لأُهَيِّبُ بِالسَّادَةِ الْخُطَبَاءِ- خُطَبَاءِ الْمَنَابِرِ وَالْمَحَافِلِ -أَنْ يَضْبُطُوا أَلْفَاظَ الْحَدِيثِ بِشَكْلِ سَلِيمٍ قَبْلَ إِقَائِهِ عَلَى جُمُهورِهِمْ، وَلَا سِيَّما الأَعْلَامَ الْوَارِدَةَ فِيهِ مِنْ أَسْمَاءِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْأَمَاكِينِ، وَعَيْنِ الْمُضَارِعِ....

و رَحِمَ اللَّهُ الْأَصْمَعِيَّ فَقَدْ حَشَى أَنْ يَكُونَ هَذَا لَوْنًا مِنْ أَلْوَانِ الْكَذِبِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

٤- بَيَانُ حَالِ الْحَدِيثِ:

^١ - جاء في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٦/٢٣) قوله " أشعرت " الخطابُ فيه لعائشة، أي: أعملتِ اهـ.

يَحْسُنُ - بل يجبُ - على الخطيبِ خطيبِ المنابرِ والمحافلِ أن يُشاركَ جمهورَه ببيانِ حالِ الحديثِ وذلك من خلالِ أمرينِ اثنين:

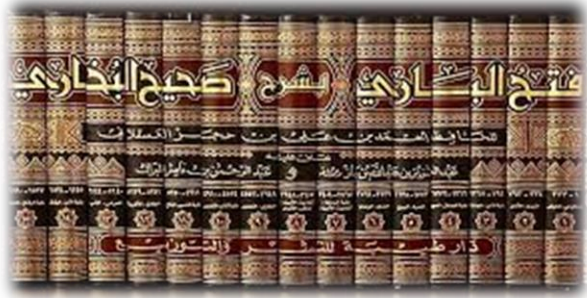
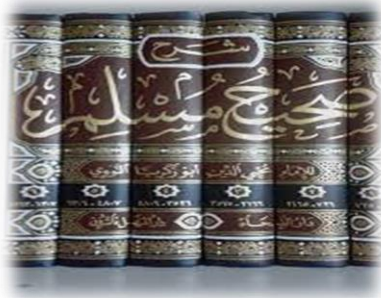
١- بيانُ مصدرِ الحديثِ الَّذي نَقَلَه عنه كالبُخاريِّ ومُسْلِمٍ والترمذيِّ وأبي داوود والنسائيِّ وابنِ ماجه ...



٢- بيانُ دَرَجَةِ الحديثِ، ولْيُعَوَّلَ في ذلك على ما ذَكَرَهُ جَهانْدَةُ ونُقَادُ الحديثِ من أمثالِ التِّرْمِذِيِّ وأبي داوَدَ والمُنْذِرِيِّ والنُّوويِّ وابنِ حجرٍ والعِرَاقِيِّ والسَّيُوطِيِّ ... وليَكُنْ من تخريجِ كثيرٍ من المُعاصِرِينَ على حَدَرٍ.

٥- شرحُه وبيانُ معناه:

بعدَ أن يستكملَ الخطيبُ -خطيبُ المنابرِ والمحافلِ- الخُطواتِ السَّابِقَةَ جميعَها عليه أن يَشرحَ الحديثَ لجمهورِه شرحاً أدبيّاً رائعاً وليَحْذِرُ كُلَّ الحَذَرِ أن يَشرحَه مِن قِبَلِ نَفْسِهِ، أو أن يَتَّكِلَ على فَهْمِ الجمهورِ له، فهو إن لم يَكُنْ خطأً فَإِنَّهُ سَيَكُونُ فهِماً سَطَحِيّاً جَدّاً، ولْيُراجِعْ في ذلك الشُّروخَ المُعْتَبَرَةَ والمُعْتَمَدَةَ، وما أَكثَرُها في مَكْتَبَتِنَا الإِسْلامِيَّةِ، ومن أبرَزها شَرَحُ ابنِ حجرٍ على البُخاريِّ، والنُّوويِّ على مُسْلِمٍ ...



نماذج مُحزنة!

حَضَرَتْ خُطْبَةً عِنْدَ خَطِيبٍ شَابٍ غَرٍّ فِي مَسْجِدٍ جَامِعٍ فَإِذَا بِهِ يَسُوقُ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ:

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بِرَقْمٍ (٦٤١٢) أَنَّهُ قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ "

ثُمَّ فَسَّرَ (مَغْبُونٌ) بِقَوْلِهِ (مَحْسُودٌ) وَهُوَ غَلَطٌ فَادِخٌ وَصَوَابُ التَّفْسِيرِ: (خَسِرَانٌ).

قَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ خَلْفٍ: وَمَعْنَى يُغْبَنُ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: أَي: يَذْهَبُ رِبْحُهُمْ أَوْ يَنْقُصُ.

• قِصَّةٌ أُخْرَى:

وَهِيَ أَعْجَبُ مِنْ سَابِقَتِهَا فَقَدْ حَضَرَتْ خَطِيباً يُحَدِّثُ جُمْهُورَهُ عَنْ أَحْكَامِ الْأَضَاحِيِّ فَسَاقَ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ:

رَوَى ابْنُ مَاجَهٍ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَرْبَعٌ لَا تُجْزَى فِي الْأَضَاحِيِّ:



الْعَوْرَاءُ الْبَيِّنُ عَوْرُهَا

وَالْمَرِيضَةُ الْبَيِّنُ مَرَضُهَا

وَالْعَرَجَاءُ الْبَيِّنُ ظَلْعُهَا

وَالْكَسِيرَةُ الَّتِي لَا تُنْقِي... الْحَدِيثُ

ثُمَّ قَالَ: وَمَعْنَى (لَا تُنْقِي) أَي: لَا مُخَّ لَهَا، ثُمَّ فَسَّرَ الْمُخَّ بِالْعَقْلِ!!!

قَالَ السِّنْدِي فِي شَرْحِهِ عَلَى ابْنِ مَاجَهَ (٢ / ٢٧٧) عِنْدَ قَوْلِهِ (لَا تُنْقِي) مِنْ أَنْقَى إِذَا صَارَ ذَا نِقْيٍ أَيْ: ذَا مُخٍّ، فَالْمَعْنَى الَّتِي مَا بَقِيَ لَهَا مُخٌّ مِنْ غَايَةِ الْعَجْفِ.

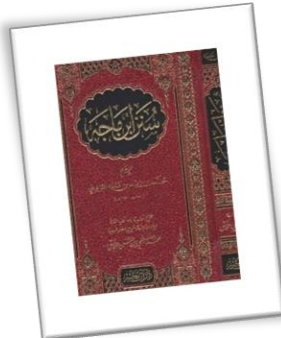
فَلَا أَدْرِي مَنْ الَّذِي لَا عَقْلَ لَهُ؟؟؟

• وَرَعُ الْأَصْمَعِيِّ:

رَوَى ابْنُ الصَّلَاحِ فِي كِتَابِهِ "عُلُومُ الْحَدِيثِ" (ص / ٢٧٣) عَنْ الْأَصْمَعِيِّ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَعْنَى حَدِيثِ "الْجَارُ أَحَقُّ بِسَقْبِهِ" فَقَالَ وَهُوَ الْإِمَامُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ: أَنَا لَا أَفْسِرُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَكِنَّ الْعَرَبَ تَزْعُمُ أَنَّ السَّقْبَ اللَّزِيْقَ.

• شَرْحُهُمْ وَشَرْحُنَا:

شَاءَ اللَّهُ لِي أَنْ أَقْرَأَ الْكُتُبَ السِّتَّةَ (صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ، وَصَحِيحَ مُسْلِمٍ، وَسَنَنَ أَبِي دَاوُدَ، وَجَامِعَ التِّرْمِذِيِّ، وَسَنَنَ النَّسَائِيِّ، وَسَنَنَ ابْنِ مَاجَهَ)



مَثْنَى وَثَلَاثَ وَكُنْتُ أُعَلِّقُ عَلَى كُلِّ حَدِيثٍ بِمَا يَفْتَحُ اللَّهُ، ثُمَّ شَاءَ اللَّهُ أَنْ نَبْدَأَ بِقِرَاءَةِ شُرُوحِ تِلْكَ الْكُتُبِ بِدَايَةِ شَرْحِ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ، ثُمَّ شَرَحَ ابْنُ حَجَرٍ عَلَى الْبُخَارِيِّ ... فَاكْتَشَفْتُ أَمْرَيْنِ:

- ١- أَنَّ بَعْضاً مِنَ الْأَحَادِيثِ كَانَ فَهْمُنَا لَهَا مَغْلُوطاً
٢- أَنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحَادِيثِ كَانَ فَهْمُنَا لَهَا سَطَحِيّاً جَدّاً.

ولذا فأنا أنصحُ كلَّ خَطِيبٍ ألاَّ يَطْرَحَ حَدِيثاً حَتَّى يُرَاجِعَ شَرْحَهُ فِي أَكْثَرِ
مَنْ مَرَّجِعٍ مِنْ مَرَّاجِعِ الشَّرْحِ، وَلَا سَيِّمًا شَرْحَ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ، وَابْنِ حَجَرٍ
عَلَى الْبُخَارِيِّ ... فَإِنَّهُ سَيَقِفُ عَلَى ثَرْوَةٍ عِلْمِيَّةٍ لَا نَظِيرَ لَهَا!

مثالٌ رائعٌ:



شرحُ حديثٍ " نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ "
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بِرَقْمٍ (٦٤١٢).



نَقَلَ ابْنُ حَجَرٍ (١١٠ / ٢٣٠) عَنْ ابْنِ بَطَّالٍ قَوْلَهُ: وَمَعْنَى
الْحَدِيثِ أَنَّ الْمَرْءَ لَا يَكُونُ فَارِغاً حَتَّى يَكُونَ مَكْفِياً صَاحِبَ الْبَدَنِ، فَمَنْ
حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ فَلْيَحْرِصْ عَلَى أَنْ لَا يُغْبَنَ بِأَنْ يَتْرَكَ شُكْرَ اللَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ
عَلَيْهِ، وَمِنْ شُكْرِهِ امْتِثَالُ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابُ نَوَاهِيهِ، فَمَنْ فَرَّطَ فِي ذَلِكَ فَهُوَ
الْمَغْبُونُ وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ " كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ " إِلَى أَنَّ الَّذِي يُوقِفُ لَذَلِكَ قَلِيلٌ أَهـ

ونقلَ عن ابْنِ الْجَوَازِيِّ قَوْلَهُ: قَدْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ صَاحِباً وَ لَا يَكُونُ مُتَفَرِّغاً
لِشُغْلِهِ بِالْمَعَاشِ ، وَقَدْ يَكُونُ مُسْتَغْنِياً وَلَا يَكُونُ صَاحِباً

فَإِذَا اجْتَمَعَ فغَلَبَ عَلَيْهِ الْكَسْلُ عَنْ الطَّاعَةِ فَهُوَ الْمَغْبُونُ.

وَتَمَامُ ذَلِكَ أَنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ، وَفِيهَا التَّجَارَةُ الَّتِي يَظْهَرُ رَبُّهَا فِي
الْآخِرَةِ، فَمَنْ اسْتَعْمَلَ فَرَاغَهُ وَصِحَّتَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَهُوَ الْمَغْبُوطُ، وَمَنْ
اسْتَعْمَلَهَا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَهُوَ الْمَغْبُونُ؛ لِأَنَّ الْفَرَاغَ يَعْقُبُهُ الشُّغْلُ، وَالصِّحَّةُ
يَعْقُبُهَا السَّقَمُ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْهَرَمَ لَكَفَى.



مثال آخر:

شرح حديث "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر" رواه مسلم عن أبي هريرة برقم (٢٩٥٦)

يقول الإمام النووي ٩٣ / ٨٨ "معناه: أن كل مؤمن مسجون ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة، مكلف بفعل الطاعات الشاقة، فإذا مات استراح من هذا، وانقلب إلى ما أعد الله له من النعيم الدائم والراحة الخالصة من النقصان.

وأما الكافر فإنما له من ذلك ما حصل له في الدنيا مع قلته وتكديره بالمنغصات، فإذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد.

● الأحاديث الموضوعة تغزو منايرنا و محافلنا!

لهذه النقطة صلة بجزئية صلاحية الحديث للاحتجاج به غير أنني – ونظراً لأهميتها – أوسعت فيها الكلام وأشبعته، ولتكن البداية مع تعريف الحديث الموضوع وحكم روايته:

يقول العلامة ابن الصلاح ص / ٩٨ " الحديث الموضوع : هو الحديث المخلوق المصنوع "

وتابع قائلاً: " اعلم أن الحديث الموضوع شرُّ الأحاديث الضعيفة، ولا تحل روايته لأحدٍ علم حاله في أي معنى كان إلا مقروناً ببيان وضعه بخلاف غيره من الأحاديث الضعيفة التي يحتمل صدقها في الباطن، حيث جاز روايتها في الترغيب والترهيب "

ويقول أستاذنا بديع في " إيضاحه " ص / ١٩٨ ، وإنما سمي الموضوع حديثاً إما لكون الحكم عليه هو حكم ظني أغلبي لما ظهر لنا من قرائن تدل على كونه كذباً، أو بالنظر إلى زعم واضعه.

وتابع قائلاً: وقد يكونُ الكلامُ المنسوبُ إلى النبي ﷺ والمَحْكومُ بوضعه هو من ألفاظِ الرَّاوي المُتَّهم بوضعه.

وقد يكونُ حِكْماً وأمثالاً سائرةً فيضَعُ لها إسناداً ويرفعُها إلى النبي ﷺ. أو يكونُ شَيْئاً من القَصَصِ الإِسْرَائِيلِيِّ المَنْقُولِ عن أهلِ الكِتَابِ فيُضِيفُهُ ذلكِ الواضِعُ إلى الرِّسُولِ ﷺ.



أقول: وممَّا يُؤسَفُ له ويُستَغْرَبُ أَنَّ الأحاديثَ المَوْضوعَةَ تسَلَّلَتْ إلى ثِرائِنا الإِسْلَامِيِّ كُلِّه، فأينما يَمَمُ طالبُ العِلْمِ وجهه، وَجَدَ ثَلَّةً من تلكَ الأحاديثِ في انتِظاره، في كُتُبِ التَّفْسِيرِ حتَّى إِنَّ الشَّيْخَ أَبُو شَهْبَةَ كَتَبَ كِتَاباً بِاسْمِ "الإِسْرَائِيلِيَّاتِ والمَوْضوعاتِ في كُتُبِ التَّفْسِيرِ"، وفي كُتُبِ الفِقْهِ، وفي كُتُبِ الحَدِيثِ، وفي كُتُبِ التَّارِيخِ – وما أَكْثَرُها فيه-، وفي كُتُبِ الوَعظِ والإِرشادِ، وفي كُتُبِ الأدبِ، والأدبِ طافِحٌ بها ...

وبَدَهِىَ بعدَ هذا الانتِشارِ الواسِعِ للأحاديثِ المَوْضوعَةِ أَنَّ نَسَمَها تُتلى من فوقِ المَنابرِ، وفي محافِلِنا العامَّةِ والخاصَّةِ ...

أذكرُ أَنَّ خَطِيباً خَطَبَ عن الموتِ فاستهَلَّ خُطْبَتَه بحديثٍ موضوعٍ ظاهرٍ الوَضْعِ، وختَمَ بمثله وجرتِ المَوْضوعاتُ فيما بينهما ! وكأنَّ القرآنَ العَظِيمَ والسُّنَّةَ الصَّحِيحَةَ بل والحَسَنَةَ خَلَتْ مِمَّا يَخِدُمُ موضوعَ ذاكِ الخَطيْبِ التَّعَسُّ.

● واجبُ الخَطيْبِ – والدُّعَاةِ عُموماً – تِجَاهَ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ الخَطِيرَةِ:

ومن هُنا فَقَدَ وَجَبَ على الخَطيْبِ أَنْ يَتوسَّعَ في دِرَاسَةِ الأحاديثِ المَوْضوعَةِ بِمُطالَعَةِ الكُتُبِ الَّتِي خُصِّصَتْ لها، وأن لا يُدْخَلَ في ذاكِرَتِهِ، ولا يَتَلو من على مَنبرِهِ أو في مَحْفَلِهِ حَدِيثاً إِلَّا بعدَ التَّحَقُّقِ من صلاحِيَّتِهِ للاحتِجاجِ به كَمَا أسَلَفنا.



يقولُ الشَّيْخُ أَبُو غَدَّةٍ في مُقَدِّمَةِ تحقيقِهِ لكتابِ

" المَصْنُوعُ فِي مَعْرِفَةِ الْحَدِيثِ الْمَوْضُوعِ " لِلْعَلَّامَةِ الْقَارِي (ت: ١٠١٤ هـ):

" وَإِنَّ مِمَّا يُطْلَبُ مِنْ طَالِبِ الْعِلْمِ - لِيَكُونَ وَاَعِيّاً بِصِيراً - أَنْ يُكْثِرَ النَّظَرَ وَتَقْلِيْبَ الْبَصَرِ فِي كُتُبِ " الْمَوْضُوعَاتِ " فَإِنَّ تَكَرُّارَ النَّظَرِ فِيهَا يَزِيدُهُ وَقَايَةً مِنْهَا وَبُعْداً عَنْهَا، وَيُقَوِّي فِي نَفْسِهِ شِدَّةَ التَّحَسُّسِ بِلُزُومِ التَّنَبُّثِ فِي كُلِّ مَا يَحْكِيهِ عَنْ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَحَادِيثِ.

ثُمَّ مِنْ هَذَا التَّكَرُّارِ الْحَيِّ بِالْبَصَرِ وَالْبَصِيرَةِ تَعِيشُ فِي نَفْسِ طَالِبِ الْعِلْمِ مَلَكَ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْبَاطِلِ وَالصَّحِيحِ، وَالْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ مِنَ الْأَحَادِيثِ، وَفِي ذَلِكَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ.

بَلْ إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ الْوَاعِيَّ الْمُتَنَبِّعَ لَفِي حَاجَةٍ دَائِمَةٍ إِلَى تَكَرُّارِ النَّظَرِ فِي كُتُبِ " الْمَوْضُوعَاتِ " لِيَعْرِفَ مِنْهَا مَا لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ بِالْوَضْعِ، وَلِيَتَذَكَّرَ مَا كَانَ قَدْ عَرَفَهُ، وَلِيَصَحِّحَ مَا أَخْطَأَ فِيهِ فَظَنَّهُ حَدِيثاً ثَابِتاً أَوْ صَاحِحاً وَهُوَ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ أَوْ مَوْضُوعٌ.

فَتَكَرُّارُ النَّظَرِ فِي كُتُبِ " الْمَوْضُوعَاتِ " إِلَى جَانِبِ دِرَاسَةِ وَقِرَاءَةِ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ - خَيْرٌ مُعَلِّمٌ وَمُنْقِذٌ لَهُ مِنَ الْإِسْتِمْرَارِ عَلَى قَبُولِهَا وَالِاسْتِشْهَادِ بِهَا، وَخَيْرٌ مُعِينٌ لَهُ عَلَى تَبْصِيرِ النَّاسِ بِمَعْرِفَتِهَا وَتَرْكِهَا وَالِاسْتِعَاضَةِ عَنْهَا بِالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ عَنْ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ وَافِيَةٌ كُلُّ الْوَفَاءِ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُ فِي أَمْرِ دِينِهِ وَأَمْرِ دُنْيَاهُ وَقَدْ أَغْنَى اللَّهُ الْحَقَّ عَنِ الْبَاطِلِ مِنْذُ الْقَدَمِ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

أَقُولُ: وَقَدْ بَدَلَ عُلَمَاؤُنَا جُهُوداً مُضْنِيَةً فِي سَبِيلِ مُلَاحَقَةِ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ، وَإِقَاءِ الْقَبْضِ عَلَيْهَا، وَفَضَحِهَا عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ، وَقَدْ كَثُرَتْ فِي ذَلِكَ الْمُصَنَّفَاتُ، وَتَعَدَّدَتِ الْمُؤَلَّفَاتُ، وَلَعَلَّ أَهَمَّ كِتَابٍ فِي هَذَا وَ يَكَادُ يُغْنِي عَنْ غَيْرِهِ كِتَابُ " تَنْزِيهِ الشَّرِيعَةِ الْمَرْفُوعَةِ عَنْ الْأَحَادِيثِ الشَّنِيعَةِ الْمَوْضُوعَةِ " لِأَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَرَّاقِ الْكِنَانِيِّ (ت ٩٦٣).



يَقُولُ أُسْتَاذُنَا بَدِيعٌ فِي كِتَابِهِ " الْإِيضَاحُ " ص/ ٢١٤ " وَقَدْ جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ كُتُبِ السِّيُوطِيِّ وَابْنِ الْجَوَازِيِّ وَحَذَفَ الْأَسَانِيدَ وَرَتَّبَهُ عَلَى الْأَبْوَابِ، وَقَسَّمَ كُلَّ كِتَابٍ إِلَى ثَلَاثَةِ فُصُولٍ:

الفصل الأول: فيما اتَّفَقَ عَلَيْهِ السِّيُوطِيُّ مَعَ ابْنِ الْجَوَازِيِّ فِي الْحُكْمِ عَلَيْهِ

بالوضع.

الفصل الثاني: فيما حكم عليه ابن الجوزي بالوضع، وتعقبه السيوطي في حكمه.

الفصل الثالث: فيما زاده السيوطي من الأحاديث الموضوعة في كتابه " ذيل اللآلئ ... "

وبث في طيات الكتاب تعقبات مفيدة بحيث أصبح كتابه أجمع كتاب – فيما نعلم – في بابه مع التحرير والاختصار وحسن التصنيف والترتيب وقدم له بمقدمة تكلم فيها عن الحديث الموضوع، وأصناف الوضّاعين وأسباب الوضع ... إلى غير ذلك، ثم أورد قائمة بأسماء الرواة الكذابين والمُتهمين مُرتبة على حروف المعجم.



• **نماذج من كتاب " تنزيه الشريعة المرفوعة ":**

١- حديث " كُنْتُ كَنْزاً لَا يُعْرَفُ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ، وَتَعَرَّفْتُ لَهُمْ فَبَيَّ عَرَفُونِي "

ونقل عن ابن تيمية قوله: إنه موضوع (١ / ١٤٨)

٢- حديث " مَا وَسِعَنِي سَمَائِي وَلَا أَرْضِي بَلْ وَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ "

ونقل عن ابن تيمية قوله: إنه موضوع أيضاً (١ / ١٤٨)

٣- حديث " ما من مُسلم دنا من زوجته وهو ينوي إن حملت منه أن يُسميه مُحَمَّدًا إِلَّا رزقه الله تعالى ذكراً وما كان اسمُ مُحَمَّدٍ في بيتٍ إِلَّا جعل الله في ذلك البيتِ بركةً "

ونقل عن الذهبي قوله: حديث موضوع، وسنده مظلم (١/ ١٧٤).

• نماذج من كتاب " المصنوع في معرفة الحديث الموضوع " للقاري

١- حديث " اتق شر من أحسنت إليه "

ونقل عن السخاوي قوله: لا أعرفه (ص/ ٤٥)

وقال المحقق أبو غدة: هذا التعبير " لا أعرفه " ونحوه إذا صدر من أحد الحفاظ ولم يتعقبه أحد كفى للحكم على الحديث بالوضع.

٢- حديث " آخر الطب الكي "

ونقل عن ابن الديبع قوله: كلام وليس بحديث (ص/ ٥٠).

٣- حديث " أصف النية، و نم في البرية "

ونقل عن ابن الديبع قوله: ليس بحديث (ص/ ٥٦).

٤- حديث " أمرت أن أحكم بالظاهر، والله يتولّى السرائر "

ونقل عن العراقي بأنه جزم بأنه لا أصل له. (ص/ ٥٨)

ولأبي غدة تعليق نفيس عليه فانظره

٥-حديث " أنا أفصح العرب بيد أني من قريش "

ونقل عن السيوطي قوله: لا يعلم من أخرجه ولا إسناده (ص / ٦٠)

٦-حديث " أول ما خلق الله العقل فقال له: أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، فقال: وعزتي ما خلقت خلقاً أكرم علي منك، فبك أخذ وبك أعطي "

ونقل عن المقاصد قوله: قالوا: إنه كذب موضوع اتفاقاً (ص / ٦٣)

٧-حديث " حب الوطن من الإيمان "

قال: لا أصل له عند الحفاظ (ص / ٩١).

٨-حديث " الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش "

قال أبو غدة: ويحكي بلفظ آخر: " الكلام في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب "

قال القاري: لم يوجد (ص / ٩٢).

أقول: وقد شاع هذا الحديث وذاع، وملاً الأسماع، حتى إنني رأيته مكتوباً على لوحة معلقة في بعض المساجد، وهو يخالف الأحاديث الصحيحة التي تبيح الكلام في المسجد من دون إثم.

٧- الخطيب والسيرة النبوية

• النموذج البشري الكامل:

إنَّ الأنبياءَ والمرسلين هم خيرة البشر وصفوتهم، وإنَّ صفوة أولئك الأنبياء والمرسلين هم الخمسة المعروفون بأنهم أولو العزم من الرسل، وصفوة هؤلاء الصفوة هو سيدنا محمد ﷺ فهو صفوة الصفوة.

هذا ولم تحظ سيرة نبيِّ قبله - ولا نبيِّ بعده - من العناية والرعاية والاهتمام بما حظيت به سيرة نبيِّنا محمد ﷺ، حتَّى إنَّ علماء السيرة رصدوا لنا تفاصيل حياة نبيِّنا ﷺ من ميلاده وحتَّى وفاته: في طفولته ومراهقته وشبابه ورجولته ... ، قبل مبعثه وبعده، في مكة وفي المدينة، في سفره وفي حضره، وفي جلِّه وفي ترحاله، وفي ليله وفي نهاره، داخل أسرته، ومع أصحابه، وفي محرابه، ومع ربِّه عزَّ وجلَّ ...

• زاد الخطيب من سيرة الحبيب:



إنَّ لكلِّ مُسلم حاجته المُلحَّة لدراسة سيرة النبيِّ ﷺ ليزداد محبةً له، وافتخاراً به، واقتداءً بسيرته، وحاجة الخطباء لدراسة السيرة النبوية أكبر من حاجة غيرهم لأنَّ في سيرته نبعا لا ينضب، وشجرة لا تنقطع ثمارها مع دنوِّ جناها ...

فعلى الخطباء أن ينكبوا على دراسة السيرة دراسة جادة مع مراعاة الأمور التالية:

- ١- الاستكثار من مطالعة كتب السيرة - وما أكثرها - قديمها وحديثها ففي كلِّ كتاب من المعلومات والتفاصيل وطريقة العرض ما ليس في الكتب الأخرى.
- ٢- التوثيق من المعلومات ففي كتب السيرة من الأخبار الواهية والموضوعة الشيء الكثير.

٣- مُطَالَعَةُ الْكُتُبِ الَّتِي تُعْنَى بِاسْتِنْبَاطِ الدُّرُوسِ وَالْعِبَرِ الْمُسْتَفَادَةِ مِنَ السَّيْرِ فِي جَمِيعِ مَنَاحِي الْحَيَاةِ مِثْلَ: فَقِهِ السَّيْرِ لِمُحَمَّدٍ الْغَزَالِي، وَالْبُوطِي، وَالسَّيْرِ النَّبَوِيَّةِ لِلصَّلَاحِيِّ ...



• الْمُنَاسَبَاتُ الْمُتَجَدِّدَةُ:

هَذَا وَثْمَةٌ مَشَاهِدُ مِنَ السَّيْرِ تَتَجَدَّدُ مَعَ تَجَدُّدِ الْأَعْوَامِ الْهَجْرِيَّةِ مِثْلَ: حَادِثَةِ الْهَجْرَةِ، وَحَادِثَةِ الْإِسْرَاءِ، وَالْغَزَوَاتِ الْمِفْصَلِيَّةِ كَبَدْرِ وَفَتْحِ مَكَّةَ ... وَيَحْسُنُ بِالْخَطِيبِ أَنْ يَعْتَنِيَ بِهَا وَيُذَكِّرُهَا وَيُذَكِّرَ بِهَا وَلِيَحَاوِلَ أَنْ يُقَدِّمَ فِي كُلِّ عَامٍ جَدِيداً، وَلَا يُكْرِّرَ مَا قَالَهُ مِنْ قَبْلُ، وَلَا يَكُونُ هَذَا إِلَّا بِكَثْرَةِ الْمُطَالَعَةِ وَحُسْنِ الْاسْتِنْبَاطِ.

• سِلْسِلَةُ السَّيْرِ:

كَمَا وَيُمْكِنُ لِلْخَطِيبِ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ سَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ سِلْسِلَةً مُتَّصِلَةً الْحَلَقَاتِ يَعْرِضُ فِيهَا عَلَى جُمْهُورِهِ مَشَاهِدَ مِنَ السَّيْرِ مَعَ ذِكْرِ مَا يُسْتَفَادُ مِنْهَا مِنْ دُرُوسٍ وَعِبَرٍ، وَرَبِطُهَا مَعَ الْوَاقِعِ الْمُعَاصِرِ، وَلِيَكُنْ ذَكِيراً فِي انْتِقَائِهِ لِلْمَشَاهِدِ، عِبْقَرِيّاً فِي ذِكْرِ الدُّرُوسِ، حَكِيماً فِي رِبْطِ السَّيْرِ بِالْوَاقِعِ الْمُعَاشِ.

• تَجَرَّبَتِي مَعَ السَّيِّرَةِ:

جَرَّبْتُ مَرَّةً أَنْ أَجْعَلَ مِنَ السَّيِّرَةِ سِلْسِلَةً خَطَابِيَّةً فَكُنْتُ أَبْدَأُ بِمَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِهَا - مَعَ مُرَاعَاةٍ تَسْلُسِلُهَا التَّارِيخِيَّ، ثُمَّ أَعْقِبُ عَلَى ذَلِكَ بِالدُّرُوسِ وَالْعِبَرِ الْمُسْتَفَادَةِ مِنْهُ، مَعَ رِبْطِهَا بِوَاقِعِنَا الْمُعَاصِرِ.

وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنَ الْحُضُورِ لَمْ يَتَجَاوَبُوا مَعَ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ قَالَ لِي يَوْمًا " لِمَاذَا تُحَدِّثُنَا عَنِ الْقَدِيمِ "؟

لَقَدْ أَصْبَحَتِ السَّيِّرَةُ النَّبَوِيَّةُ قَدِيمًا!

فَلِذَا أَوْقَفْتُهَا وَعَدَلْتُ عَنْهَا إِلَى سِلْسِلَةٍ أُخْرَى عَنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الصُّغْرَى وَالْكُبْرَى ... فَنَالَتْ إِعْجَابَ النَّاسِ!



٨- الخطيب والتاريخ الأحداث والشخصيات

• تاريخ الأمة هو ذاكرة تلك الأمة!

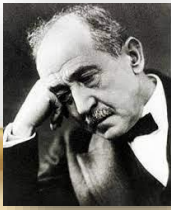


يقول القرضاوي في كتابه " تاريخنا المفترى عليه " (ص / ٩) " إنَّ التاريخ هو ذاكرة الأمة، وأعداء الأمة يُريدون أن يمحوا ذاكرتنا التاريخية بحيث ننفصل عن ماضينا، وننسى أمجادنا، ونهمل الثراب على ثرائنا وحضارتنا، ونبدأ من الصفر مثل الأمم التي لا تاريخ لها، فإن لم يستطيعوا محو ذاكرتنا سعوا إلى إفسادها، فحشوها بمعلومات خاطئة أو مقلوبة أو مزورة عن رسالة الأمة وحضارتها وتاريخها ورجالها وراثتها، وبهذا ننخلع الأمة من جذورها، ويلعن آخرها أولها، وتُمسي أمة بلا جذور ولا أعماق.



ويقول محمد الغزالي في إحدى خطبه " ويُخيل إليَّ أنَّ المسلمين أصيبوا بمرض فقدان الذاكرة فهم لا يدرون ما وقع لهم، وبالتالي لا يعرفون ما سيقع لهم، وبقاء الأمة على هذا النحو خطرٌ تتعرض له عقيدة التوحيد نفسها "

ويقول أمير الشعراء أحمد شوقي:



كلّ قِطْعَةٍ عَيٍّ فِي النَّاسِ انْتِسابَا
يَشْتَكِي مِنْ صِلَةِ الْمَاضِي انْقِضَابَا

مَثَلُ الْقَوْمِ نَسُوا تَارِيخَهُمْ
أَوْ كَمَغْلُوبٍ عَلَى ذَاكِرَةٍ

أقول: ولعلّ هذا يكشفُ الحكمةَ وراءَ إسهابِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ - وهي أوّلُ ما نَزَلَ في الْمَدِينَةِ - في سَرْدِ تَارِيخِ بَنِي إِسْرَائِيلَ (الْيَهُودِ) الَّذِينَ كَانَتْ قَبَائِلُ مِنْهُمْ تُسَاكِنُ الْمُسْلِمِينَ وَتُجَاوِرُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ الْمَنُورَةِ.



وقد أَثْبَتَتِ الْوَقَائِعُ أَنَّ حَاضِرَ الْيَهُودِ - آنَ ذَاكَ - كَانَ امْتِدَاداً لَذَلِكَ التَّارِيخِ الْأَسْوَدِ، وَمَا نَرَاهُ الْيَوْمَ مِنْهُمْ مَا هُوَ إِلَّا امْتِدَادٌ لَذَلِكَ الْحَاضِرِ، وَلَيْتَ حُكَّامَ الْعَرَبِ مِنَ الْمُطَبِّعِينَ وَالْمُطَبِّلِينَ يَعْلَمُونَ!

• ثَالِثَةُ الْأَثَافِيِّ:

إِنَّ عِلْمَ التَّارِيخِ يُعَدُّ - بَعْدَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ - الْمُكَوِّنَ الثَّلَاثَ لثقافةِ الدُّعَاةِ عُمُومًا، وَالْخُطَبَاءِ مِنْهُمْ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ، وَقَدْ بَيَّنَّا السِّرَّ وَرَاءَ ذَلِكَ وَنُضِيفُ هُنَا قَائِلِينَ:



يَقُولُ الْمُؤَرِّخُ الشَّهِيرُ ابْنُ خَلْدُون (٦ / ١): إِنَّ فَنَّ التَّارِيخِ مِنَ الْفُنُونِ الَّتِي تَتَدَاوَلُهُ الْأُمَمُ وَالْأَجْيَالُ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ الرِّكَائِبُ وَالرِّحَالُ ... وَهُوَ فِي ظَاهِرِهِ لَا يَزِيدُ عَلَى أَخْبَارٍ عَنِ الْأَيَّامِ وَالْأُمَمِ وَالسَّوَابِقِ مِنَ الْقُرُونِ الْأُولَى ... وَفِي بَاطِنِهِ نَظَرٌ وَتَحْقِيقٌ، وَتَعْلِيلٌ لِلْكَائِنَاتِ وَمَبَادِيئُهَا دَقِيقٌ، وَعِلْمٌ بِكَيْفِيَّاتِ الْوَقَائِعِ وَأَسْبَابِهَا عَمِيقٌ.



وَيَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي كِتَابِهِ " الدَّاءُ وَالْدَّوَاءُ " (٤٢) إِنَّ التَّارِيخَ مَا هُوَ إِلَّا تَفْصِيلٌ لْجُزْئِيَّاتِ مَا عَرَفْنَا اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ الْأَسْبَابِ الْكُلِّيَّةِ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

وَيَقْصِدُ ابْنُ الْقَيِّمِ أَنَّ مُجْرِيَّاتِ وَأَحْدَاثَ التَّارِيخِ هِيَ تَفْصِيلٌ وَمَظْهَرٌ لِلسُّنَنِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي تَحْكُمُ التَّجَمُّعَاتِ الْبَشَرِيَّةَ كَمَا تَحْكُمُهُمُ السُّنَنُ الْكَوْنِيَّةُ.

• زَادُ الْخَطِيبِ مِنَ التَّارِيخِ:

وَانْطِلَاقاً مِمَّا سَبَقَ وَتَأْسِيساً عَلَيْهِ فَإِنَّ عَلَى الْخَطِيبِ أَنْ يُلَمَّ بِالتَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ قَدِيمِهِ وَحَدِيثِهِ إِمَاماً حَسَنًا، وَلَا يَغْفُلَنَّ عَنِ التَّارِيخِ الْعَالَمِيِّ قَدِيمِهِ

وحديثه، فتواريخ الأمم يتداخل بعضها في بعض حتى لا يمكن دراسة تاريخ أمة ما بعيداً عن دراسة ما عاصرها من الدول!

• ماذا نعرض من تاريخنا؟ ومن التاريخ العالمي؟

إنَّ القارئ للتاريخ الإسلامي والعالمي يجد نفسه أمام كم هائل من الأحداث والشخصيات، فماذا يُقدِّم منها لجمهوره؟ وكيف يُقدِّمه؟ وماذا يدعُ؟ ولماذا يدعُ؟

وللإجابة عن هذا السؤال أقول: حسبهُ من تاريخنا وتاريخ غيرنا المتداخل مع تاريخنا وغير المتداخل:

رُجِي نَفْعُهُ

وَ

ما صَحَّ
خَبْرُهُ

١- ما صَحَّ خَبْرُهُ:



إنَّ المعيارَ الأوَّلَ والأكثرَ أهميَّةً لِقَبولِ الخبرِ التاريخيِّ وإعادةِ روايته ونشره هو صحَّةُ ثبوته، فما أكثرَ الأخبارَ الواهيَّةَ والمَكذوبةَ في كُتبِ تاريخنا.

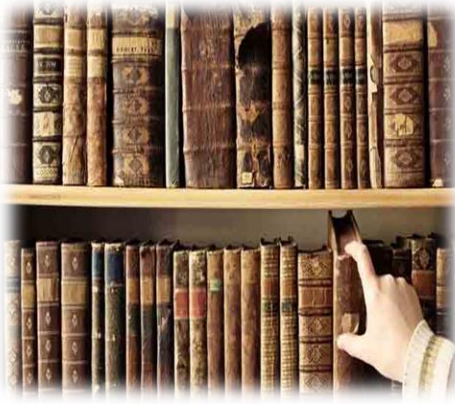
وما أظنُّ أنَّ أمةً من الأمم تعرَّضَ تاريخها لِمَا تعرَّضَ له تاريخنا من الدَّسِّ والافتراء والتَّشويه والتَّزوير على أيدي أعدائها حيناً، وعلى أيدي بعض من أبنائها حيناً آخر!

يقولُ القَرَضَاوي في كتابه " تاريخنا المُفترى عليه " (ص/ ٣٢١)

" ليس كلُّ ما تحويه كُتبُ التاريخ صحيحاً مئةً في المئة، فكَم حَوَتْ مراجعُ التاريخ من مبالغاتٍ وتشويهاتٍ وتحريفاتٍ



تُكذِّبُهَا الْحَقَائِقُ الثَّابِتَةُ بِالِاسْتِقْرَاءِ أَوْ بِالْمَوَازَنَةِ بِالْأَدِلَّةِ النَّاصِعَةِ فِي مَصَادِرٍ أُخْرَى.



وَكَمْ أَدَّتِ الْأَهْوَاءُ وَالْعَصَبِيَّاتُ السِّيَاسِيَّةُ وَالنَّسَبِيَّةُ وَالْمَذَهَبِيَّةُ دَوْرَهَا فِي كِتَابَةِ التَّارِيخِ، وَفِي رِوَايَةِ وَقَائِعِهِ، وَتَلْوِينِ أَحْدَاثِهِ، وَتَصْوِيرِ أَبْطَالِهِ إيجاباً أَوْ سلباً، وَخُصُوصاً إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ التَّارِيخَ يَكْتُبُهُ - عَادَةً - الْمُنتَصِرُونَ الْغَالِبُونَ، وَالْغَلْبَةُ لَهَا بَرِيقٌ وَأَضْوَاءٌ، كَثِيراً مَا تُغْشِي أَعْيُنَ الْمُؤَرِّخِينَ عَنْ سَوَاءَاتِ الْغَالِبِينَ، فِي حِينٍ تُضَحِّمُ أَخْطَاءَ الْمَغْلُوبِينَ، وَتَطْمِسُ فُضَائِلَهُمْ، عَنْ قَصْدٍ أَوْ غَفْلَةٍ.

وَأُضِيفَ عَلَى مَا سَبَقَ: إِنَّ الْمَعَايِيرَ الَّتِي وَضَعَهَا الْعُلَمَاءُ لِاخْتِبَارِ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ وَنَقْدِهَا وَتَمْيِيزِ صَحِيحِهَا مِنْ ضَعِيفِهَا هِيَ ذَاتُهَا الْمَعَايِيرُ الَّتِي يَنْبَغِي عَلَى الْمُؤَرِّخِ الْأَخْذُ بِهَا، وَالتَّعْوِيلُ عَلَيْهَا، وَالرُّكُونُ إِلَيْهَا.

٢- وَرَجَى نَفْعُهُ:

لَيْسَ كُلُّ مَا ثَبَتَ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَظَهَرَ عَلَى مَسَرِّحِ التَّارِيخِ مِنْ شَخْصِيَّاتٍ يَحْسُنُ عَرْضُهُ وَتَقْدِيمُهُ لِلْجُمْهُورِ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِي عَرْضِ الْحَدَثِ أَوْ تَقْدِيمِ الشَّخْصِيَّةِ مَا يُرْجَى نَفْعُهُ، وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ.

فَعَوَامِلُ النَّصْرِ وَالْهَزِيمَةِ فِي حَيَاةِ أُمَّتِنَا مِمَّا يَحْسُنُ عَرْضُهُ لِتَعْمَلَ عَلَى تَهْيِئَةِ النَّصْرِ بِالْأَخْذِ بِأَسْبَابِهِ، وَتُحَارِبَ أَسْبَابَ الْهَزِيمَةِ بَعْدَ أَنْ كَشَفَهَا لَنَا التَّارِيخُ.

وَالشَّخْصِيَّاتُ الْمُجَدِّدَةُ وَالْمُؤَثِّرَةُ، وَكَذَلِكَ الطُّغَاةُ الَّذِينَ انْتَهَى بِهِمُ الْمَطَافُ صَرَعى مُجْنَدِلِينَ مِمَّا يَحْسُنُ عَرْضُهَا أَيْضاً مِنْ أَجْلِ تَقْدِيمِ الشَّخْصِيَّاتِ وَالنَّمَاذِجِ الْإِيجَابِيَّةِ وَالسَّلْبِيَّةِ تَكُونُ الْإِيجَابِيَّةُ أَسْوَةً وَقُدْوَةً، وَيُجْعَلُ مِنَ السَّلْبِيَّةِ عِبْرَةٌ أَيْةٌ عِبْرَةٌ!



• كيف نعرض التاريخ؟



بعد أن يتوثق الخطيب -خطيب المنابر والمحافل- من صحة معلوماته التاريخية، ويغلب على ظنه أن ما سيفدّمه من أخبار، وما سيعرضه من شخصيات من النوع النافع والمفيد والهادف لجمهوره، عليه أن يعرضه مكتفياً بخطوطه العامة، من غير أن يشارك جمهوره بالتفاصيل التي وقف عليها، وتحصلت عنده أثناء مطالعة التاريخ أو إعداد الخطبة وليضم إلى خطوطه العامة للحدث أو الشخصية ما يراه هاماً جداً من التفاصيل، وليحذر من الإغراق فيها، أو الخروج عنها لئلا يمل جمهوره، ويشتت ذهنهم.

• ما وراء التاريخ!

ليس الهدف من تقديم الأحداث، وعرض الشخصيات هو إدهاش الجمهور واستمالاته، بل الهدف الرئيسي هو الاعتبار، وهو الغاية الأساسية من سوق الأخبار، وعرض الشخصيات.

والاعتبار هو أسلوب يقوم على انتقال الذهن من الحدث التاريخي إلى ما يقابله من أحوال الناس الواقعة أو المتوقعة قياساً على ذلك الحدث لوجود التشابه بين الواقعين التاريخي والحالي.

على أن الاعتبار قد يكون من طرف جلي أو خفي، على حسب ما تقتضيه طبيعة الحدث أو الشخصية، ولا شك أن للجمهور قدرته على الربط بين ما غبر من أحداث وما هو واقع أو متوقع منها.

• الهدف الآخر:



هذا وثمة هدف آخر من سوق الأحداث، وعرض الشخصيات ألا وهو إحقاق الحق وإبطال الباطل، فكثير من الأحداث التاريخية تعرّضت للتحريف المتعمّد، والتشويه المرعب.

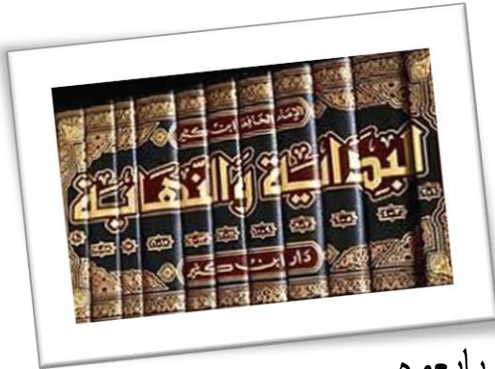
وكذلك الشخصيات فما كان إسلامياً منها ، سلّبت حسنائه ، وشوّهت سيرته، وما كان عدوّاً للأمة قدّم على أنّه مُنقذها ، أو على الأقلٍ قدّم كشخصيّة فذّة تجعل منه محطّ إعجاب من أبناء الأمة وناشئتها ، فعلى الخطيب -خطيب المنابر والمحافل- مُراعاة هذا الجانب الهامّ والخطير.

• مقتل الحسين:



الحسين حفيد من أحفاد الرّسول ﷺ ، أبوه عليّ الخليفة الرّاشد، وأمّه فاطمة أحبّ بنات رسول الله ﷺ إليه، وقد تعرّضت سيرته وما جرى معه لتحريف متعمّد وتزوير خطير ، لأهداف خطيرة حتّى استقرّ في أذهان النّاس ما أشيع من باطل، وغاب عنهم أو غُيب عنهم ما هو الحق من ذلك.

وقد أقيمت خطبة – رجعت فيها إلى المصادر الصحيحة التي رصدت لنا

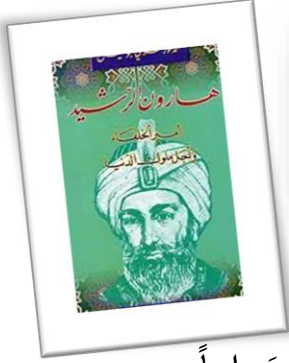


أخبار خروجه على يزيد بن معاوية، وكان من أبرزها ما كتبه العلامة ابن كثير في كتابه الفدّ "البداية والنهاية" وقد وفقني الله لقراءته كاملاً، فقد أطال وأطاب، وجلّى الحقيقة وكان خلاصة ما قلّته أنّه خرج بناءً على اقتراحات قدّمت له من أبناء العراق، فخرج مخالفاً لكبار الصحابة في عصره كابن عمر وابن عباس ... ثمّ إنّ الذين بايعوه باعوه ، ولقاتليه أسلموه...

وركزتُ على أن أهل الشَّام لا علاقة لهم بهذا الأمر، فهو خرج من المدينة إلى العراق، وجاءت التَّوجيهات من قصر الخليفة الأموي إلى القُوات المُرابطة في أرض العراق ... فما علاقة أهل الشَّام بكلِّ تلك الأحداث؟!

• هارون الرَّشيد:

خَلِيفَةُ من أعظم خُلَفَاءِ المُسْلِمِينَ في العهدِ العَبَّاسِي وهو إن لم يكنْ مِثْلَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ... فليس بسوءٍ من جاءَ بعده، وقد تَعَرَّضَتْ سِيرَتُهُ لِلتَّشْوِيهِ الْمُتَعَمَّدِ، فما كان مِنِّي إلَّا أن أَلْقَيْتُ خُطْبَةً عن سِيرَتِهِ العَظِيمَةِ، مُعَوِّلاً على ما ذكره المؤرِّخُ الدِّمَشْقِيُّ شَوْقِي أَبُو خَلِيلٍ في كتاب " هارون الرَّشيد " ومن أهِمِّ ما جاءَ عنه أنَّه كان يَغْزُو عَاماً وَيَحْجُّ عَاماً ولم يَتَعَاطَ خَمِراً أو يَرْتَكِبَ حَرَاماً كما تُصَوِّرُهُ قِصَصُ "ألف ليلة وليلة"!



• نابليون:

مَلِكٌ وإمْبَرَاطُورٌ عنده جُنُودُ العَظْمَةِ غَزَا مِصرَ، فَدَكَّ مَسَاجِدَهَا وَقَتَلَ عُلَمَاءَهَا، وَدَخَلَتْ جُنُودُهُ الأَزْهَرَ بَعْدَ أن قَصَفَهُ بِمَدَافِعِهِ ... وَأَثْبَتَتْ الأَيَّامُ أنَّ جَمِيعَ الشِّعَارَاتِ الَّتِي رَفَعَهَا مَارَسَ على المُسْلِمِينَ عَكْسَهَا، وفي عَهْدِهِ وُضِعَتْ المُدُونَاتُ القَانُونِيَّةُ (١٨٠٤) م الَّتِي صَارَتْ فيما بعد نُوَادٍ للقَوَانِينِ في البِلَادِ الإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي حَلَّتْ مَحَلَّ الشَّرْعِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ ...



وبعدَ كُلِّ هذه الجَرَائِمِ تَجَدُّ من أبنَاءِ المُسْلِمِينَ مَنْ هو مُعْجَبٌ بِهِ و يَرَى فيه قُدُوةً لَهُ!

• التَّارِيخُ الْمُعَاصِرُ: أَحْدَاثُهُ وَشَخْصِيَّاتُهُ



للتَّارِيخِ الْمُعَاصِرِ الَّذِي يَبْدَأُ مَعَ سُقُوطِ آخِرِ
خِلَافَةِ جَامِعَةِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَمَا جَرَّهَ ذَلِكَ عَلَى الْأُمَّةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ تَمْزُقِهَا إِلَى دُوِيَلَاتٍ وَمَمَالِكٍ
وإِمَارَاتٍ ... عَلَى أَيْدِي سَايَكْسٍ وَبِيكُو وَأُمَثَالِهِمَا،
وَتَقَاتُلِ تِلْكَ الدُّوِيَلَاتِ فِيمَا بَيْنَهَا، وَ الثُّورَاتِ بَيْنَ
أَبْنَاءِ الدُّوِيَلَةِ الْوَاحِدَةِ، وَتَسْلُطِ أَعْدَائِهَا عَلَيْهَا ،
وَاجْتِصَابِ فِلَسْطِينَ مِنْهَا ، وَاجْتِلَالِ الْمَسْجِدِ
الْأَقْصَى مَسْرَى نَبِيِّهَا، وَقِيَامِ دَوْلَةِ إِسْرَائِيلَ عَلَى
أَرْضِهَا، وَتَبْنِيِ الْكَثِيرِ مِنْ تِلْكَ الدُّوِيَلَاتِ مَبَادِيٍّ بَعِيدَةٍ بَلْ مُعَادِيَةٍ لِهَدْيِ الْإِسْلَامِ
أَقَامَتْ أَسْئَهَا عَلَيْهَا، وَحَمَلَتْ الْمُسْلِمِينَ قَسْرًا عَلَيْهَا، وَإِبْعَادِ الْحُكْمِ بِالشَّرِيعَةِ
وَالِاحْتِكَامِ إِلَى قَوَانِينِ جَزَائِيَّةٍ وَمَدْنِيَّةٍ مِنْ وَضَعٍ مِنْ اِحْتِلَالِ أَرْضِنَا وَشَرَّدَ
أَبْنَاءَنَا!

• مَسْئُولِيَّةُ الْخُطْبَاءِ تَجَاهَ التَّارِيخِ الْمُعَاصِرِ:

عَلَى الْخُطْبَاءِ دِرَاسَةُ التَّارِيخِ الْمُعَاصِرِ دِرَاسَةً جَدِّيَّةً مَعَ الْاعْتِمَادِ عَلَى
الْمَصَادِرِ الْمَوْثُوقَةِ، فَأَكْثَرُ أَحْدَاثِ التَّارِيخِ تَعَرَّضَتْ لِلْكِتْمَانِ أَوْ التَّزْوِيرِ، فَقُزِّمَ
أَبْطَالٌ ، وَعُظِّمَ أَقْرَامٌ، وَ زُوِّرَتِ الْأَحْدَاثُ ، وَيَنْبَغِي عَلَى الْخَطِيبِ أَنْ يَكُونَ
حَذِرًا فِي تَعَاظِي الْأَحْدَاثِ الْمُعَاصِرَةِ، وَالْحَدِيثِ عَنِ الشَّخْصِيَّاتِ الْمُعَاصِرَةِ،
فَالَّذِينَ حَرَّفُوا التَّارِيخَ الْمُعَاصِرَ وَ زَوْرُوهُ وَضَخَّمُوا دَوَاتِهِمْ وَقَزَّمُوا غَيْرَهُمْ،
وَلَبِسُوا بَدَلَاتٍ عَسْكَرِيَّةً لَمْ تُسَجَّلِ انْتِصَارًا لِلَّهِ إِلَّا انْتِصَارَهُمْ عَلَى شَعْبٍ
أَعَزَلَ لَا يَمْلِكُ حَوْلًا وَلَا قُوَّةً، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

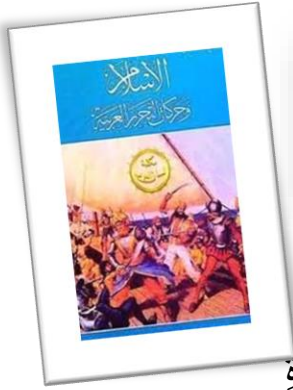
• فِي ذِكْرِ الْجَلَاءِ:



في السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ نَيْسَانَ يَحْتَفَلُ
السُّورِيُّونَ - فِي كُلِّ عَامٍ - بِذِكْرِ
الْجَلَاءِ وَالتَّحَرُّرِ مِنَ الْإِحْتِلَالِ الْفَرَنْسِيِّ
الَّذِي أَهْلَ بِلَادَنَا رُبْعَ قَرْنٍ مِنَ الزَّمَانِ
(٢٤ - تموز - ١٩٢٠ وحتى ١٧ -
نيسان - ١٩٤٦)

وكما هي العادة جَاءَنَا تَعْمِيمٌ بِضَرُورَةٍ تَخْصِيصُ خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ لِلْحَدِيثِ
عَنْ هَذِهِ الذِّكْرِ الْعَظِيمَةِ!

وَكُنْتُ فِي الْغَالِبِ أَتْجَاهِلُ مِثْلَ هَذِهِ التَّعْمِيمَاتِ، أَوْ أَشِيرُ إِلَى الْمُنَاسَبَةِ
بِإِجَازٍ، وَلَكِنِّي فِي ذَلِكَ الْعَامِ (٢٠١٠) لَمْ أَتْجَاهِلُ ذَلِكَ التَّعْمِيمَ بَلْ رَصَدْتُ
لَهُ الْخُطْبَةَ كَامِلَةً وَلَكِنْ مَاذَا قُلْتُ؟



لَقَدْ تَحَدَّثْتُ عَنْ دَوْرِ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ فِي صِنَاعَةِ
الْجَلَاءِ وَخَصَّصْتُ بِالذِّكْرِ الْعَلَّامَةِ الشَّيْخِ بَدْرِ الدِّينِ
الْحَسَنِيِّ وَنَقَلْتُ عَنِ الْمُؤَرِّخِ شَوْقِيِّ أَبُو خَلِيلٍ مِنْ
كِتَابِهِ " الْإِسْلَامُ وَحَرَكَاتُ التَّحَرُّرِ الْعَرَبِيَّةِ " قَوْلَهُ: هَا

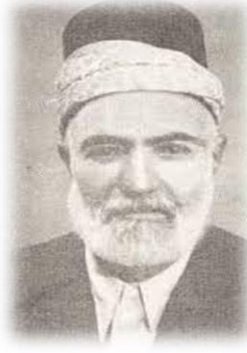
هِيَ الْحَقَائِقُ التَّارِيخِيَّةُ مُدَعَّمَةٌ بِالْوَثَائِقِ، وَمِنْ بَيْنِهَا وَثَائِقُ بَابَاوِيَّةٍ
مَسِيحِيَّةَةٍ، وَلِمُؤَلِّفَيْنِ مَسِيحِيِّينَ أَيْضاً، مَعَ الْكَثِيرِ مِنَ الصُّحُفِ الصَّادِرَةِ

فِي الثَّلَاثِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْقَرْنِ (الْعِشْرِينَ) عَلَى اخْتِلَافِ وَجْهَاتِ نَظَرِ
أَصْحَابِهَا وَأَهْدَافِهَا تُؤَكِّدُ كُلُّهَا أَنَّ مُفْجِرَ الثَّوْرَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْكُبْرَى وَالْمُخَطِّطَ
لِلثَّوْرَةِ السُّورِيَّةِ الْكُبْرَى هُوَ الشَّيْخُ بَدْرُ الدِّينِ الْحَسَنِيِّ مُحَدِّثُ الدِّيَارِ الشَّامِيَّةِ.



وَتَابِعَ قَائِلًا: سَتَرَى - قَارِئِي الْعَزِيزُ - كَيْفَ أَعَدَّ النُّفُوسَ وَهَيَّأَ لِلثَّوْرَةِ، ثُمَّ
فَجَّرَهَا مَعَ تَلَامِيذِهِ، مِمَّنْ حَمَلُوا لَوَاءَ الْإِسْلَامِ فِي سُورِيَّةٍ مِنْ أَمْثَالِ: الشَّيْخِ

علي الدقر، و الشيخ نجيب كيوان، و الشيخ مُحَمَّد حِجاز، و الشيخ موسى الطويل ...



الشيخ موسى الطويل



الشيخ نجيب كيوان



الشيخ علي الدقر

ولمّا هَيَّأَ الشَّيْخُ النُّفُوسَ ضِدَّ فَرَنسَا قَامَ بِجَوْلَتِهِ الشَّهِيرَةِ فِي الْمُحَافَظَاتِ فَكَانَ أَوَّلَ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ فِي أَيِّ مَدِينَةٍ يَنْزِلُهَا، دُخُولُهُ الْمَسْجِدِ الْكَبِيرِ فِيهَا، وَإِقَاؤُهُ حِكْمَهُ وَمَوَاعِظَهُ، وَيَحْثُ الْجَمِيعَ عَلَى الثَّوْرَةِ ضِدَّ فَرَنسَا، وَمَا إِنْ عَادَ إِلَى دِمَشْقَ حَتَّى قَامَتِ الثَّوْرَةُ فِي كُلِّ الْمُحَافَظَاتِ فِي الْيَوْمِ التَّالِي لِعَوْدَتِهِ، وَلِلْحَدِيثِ بَقِيَّةٌ أَنْظُرْهَا فِي ذَاكَ الْكِتَابِ.

• لَسْنَا اسْتِثْنَاءَ:

ولمّا أَنْ فَرَعْتُ مِنْ حَدِيثِي عَنْ دَوْرِ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ فِي صِنَاعَةِ الْجَلَاءِ فِي سُورِيَةِ عَرَجْتُ لِلْحَدِيثِ - بِإِيجَازٍ - عَنْ دَوْرِ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ فِي صِنَاعَةِ الْجَلَاءِ فِي بِلَادِهِمْ.

فَذَكَرْتُ مِنْ أَرْضِ الْجَزَائِرِ الْأَمِيرَ عَبْدَ الْقَادِرِ الْجَزَائِرِي، وَالْإِمَامَ عَبْدَ الْحَمِيدِ بْنِ بَادِيَسَ، وَالشَّيْخَ مُحَمَّدَ الْبَشِيرَ الْإِبْرَاهِيمِي.



الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْبَشِيرِ
الْإِبْرَاهِيمِي



الإمام عبد الحميد بن
باديس



الأمير عبد القادر

وَمِنْ أَرْضِ تُونِسَ الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ الْخَضِرِ حُسَيْنَ ، وَالشَّيْخُ النَّعَالِبِي .



الشَّيْخُ النَّعَالِبِي



الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ الْخَضِرِ حُسَيْنَ

وَمِنْ أَرْضِ السُّودَانِ مُحَمَّدٌ أَحْمَدُ الْمَهْدِيِّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ النَّعَائِشِي.

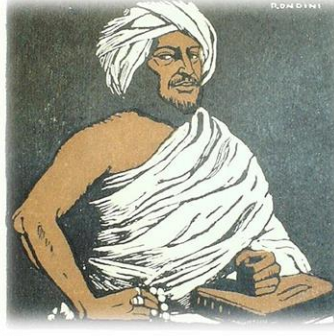


النَّعَائِشِي



الْمَهْدِيُّ

وَمِنْ أَرْضِ الصُّومَالِ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ عَبْدَ اللَّهِ حَسَنَ الْمَلَّأ.



الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّهِ حَسَنُ الْمَلَأ

ومن أرض ليبيا الشَّيْخُ عُمَرُ الْمُخْتَارَ.



الشَّيْخُ عُمَرُ الْمُخْتَارَ

ومن أرض المَغْرِبِ عَبْدُ الْكَرِيمِ الْخَطَّابِي.



عبدُ الكَرِيمِ الْخَطَّابِي

ومن أرض فلسطينَ الشَّيْخُ عَزَّ الدِّينِ الْقَسَّامَ.



الشَّيْخُ عَزَّ الدِّينَ الْقَسَّامُ

ومن أرض العراق رشيد الكيلاني، والشيخ محمد شكري الألوسي ..



الشَّيْخُ مُحَمَّدُ شُكْرِي الْأَلُوسِي

رَشِيدُ الْكِيلَانِي

وكان لهذه الخطبة وقعٌ مُجلِّلٌ هائلٌ، ومُفاجئٌ حيثُ كُشِفَ عن الحقائق التي يُحاولُ أعداءُ الأُمَّةِ وأتباعُهم من أبنائنا إهالةُ التُّرابِ عَلَيْهَا، وليكن أبطالُ الثَّوراتِ مَنْ يَكُونُوا، المُهمُّ عندهم ألا يكونَ علماءُ السُّنَّةِ وراءَ تلكَ الثَّوراتِ المُباركةِ التي تُوجِبُ بالاستقلالِ من أقوى الجيوشِ في ذاكَ العصرِ.

• اقتراح مؤؤؤء:

وقء ءآن بئف الفاضرفف فلك الفطبة أء كرفم - ءآن قء نشر لف فطبة
سافقة عن الفمة الففة بفكل مقالة - اقترح أن ففشر فلك الفطبة كمقالة
فأسرعت بالفابة، و ففبأت له بأنه لن ففسمء له بفشر فلك الفطبة، وذاك ما
ءآن، ولا فمكن أن فكون ففره.

٩- الخَطِيبُ والقَصَصُ القُرْآنِي والنَّبَوِي الأحداثُ والشَّخصيَّات

١- القَصَصُ القُرْآنِي:

لقد استحوذَت القِصَّةُ على اهتمامِ القرآنِ الكريمِ، ونالت من آياته المباركاتِ النصيبَ الأوفى و الأَكْبَرُ الَّذِي رَبا على النَّصِيبِ الَّذِي نالتَه آياتُ الأحكامِ على أهميَّتها في مَيدانِ التَّشريعِ، وما ذاكَ إلَّا لأهميَّتها البالِغة.

• فنُّ القِصَّةِ في القرآنِ الكريمِ:

للقرآن العظيم طريقتُه الفدَّةُ والفريضةُ في تعاطيه مع القِصَّةِ، وهي تُوحي للخطيب- خطيب المنابر والمحافل- الطَّريقة المثلَى في التَّعاملِ مع القِصَّةِ على أساسِها وهذه أبرزُ معالمِها:

الشَّخصيَّاتُ
القرآنيَّةُ

الأحداثُ
والشَّخصيَّاتُ

الاكتفاءُ
بموطنِ
العبرةِ

التَّفنُّنُ في
عرضِ
القِصَّةِ

١- التَّفنُّنُ في عرضِ القِصَّةِ:

لقد تَفَنَّنَ القرآنُ في عَرَضِ أحداثِ قصَّتِه وأتقَنَ حَبَكَتَها (تَرْتِيبَ أحداثِها) أيَّما إتقانٍ فهو تارةً يبدأ بالقِصَّةِ من أوَّلِها وَيَمْضِي بها حتَّى آخرِها مُتسَلِّسَةً رَقْرَاقَةً كقِصَّةِ يوسُفَ، وتارةً يبدأ بالقِصَّةِ من مَشْهَدِها الأخيرِ ثُمَّ يَعودُ لسردِ القِصَّةِ من أوَّلِها مُوضِّحاً وكاشِفاً السِّرَّ عن المَشْهَدِ الأخيرِ.

وتارةً يبدأ بالقصة من مُنتصفها ثم يمضي بها قُدماً مُرمِّماً ما سَبَق.
و رائده في ذلك الإثارة والتشويق من جهة، والفائدة والعبرة من جهة أخرى.

٢-الاكتفاء بموطن العبرة ومغزى الحكمة:

لم يجعل القرآن أكبر همه -وهو يسرد قصة ما- أن يستقصي تفاصيلها، ويورد كلَّ شاردة وواردة فيها، بل اكتفى بتسليط الضوء على مَوطن العبرة فيها، ومغزى الحكمة منها، وفي هذا ما يُفسِّر اختلاف المَُشاهِد بين قصة وقصة، قلة وكثرة.

٣-الأحداث والشخصيات:

عندما يقدم القرآن قصة ما من قصصه، فتارةً يسلط الضوء على الأحداث، ويُبهم الشخصيات، وتارةً يسلط الضوء على الشخصيات، وتارةً يماهي بينهما.

٤-الشخصيات القرآنية:

لقد تنوّعت الشخصيات التي عرَضها القرآن الكريم إلى حدّ التباين:
فمنها ما هو إيجابيٌّ كالأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين والعلماء والحكماء والقادة الفاتحين...

ومنها ما هو سلبيٌّ كالطغاة والجبابرة والمعاندين والجاحدين...
وقد كان للنساء نصيبهنَّ وحضورهنَّ من هذين النوعين:
الإيجابيِّ مثل زوجتي إبراهيم هاجر وسارة، وزوجة الطاغية فرعون، ومريم...

والسلبيِّ مثل زوجة نوح ولوط، وزوجة العزيز، وصديقاتها، وأمّ لهب...
وحتى الشخصيات من عالم الجنّ كان لها حضورها مثل عفريت سليمان، والجنّ الذين آمنوا برسول الله ﷺ، وإبليس وأمثاله من جهة أخرى.

ومن الطّريف أنّ القرآنَ ذكرَ بعضَ الشخصيّاتِ من عالمِ الحيوانِ مثلِ
نملةِ سليمانَ القياديّةِ، وهددِ سليمانَ الدّاعيةَ، وفيلَ الحبشةَ، وحوّتِ يونسَ...



القصةُ القرآنيّةُ والمنبرُ:

إنّ للمنابرِ والمُحافلِ وأهلِهما تعطشاً إلى القصةِ أيّما تعطشٍ، وولعاً
شديداً، وما على الخطيبِ -خطيبِ المنابرِ والمُحافلِ- إلّا أن يرويَ هذا الظمّاً
،وذاك التعطشَ، وذلك بمراعاةِ الأمورِ التالية:



١- **حسنُ اختيارِ القصةِ** أو الشخصيّةِ المناسبةِ
لموضوعِ الخطبةِ أو الكلمةِ، هذا ويستطيعُ
الخطيبُ أن يستهلَّ خطبتهِ بقصةٍ بل ويستطيعُ
أن يجعلَ من القصةِ موضوعاً لخطبتهِ، وقد
فعلتُ هذا عندما تحدّثتُ عن فريضةِ الأمرِ
بالمعروفِ ،والنّهي عن المنكرِ، حيث اكتفيتُ
بسرِدِ قصةِ أصحابِ السبتِ، وكفى بها من قصةٍ.

٢- **حُسنُ عرضِ القصةِ**، وليكنْ رائدُه في ذلك طريقةُ القرآنِ في
عرضه للقصةِ.

٣- **أن يحذرَ - كلّ الحذرِ - من التّزيّدِ على القصةِ القرآنيّةِ** بما ليس منها،
وما أكثرَ تلكَ الزياداتِ في كتبِ التّفسيرِ التي تورّطتْ بإيرادِ
الإسرائيلياتِ والموضوعاتِ خلالَ تفسيرِها لقصصِ القرآنِ، فعلاوةً
على أنّها مكذوبةٌ فإنّها قد تصرفُ انتباهَ السّامعينَ إليها، وإليك هذه
الأمثلة:

• شجرة آدم:



لقد نهى الله آدم وزوجه عن الأكل من الشجرة فكانت معلومة لهما، وأمّا بالنسبة لنا فإنّها مجهولة تماماً، لم يأت بيانها في القرآن ولا في الحديث الصحيح، بل كل ما ورد فيها ممّا نُقِلَ عن أهل الكتاب.

يقول العلامة ابن جرير الطبري (١/ ٥٢٠) فالصواب في ذلك أن يُقال: إنّ الله جلّ ثناؤه نهى آدم وزوجه عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها، فخالفاً إلى ما نهاهما الله عنه فأكلا منها كما وصفهما الله به.

ولا علم عندنا أي شجرة كانت على التعيين لأنّ الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك في القرآن ولا في السنة الصحيحة فأتى يأتي ذلك؟ ... وذلك علم إذا علم لم ينفع العالم به علمه، وإن جهله جاهل لم يضره جهله به.

وأضيف قائلاً: بل إنّ ذكره مُضرٌّ لأنّه يصرفُ اهتمام وانتباه السامعين إليه، ولا شك أنّ الناس لو علموها فإنهم سيسمون تلك الشجرة بأنّها شجرة ملعونة فلا يقربونها فيحرّموا ما أحلّ الله!

• بقرة بني إسرائيل:



لقد طلب موسى من قومه أن يذبحوا بقرة، ولمّا ذبحوها بعد لأيٍ أخذ جزءاً منها فضرب الميت به فأحياه الله عزّ وجلّ، وهذا الجزء معلوم له ولمن شهد الحادثة ولكنه مجهول لنا تماماً، وكلّ ما ورد فيه فهو من تحريفات بني إسرائيل.

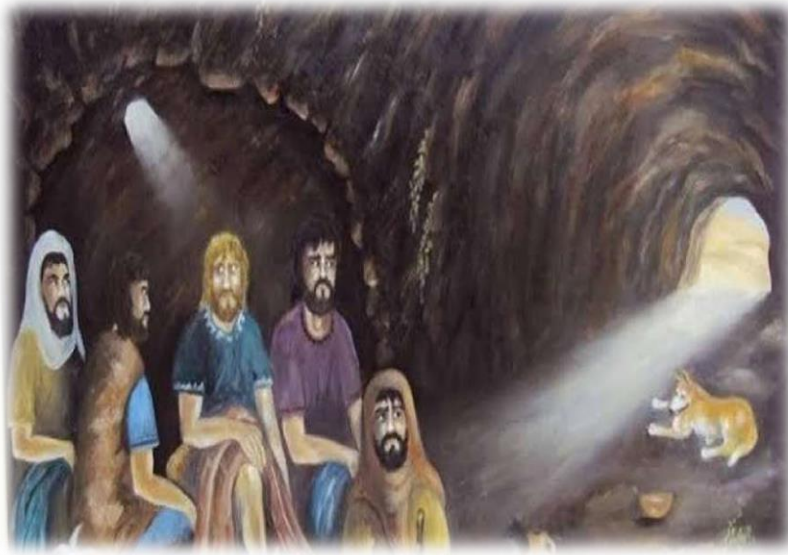


يقول العلامة ابن كثير (٣٠٢ / ١) هذا البعض أي شيء كان من أعضاء تلك البقرة فالمعجزة حاصلة به، وخرق العادة به كائن، وقد كان معيناً في نفس الأمر، فلو كان في تعيينه لنا فائدة تعود علينا في أمر الدين أو الدنيا لبيّنه الله لنا، ولكن أبهمه، ولم يَجِئ من طريق صحيح عن المعصوم بيانه فنحن نبهمه كما أبهمه الله.

وأضيف: بل ثمة خطر في تحديده وهو الافتراء على الله، وصرف اهتمام الناس إليها، وقد يصل الحد ببعض الناس إلى تقديس ذلك الجزء وتعظيمه وظن أنه يشفي وأن به سرّاً والله أعلم.

• عدد أصحاب الكهف وأسمائهم:

إنهم — كما قال الله — فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى فعلى الخطيب إذا ما أراد أن يتحف جمهوره بقصّتهم أن يقتصر على ما جاء في القرآن مع بيان العبر والدروس المستفادة وما عدا ذلك من البحث في زمانهم ومكانهم وعددهم — على الحقيقة — وأسمائهم فكل هذا مما لا طائل وراءه.



يقول العلامة ابن كثير في مقدمة تفسيره (٩ / ١) قد اشتملت هذه الآية الكريمة:



﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۚ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۚ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٢]

على الأدب في هذا المقام، وتعليم ما ينبغي في مثل هذا فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال، ضَعَفَ القولين الأولين، وسَكَتَ عن الثالث، فدلَّ على صِحَّتِهِ إذ لو كان باطلاً لردّه كما ردهما، ثم أرشد على أن الإطلاّع على عِدَّتِهِمْ لا طائِلَ تحته فقال في مثل هذا ﴿ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ ﴾ فإنه ما يعلم بذلك إِلَّا قَلِيلٌ من النَّاسِ مِمَّنْ أَطْلَعَهُ اللهُ عليه فهذا قال ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا ﴾ أي: لا تُجهِدْ نفسك فيما لا طائِلَ تحته ... فتشغل به عن الأهم.

• ما وراء القصة!

ليس هدفُ القِصةِ إثارة إعجاب الجمهور، واستجلاب دهشتهم وحسب بل وراء كل قصة في القرآن حدثاً كانت قصته، أو شخصيّة كانت تعرضها ... وراء ذلك عبرة تُريدُ من النَّاسِ أن يلتفتوا حولها و يلتفتوا إليها.

• ولكن ما هي العبرة ؟

إنّ الاعتبار أو العبرة أسلوبُ تربويٍّ قرآنيٍّ يقومُ على انتقالِ الذّهن من قصة أو واقعة مشهودة أو محكيّة إلى ما يُقابلها أو ما يُشابهها أو يُناظرها من أحوال النَّاسِ أو المتعلّمين أو إلى ما يُتوقّع أن تؤوّل إليه أحوالهم، أو أحوال شعب ما، أو مُجتمع ما، أو أمّة ما ... قياساً على هذه القِصة لأنّ مُقدّماتها وأحوال أبطالها تُشبه ما عليه هذا الفردُ المُعتبر أو هذا الشعب أو المجتمع، فيجب أن يكون المصير والمآل مُتشابهاً كما تشابهت المُقدّمات.

• كِتَابَانِ لَا يُسْتَغْنَى عَنْهُمَا فِي مَوْضُوعِ الْقَصَصِ الْقُرْآنِيِّ:

ثَمَّةُ كِتَابَانِ لَا يُسْتَغْنَى عَنْهُمَا ، وَ يَكَادَانِ يُغْنِيَانِ عَنْ غَيْرِهِمَا فِي هَذَا الْمَجَالِ:

١-كِتَابُ " الْقَصَصِ الْقُرْآنِيِّ " لِصَلَاحِ عَبْدِ الْفَتَّاحِ الْخَالِدِيِّ ، وَهُوَ أَوْسَعُ وَأَدْقُ مَا كُتِبَ فِي هَذَا الْمَجَالِ وَكَانَ أَبْعَدَ مَا يَكُونُ عَنْ الْمَوْضُوعَاتِ وَالْمَدَسُوسَاتِ فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَقَدْ قُتِمَتْ بِتَلْخِيصِهِ فِي ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ نَظَرًا لِأَنَّهُ يَقَعُ فِي أَرْبَعَةِ مُجَلَّدَاتٍ .

٢-كِتَابُ " الْمُسْتَفَادُ مِنْ قِصَصِ الْقُرْآنِ " لِعَبْدِ الْكَرِيمِ زَيْدَانَ ، وَاسْمُهُ يُنْبِئُ عَنْ مَضْمُونِهِ .

٢- الْقَصَصُ النَّبَوِيُّ:

لَقَدْ ظَفَرَتِ الْقِصَّةُ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ بِمَكَانَتِهَا الَّتِي تَلِيْقُ بِهَا ، وَلَقَدْ قَصَّ الرَّسُولُ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنَ الْأَحْدَاثِ الْغَائِرَةِ ، وَعَرَّفَهُمْ بِبَعْضِ مِنَ الشَّخْصِيَّاتِ الَّتِي ظَهَرَتْ عَلَى مَسْرَحِ التَّارِيخِ مَا طَفَحَتْ بِهِ كُتُبُ السُّنَّةِ .

وَنَلَفْتُ النَّظَرَ هُنَا إِلَى أَنَّ مَوْضُوعَ الْقَصَصِ مِنَ الْمَوَاضِيْعِ الَّتِي نَشَطَ فِيهَا الْوَضْعُ وَالِدَسُّ وَالْإِفْتِرَاءُ ، فَعَلَى الْخَطِيبِ أَنْ يَتَوَثَّقَ مِمَّا يَقْدِّمُهُ لِجُمْهُورِهِ تَمَامَ التَّوَثُّقِ ، وَلِيَحْذَرَ أَنْ يَحْمِلَهُ الشَّرُّ عَلَى رِوَايَةِ كُلِّ مَا وَصَلَتْ يَدُهُ إِلَيْهِ ، وَوَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَيْهِ .

يَقُولُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الصَّلَاحِ: اَعْلَمْ أَنَّ الْحَدِيثَ الْمَوْضُوعَ شَرُّ الْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ وَلَا تَحِلُّ رِوَايَتُهُ لِأَحَدٍ عِلْمَ حَالِهِ فِي أَيِّ مَعْنَى كَانَ إِلَّا مَقْرُونًا بِبَيَانٍ وَضَعَهُ بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ الَّتِي يُحْتَمَلُ صِدْقُهَا فِي الْبَاطِنِ حَيْثُ جَازَ رِوَايَتُهَا فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ .



نَمَازِجٌ مِمَّا قَصَّه عَلَيْنَا رَسُولُنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لقد أَلَفْتُ كِتَاباً جَمَعْتُ فِيهِ بَعْضاً مِنَ الْقَصَصِ النَّبَوِيِّ بِعُنْوَانِ

" مُخْتَارَاتٍ مِمَّا قَصَّه عَلَيْنَا الرَّسُولُ مِنْ قِصَصِ السَّابِقِينَ "

و سَقَّيْتُ فِيهِ (١٥) قِصَّةً وَهَذِهِ بَعْضُهَا:

١- قِصَّةُ أَصْحَابِ الْغَارِ وَهِيَ قِصَّةٌ مَشْهُورَةٌ رَوَاهَا الشَّيْخَانُ.



٢- قِصَّةُ الثَّلَاثَةِ : الْأَبْرَصِ وَالْأَقْرَعِ وَالْأَعْمَى، وَهِيَ قِصَّةٌ مَشْهُورَةٌ
أَيْضاً وَرَوَاهَا الشَّيْخَانُ.



٣- قِصَّةُ جُرَيجَ مَعَ وَالِدَتِهِ وَهِيَ قِصَّةٌ مَشْهُورَةٌ جَدًّا وَقَدْ رَوَاهَا الشَّيْخَانُ.



٤- قِصَّةُ الْغُلَامِ وَالسَّاحِرِ وَالرَّاهِبِ وَهِيَ قِصَّةٌ مَشْهُورَةٌ جَدًّا وَقَدْ رَوَاهَا مُسْلِمٌ.



وَقَدْ قَصَّصْتُ أَكْثَرَ هَذِهِ الْقِصَصِ مِنْ فَوْقِ مَنْبَرِي، وَفِي بَعْضِ الْمَحَافِلِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ.

١٠- الخطيب والحكايا حكايا العرب - حكايا الأمم - الحكايا الشعبية

الناس والحكايا:

لَطَالَمَا أُولِعَ النَّاسُ كُلُّ النَّاسِ بِسَمَاعِ الْحَكَايَا، فَاسْتَمَعُوا لَهَا، وَاسْتَمْتَعُوا بِهَا، وَفَهِمُوا مَا فِيهَا، وَعَمِلُوا بِأَحْسَنَ مَا فِيهَا.

وَيَسْتَطِيعُ الْخَطِيبُ- خَطِيبُ الْمَنَابِرِ وَالْمَحَافِلِ- أَنْ يَجْعَلَ مِنْ حِكَايَةٍ مِنَ الْحَكَايَا، أَوْ قِصَّةٍ مِنَ الْقَصَصِ، مُقَدِّمَةً لَخُطْبَتِهِ أَوْ كَلِمَتِهِ - وَمَا أَحْسَنَهَا إِذَنْ وَمَا أَحْلَاهَا - أَوْ مِسْكَ الْخِتَامِ - وَمَا أَرَوَعَهُ مِنْ خِتَامٍ - أَوْ شَاهِدًا عَلَى فِكْرَةٍ مِنَ الْفِكْرِ الَّتِي طَرَحَهَا فِي خُطْبَتِهِ أَوْ كَلِمَتِهِ.

بين الصِّحَّةِ وَالْعِبْرَةِ:

و لَعَلَّ فِينَا مَنْ يَقُولُ: وَلَكِنْ هَلْ يُشْتَرَطُ فِي الْحَكَايَا أَنْ تَكُونَ قَدْ وَقَعَتْ فِعْلًا، وَوَصَلَتْ إِلَيْنَا بِسَنَدٍ مُعْتَبَرٍ؟

لَقَدْ أَجَابَ فَقَهَاؤُنَا عَنْ هَذَا الْإِسْتِفْسَارِ فَقَدْ قَالَ الرَّمْلِيُّ فِي نِهَايَةِ الْمُحْتَاجِ (١٦٥ / ٨) " وَمِثْلُهُ - فِي الْحِلِّ وَ الْجَوَازِ - سَمَاعُ الْأَعَاجِيبِ وَالْعَرَائِبِ مِنْ كُلِّ مَا لَا يُتَيَقَّنُ كَذِبُهُ بِقَصْدِ الْفُرْجَةِ، بَلْ وَ لَوْ تُيَقَّنُ كَذِبُهُ لَكِنْ قُصِدَ بِهِ ضَرْبُ الْأَمْثَالِ وَالْمَوَاعِظِ وَتَعْلِيمُ نَحْوِ الشَّجَاعَةِ عَلَى أَلْسِنَةِ أَدَمِيِّينَ أَوْ حَيَوَانَاتٍ "

وَقَدْ نَقَلَ ابْنُ عَابِدِينَ النَّصَّ السَّابِقَ فِي حَاشِيَّتِهِ (٤٠٥ / ٦) وَاعْتَمَدَهُ بِشَكْلِ عَامٍ وَمَثَّلَ بِمَقَامَاتِ الْحَرِيرِيِّ وَقَالَ " فَإِنَّ الظَّاهِرَ أَنَّ الْحِكَايَاتِ الَّتِي فِيهَا عَنِ الْحَارِثِ بْنِ هَمَّامٍ وَالسُّرُوجِيِّ لَا أَصْلَ لَهَا، وَإِنَّمَا أَتَى بِهَا عَلَى هَذَا السِّيَاقِ الْعَجِيبِ لِمَا لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ يُطَالِعُهَا " .



حكاية فيها عبرة:

المَلِكُ وَالْوَزِيرُ وَالْكِلَابُ



كَانَ عِنْدَ مَلِكٍ لثِيْمٍ جَبَّارٍ، عَشْرَةُ كِلَابٍ شَرَسَةٍ مُفْتَرَسَةٍ كِبَارٍ، وَكَانَ إِذَا مَا غَضِبَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِهِ أَمَرَ بِهِ فَأُلْقِيَ بِهِ فِي قَفَصِ تِلْكَ الْكِلَابِ فَمَزَّقَتْهُ إِرْبَاءً، وَأَكَلَتْهُ حَيًّا!



وَذَاتَ يَوْمٍ غَضِبَ الْمَلِكُ عَلَى وَزِيرٍ مِنْ وَزَرَائِهِ - كَانَ قَدْ أَمْضَى فِي خِدْمَتِهِ عَشْرَ سَنَوَاتٍ - فَأَمَرَ بِهِ الْمَلِكُ أَنْ يُلْقَى هُوَ الْآخَرُ فِي قَفَصِ تِلْكَ الْكِلَابِ، فَالْمَلِكُ عَادِلٌ! يُسَوِّي بَيْنَ شَعْبِهِ فِي عُقُوبَتِهِ!

طَلَبَ الْوَزِيرُ مِنَ الْمَلِكِ أَنْ يُؤَخَّرَ عُقُوبَتَهُ عَشْرَةَ أَيَّامٍ فَقَطْ، كُلَّ يَوْمٍ مُقَابِلَ خِدْمَتِهِ لِذَاكَ الْمَلِكِ سَنَةً، فَوَافَقَ الْمَلِكُ، وَسُرَّعَانَ مَا مَضَتْ الْأَيَّامُ الْعَشْرَةُ، وَهَاهُوَ ذَا الْوَزِيرُ يُقَادُ مَكْبَلًا عَلَى مَرَأَى مِنَ الْمَلِكِ وَكُلِّ حَاشِيَّتِهِ، ثُمَّ يَقْدَفُ بِهِ إِلَى قَفَصِ تِلْكَ الْكِلَابِ، وَهِيَ ذِي الْكِلَابِ تُسْرِعُ نَحْوَهُ وَتُحِيطُ بِهِ وَتَلْحَسُ قَدَمَيْهِ.

تَفَاجَأَ الْمَلِكُ وَمَنْ مَعَهُ، أَوَّلِيَّ صَالِحٍ؟ أَوْ سَاحِرٌ مُخَادِعٌ؟ أَمْ مَاذَا هُوَ هَذَا الْوَزِيرُ؟ أَخْرَجَ الْوَزِيرُ مِنَ الْقَفَصِ وَأَحْضَرَ إِلَى الْمَلِكِ وَدَارَ بَيْنَهُمَا هَذَا الْجَوَارُ:

الْمَلِكُ: مَاذَا فَعَلْتَ لِهَذِهِ الْكِلَابِ؟ أَسَحَرْتَهَا؟



الْوَزِيرُ: لَا يَا سَيِّدِي، كُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ أَنِّي أَنْفَقْتُ تِلْكَ الْأَيَّامَ الْعَشْرَةَ الَّتِي جَدْتُ عَلَيَّ بِهَا فِي خِدْمَةِ تِلْكَ الْكِلَابِ فَأَطَعْتُهَا، وَدَاعَبْتُهَا، وَلَا عَبْتُهَا، عَشْرَةَ أَيَّامٍ فَقَطْ، وَهِيَ ذَا تَحْفَظُنِي! يَا سَيِّدِي الْمَلِكُ!

فَهِمَ الْمَلِكُ مُرَادَ الْوَزِيرِ وَلَكِنَّهُ رَغَمَ ذَلِكَ قَتَلَهُ، فَلَمَّا رَأَتْ الْكِلَابُ مَا فَعَلَ الْمَلِكُ بِالْوَزِيرِ انْطَلَقَتْ نَحْوَهُ فَفَتَلَتْهُ!

تَجْرِبَةٌ نَاجِحَةٌ:

خَطَبْتُ ذَاتَ مَرَّةٍ عَنِ الْمُخَدِّرَاتِ وَأَثَرِهَا عَلَى مَنْ يَتَّعَاطَاهَا وَعَلَى أُسْرَتِهِ وَمُجْتَمَعِهِ ... وَاكْتَفَيْتُ بِسَرْدِ بَعْضِ الْقَصَصِ الْوَاقِعِيَّةِ لِلْأَنَاسِ وَقَعُوا فِي شَرِّكَ الْإِدْمَانِ.

- كَيْفَ وَقَعُوا فِي شَرِّكَ الْإِدْمَانِ؟

- وَكَيْفَ كَانَ أَثَرُ ذَلِكَ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَصِحَّتِهِمْ وَمَالِهِمْ وَأَهْلِهِمْ ...؟

- وَكَيْفَ كَانَتْ نِهَائِيَّتُهُمْ هَلْ تَابُوا أَمْ مَاتُوا عَلَى إِدْمَانِهِمْ؟

وَرَأَيْتُ فِي هَذَا نَفْعًا أَكْثَرَ مِنْ سَرْدِ كَلَامِ الْأَطِبَّاءِ، وَإِحْصَاءِ دَوَائِرِ الْإِحْصَاءِ.



١١- الخَطِيبُ والصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

.... وَالَّذِينَ مَعَهُ:

إِنَّهُمْ - أَعْنِي الصَّحَابَةَ - ذَاكَ الْجِيلُ الْعَظِيمُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، مِنَ الْكُهُولِ وَالشُّبَّانِ وَحَتَّى الْأَطْفَالِ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ الَّذِينَ اصْطَفَاهُمْ اللَّهُ وَاخْتَارَهُمْ مِنْ بَيْنِ الْبَشَرِ أَجْمَعِينَ لِصُحْبَةِ صَفْوَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَكَبِيرِ أَنْبِيَائِهِ، وَمُقَدِّمِ مُرْسَلِيهِ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، وَلِنَصْرِ دِينِهِ، وَرَفَعَ رَايَتَهُ، وَنَشَرَهُ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، فَقَامُوا بِذَلِكَ خَيْرَ قِيَامٍ، وَتَحَمَّلُوا فِي سَبِيلِ ذَلِكَ مَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَتَحَمَّلَهُ الْجِبَالُ فَفَارَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أوطَانَهُمْ، وَبَذَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَالَهُمْ وَدِمَاءَهُمْ، وَخَاصَمُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَقْرَبَ أَقْرَبَائِهِمْ.



وَتَأْمَلْ مَعِيَ قَوْلَ اللَّهِ فِي حَقِّهِمْ:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلِظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْكِهِ لِيُعْجِبَ الزَّرَّاعُ لِيَغْيِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]

تَجِدُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا بَشَّرَ بِخَاتَمِ مُرْسَلِيهِ فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ كَالْتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ فَإِنَّهُ - أَيْضًا - بَشَّرَ بِأَصْحَابِ وَأَتْبَاعِ هَذَا النَّبِيِّ ﷺ الَّذِينَ عَاصَرُوهُ وَتَحَمَّلُوا أَعْبَاءَ الدَّعْوَةِ مَعَهُ! فَأَيُّ جِيلٍ ذَاكَ الْجِيلُ الَّذِي بَشَّرَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ قَبْلَ ظُهُورِهِ بِقُرُونٍ وَقُرُونٍ؟!

مَكَانَةُ التَّابِعِ بِمَكَانَةِ الْمَتْبُوعِ:

هذا ومِمَّا لا ارتيابَ فيه، ولا جدَلَ حَوْلَه، أَنَّ مَكَانَةَ التَّابِعِ تَعْلُو وتَسْمُو بِعُلُوِّ
وسُمُو مَكَانَةِ المَتَّبِعِ!

وقُلْ لي بِرَبِّكَ مَنْ أَعْظَمُ قَدْرًا، وأَعْلَى شَأْنًا، وَأَفْخَمُ أَمْرًا، وأَبْقَى ذِكْرًا،
وَأَكْثَرُ تَابِعًا، وَأَعْظَمُ مُعْجَزَةً ... مَنْ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ؟
فَهُمْ إِذَا خَيْرُ أَتْبَاعٍ لِخَيْرِ رَسُولٍ مَتَّبِعٍ.

أَصْحَابٌ وَأَصْحَابُ!



وقُلْ لي بِرَبِّكَ أَيْنَ مِنْ أَصْحَابِ الرَّسُولِ ﷺ
أَصْحَابُ كَلِيمِ اللَّهِ مُوسَى؟ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَجَّاهُمُ اللَّهُ
مِنْ ظُلْمِ الطَّاغِيَةِ فِرْعَوْنَ وَآلِهِ، وَأَغْرَقَهُ اللَّهُ عَلَى
مَرَأَى مِنْهُمْ هُوَ وَآلُهُ، وَأَطْعَمَهُمُ الْمَنِّ، وَأَنْزَلَ
عَلَيْهِمُ السَّلْوَى ... يَوْمَ طَلَبَ إِلَيْهِمْ نَبِيُّهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا
الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ - دُخُولًا فَقَطْ بِلَا قِتَالٍ - فَكَانَ
جَوَابُهُمْ مَا حَكَاهُ لَنَا الْقُرْآنُ عَنْهُمْ

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا ۖ فَادْهَبْ أَنْتَ
وَرَبِّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٥٤]

وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَصْحَابُ عِيسَى أُولَئِكَ الَّذِينَ رَأَوْهُ يُحْيِي المَوْتَى - بِإِذْنِ اللَّهِ -
وَيَبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِ اللَّهِ ... ثُمَّ إِنَّهُمْ طَلَبُوا مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ دَلِيلًا
مَادِيًّا! لِكِي تَطْمِئِنَّ قُلُوبُهُمْ ، وَتَشَبَعَ بِهِ بَطُونُهُمْ!

﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ
عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ
أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ
الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائدة: ١١٢ - ١١٣]



بَلْ أَيْنَ هُمْ أَصْحَابُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ يَوْمَ أُلْقَاهُ
قَوْمُهُ فِي السَّعِيرِ، لِكِي يَمْنَعُوهُ أَوْ يَنْصُرُوهُ؟



وأين هم أصحاب لوط عليه السلام يوم أحاط بداره قومه
الشذاذ يراودونه عن ضيوفه ليفجروا بهم حتى الجؤوه أن
يقول ما حكاؤه لنا القرآن:

﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود: ٨٠]

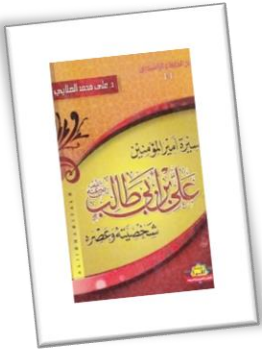
الإساءة إلى التابع إساءة إلى المتبوع!

ومِمَّا لَا جِدَالَ فِيهِ أَيْضاً أَنَّ التَّابِعَ كَمَا يَسْمَوُ بِسْمَوْ مَتَّبِعِهِ، فَإِنَّ المَتَّبِعَ
أَيْضاً يَتَأَذَى كُلَّ الأَذَى بِالأَذَى بِصَاحِبِهِ وَتَابِعِهِ وَمَنْ لَهُ انتِسَابٌ إِلَيْهِ.

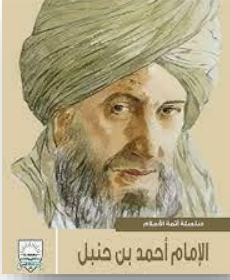
وَمِنْ هُنَا فَقَدْ أَجْمَعَ العُلَمَاءُ والعُقَلَاءُ عَلَى أَنَّ الإِسَاءَةَ لِجِيلِ الصَّحَابَةِ -
عُمُومًا - أَوْ إِلَى فِئَةٍ مِنْهُمْ عَلَى وَجْهِ الخُصُوصِ، أَوْ إِلَى فَرْدٍ مِنْهُمْ - رَجُلًا
كَانَ أُمَ امْرَأَةٍ - بِالأَذَاتِ هِيَ أَوَّلًا وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ! إِسَاءَةٌ إِلَى جَنَابِ الرِّسُولِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِيذَاءٌ لَهُ وَتَأَمَّلْ مَعِيَ قَوْلَ الحَقِّ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ
لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا
اِكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٧ - ٥٨]

يقول الصَّلَابي فِي كِتَابِهِ (عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ): هَذِهِ الآيَةُ تَضَمَّنَتْ
التَّهْدِيدَ وَالْوَعِيدَ بِالطَّرْدِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَالْعَذَابِ الْمُهِينِ لِمَنْ آذَى اللَّهَ
بِمُخَالَفَةِ أَوَامِرِهِ وَارْتِكَابِ زَوَاجِرِهِ ... وَإِيذَاءِ رَسُولِهِ، وَمِمَّا يُؤْذِيهِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبُّ أَصْحَابِهِ ...



وَنَقَلَ عَنْ ابْنِ كَثِيرٍ قَوْلَهُ (٦/ ٤٨٠) وَمِنْ أَكْثَرِ مَنْ يَدْخُلُ فِي هَذَا
الْوَعِيدِ الكُفْرَةُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ الرَّافِضَةُ الَّذِينَ يَنْتَقِصُونَ الصَّحَابَةَ
وَيَعْيُبُونَهُمْ بِمَا قَدْ بَرَّاهُمْ اللَّهُ مِنْهُ وَيَصِفُونَهُمْ بِنَقِيضِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ
عَنْهُمْ ...



وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ قَوْلَهُ " إِذَا رَأَيْتَ
الرَّجُلَ يَذْكُرُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسَوْءٍ فَاتَّهِمُهُ
عَلَى الْإِسْلَامِ "

أَقُولُ: وَالَّذِي دَعَانِي إِلَى هَذِهِ الْإِطَالَةِ - وَهِيَ قَلِيلَةٌ فِي
جَنَابِهِمُ الْكَرِيمِ - أُمُورٌ مِنْهَا:

- ١- أَنَّ جِيلَنَا هَذَا قَدْ وَهَتْ صَلَاتُهُ بِذَلِكَ الْجِيلِ الْعَظِيمِ -جِيلِ الصَّحَابَةِ -حَتَّى
بَاتَ مَا يَعْرِفُهُ عَنِ الْفَنَّانِينَ مِنْ مُمَثِّلِينَ وَمُطْرِبِينَ وَرَاقِصَاتٍ وَرَاقِصِينَ
... وَعَنْ لَا عِيَّ كُرَةِ الْقَدَمِ أَكْثَرُ بِكَثِيرٍ مِمَّا يَعْرِفُهُ عَنِ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ،
وَأَذْكُرُ أَنَّ امْرَأَةً - مُتَقَفَّةً -! سَأَلْتَنِي يَوْمًا عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْأَنْصَارِ
وَالنَّصَارَى، وَيَقُولُ أَحَدُ مُدْرَسِي الْجَامِعَةِ: طَلَبْتُ مِنْ طُلَّابِي الْجَامِعِيِّينَ
أَنْ يَذْكُرُوا لِي أَسْمَاءَ أَرْبَعِ زَوَاجَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنَاصَحُوا
مِنْ كُلِّ مَكَانٍ "عَائِشَةَ"، "خَدِيجَةَ" ثُمَّ تَوَقَّفَ الْجَمِيعُ فَطَلَبَ مِنْهُمْ الْأَسْمَاءَ
الثَّلَاثَ وَبَعْدَ صَمْتٍ رَهِيْبٍ صَاحَ أَحَدُهُمْ "فَاطِمَةَ!" فَأَيُّ طُلَّابٍ جَامِعِيِّينَ
هُؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ زَوَاجَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَنَاتِهِ؟!
- ٢- أَنَّ فِئَةً مَارِقَةً عَلَا صَوْتُهَا - مِنْ بَعْدِ أَنْ كَانَ خَافِتًا - بِالْإِسَاءَةِ إِلَيْهِمْ
وَالْتَنَقُّصِ مِنْهُمْ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ فِي تَجَاهُلِ الْحُكَّامِ وَصَمْتِ
الْعُلَمَاءِ؟

الْخَطِيبُ وَأَصْحَابُ الْحَبِيبِ ﷺ:

عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ - فَكَيْفَ بِالْأُذْعَاءِ وَالْخُطْبَاءِ - أَنْ يَكُونَ عَلَى صَلَاةٍ طَيِّبَةٍ
بِأَصْحَابِ الرَّسُولِ ﷺ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ مُطَالَعَةِ أَخْبَارِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ وَمَا بَدَّلُوهُ
فِي سَبِيلِ الْإِسْلَامِ، فَهَمُ الْجِيلُ الَّذِي لَمْ يُسَبِّقْ بِمِثْلِهِ، وَلَنْ يَأْتِيَ بَعْدَهُ مِثْلُهُ أَبَدًا.



وعليه أن يكونَ على حذرٍ فليسَ كلُّ ما يَقرؤه في هذا الكتابِ أو ذاكَ هو صحيحٌ في ذاتِ الأمرِ، فقد تعرَّضتُ سيرةُ الأصحابِ للتَّشويهِ المُتعمَّدِ وتأملَ معي قولَ ابنِ الصَّلَاح (ص/ ٢٩١) " هذا عِلْمٌ كَبِيرٌ قد أَلَفَ النَّاسُ فيه كُتُباً كَثِيرَةً، ومن أحلاها وأكثرها فوائِدَ كِتَابُ (الاستيعاب) لابنِ عبدِ البرِّ لولا ما شأَّه به من إيرادِهِ كَثِيراً ممَّا شَجَرَ بينَ الصَّحَابَةِ، وحِكاياتِهِ عن الإخباريِّين لا المُحدِّثين، وغالبٌ على الإخباريِّين الإكثارُ و التَّخْلِيطُ فيما يَروونه " اهـ.

يقولُ أستاذنا "العتر" في تعليقه على النصِّ السَّابق:

وثمةُ كُتُبٍ أُخرى مهمَّةٌ في مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ وهي:

١- كِتَابُ " أَسَدُ الْغَابَةِ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ " لابنِ الأثير (ت).

(٦٣٠ هـ)

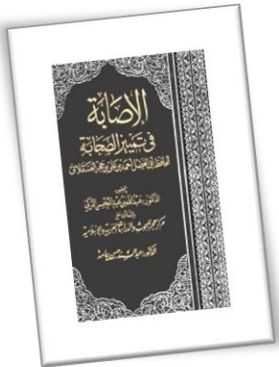


جَمَعَ في كِتَابِهِ هذا بينَ الكُتُبِ الَّتِي هي غَايَةُ ما انْتَهَى إليه الجَمْعُ في الصَّحَابَةِ حتَّى عَهْدِهِ فاجْتَمَعَ له /٧٥٠٠/ من الصحابة قال ابنُ حجر:

" إلا أَنَّهُ تَبَعَ مَنْ قَبْلَهُ، فَخَلَطَ مَنْ لَيْسَ صَحَابِيًّا بِهِمْ، وَأَغْفَلَ كَثِيراً مِنَ التَّنْبِيهِ على كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْهَامِ الْوَاقِعَةِ فِي كُتُبِهِمْ ".

٢- كِتَابُ " الإِصَابَةُ فِي تَمْيِيزِ الصَّحَابَةِ " لابنِ حجر (ت)

(٨٥٢ هـ)



جَمَعَ في كِتَابِهِ ما كَتَبَهُ السَّابِقُونَ، وأَعَادَ النَّظَرَ في مَرَاجِعِ الصَّحَابَةِ الْأُولَى من كُتُبِ السُّنَّةِ وتاريخِ الرُّوَاةِ والسِّيَرِ والمَغَازِي فاستَخَرَجَ منها أَسْمَاءَ صَحَابَةٍ فَاتَتْ غَيْرَهُ.

٣- كتاب " حياة الصحابة " للكاتب دهلوي (ت ١٣١٣ هـ)



وهو كتابٌ بديعٌ جداً في هذا الفن، تناول فيه سيرة الصحابة من حيث كونهم أمثلةً علياً في تطبيق هذا الدين، ومن حيث كونهم قدوةً تحتذى في العلم والعمل والتقوى ... والكتاب بهذا عدة هامة وسلاح ماضٍ للداعية لا يستغنى عنه.

الصحابةُ والمنابرُ والمحافلُ:

قلنا: إن الصحابة جيلٌ لن يتكرر، ولقد برز هذا الجيل في كل جانبٍ و من جوانب الحياة، ومنحى من مناحيها في عمق الإيمان، ومحبة رسول الرحمن ﷺ، وخدمة الدين، وكانوا مثلاً في الطاعة والعبادة، وطلب العلم والجهاد في سبيل الله، والقيادة السياسية والعسكرية... ولقد أجرى الله على أيديهم الكرامات وخرق لهم العادات في كثير من الأوقات.

وبرأيي فإن الخطيب لو جعل من هذا الجيل مادةً لخطابته في المنابر والمحافل لكفاه هذا، ولقد تناولت على منبري شخصيات منهم كالخلفاء الراشدين وأذكر أنني تحدثت عنهم زمن حرب لبنان.

وليحذر الخطيب من سرد الأخبار التي يؤهم ظاهرها التناقص منهم، وعليه أن يبتعد عن سرد ما جرى بينهم من حروب وخلافات فإن من شأن هذا - عند من لم يفهم ذاك الجيل وملايسات الأحداث - أن يكون سبباً لإساءة الظن بهم.

رَمِيَّةٌ من غير رام!

طُلب مِنَّا ذات مرّة أن نتحدث عن القنوات المغرضة التي تعمل على بثّ التفرقة بين المسلمين فما كان مِنِّي إلّا أن هاجمتُ و بشراسة جميع القنوات التي تُسيء إلى صحابة رسول الله ﷺ، وتتقصص منهم، وبيّنت مكانة ذاك الجيل عند الله، وعند رسوله ﷺ، وما قدّمه للمسلمين ...

ثُمَّ عَلِمْتُ فِيمَا بَعْدَ أَنْ كَلَامِي هَذَا أزعَجَ الجِهَاتِ الأُمْنِيَّةَ! الَّتِي كَانَتْ وَرَاءَ
ذَلِكَ الطَّلَبِ فَقَدْ كَانُوا يَتَوَقَّعُونَ مِنَّا أَنْ نُهَاجِمَ القَنَوَاتِ الَّتِي تُدَافِعُ عَنِ الصَّحَابَةِ
، لِأَنَّهَا فِي رَأْيِهِمْ تَعْمَلُ عَلَى بَثِّ الطَّائِفِيَّةِ!

وَيَا لِّلْعَجَبِ القَنَوَاتُ الَّتِي تَشْتِمُ الصَّحَابَةَ عَلَيْنَا أَنْ نُغْضِيَ عَنْهَا، وَالقَنَوَاتِ
الَّتِي تُدَافِعُ عَنْهُمْ عَلَيْنَا أَنْ نُجَرِّمَهَا، أَيْ مَنَطِقُ تَأْفِهِ هَذَا الْمَنَطِقُ، وَلَكِنْ كَمَا
يُقَالُ " انْقَلَبَ السِّحْرُ عَلَى السَّاحِرِ "، وَقَدْ أَخْبَرَنِي صَدِيقِي - رَحِمَهُ اللَّهُ -
نَقْلًا عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُمْ لَنْ يُعِيدُوا مِثْلَ هَذَا الطَّلَبِ مَرَّةً ثَانِيَةً!

١٢- الخطيب والفقه

لا هذا ولا ذاك:

ليس بالضرورة أن يكون الخطيب فقيهاً متبحراً في فنّ الفقه، كما أنه لا يجوز - أبداً - ولا يصح أن يكون مقطوع الصلة بالفقه، فهو على كلّ حال لسان الإسلام والناطق الرسمي باسمه، وهل يكون لسان الإسلام والناطق باسمه من يجهل الفقه الإسلامي؟

ما لا يسع الخطيب جهله:

إنّ الخطيب - وإن لم يكن متبحراً في دراسة الفقه - لا يسعه الجهل بثلاثة مناح:

١- الخطوط العامة للفقه الإسلامي بأركانه الثمانية وهي: العبادات، و الحلال والحرام، و الأسرة، و المعاملات المالية، و العقوبات، و القضاء، و الجهاد، و السياسة ونظام الحكم.



ومما ينبغي ذكره هنا - وهو مما يؤسف له ويخشى منه - أنّ أهل العلم - في عصرنا - أكبوا على بابين أو ثلاثة من أبواب الفقه وهي: العبادات، و الحلال والحرام، و الأسرة.... أكبوا عليها دراسةً وتدريباً وتأليفاً في حين أنّهم هجروا باقي أبواب الفقه حتّى صارت نسياً منسياً، وليقل لي قارئ هل سمع خطبة يوماً في فقه الجهاد، أو نظام الحكم، أو السياسة، أو نظام القضاء، اللهم إلا أن تكون خطبته في مدح رجال السياسة وسياساتهم ممّن يتولّون زمام الأمور هنا أو هناك في عالمنا الإسلامي الكبير!



٢-أحكام الخطبة الفقهية: لأنهم ممن يُمارسها فهم أولى بمعرفتها وحذقها، وذلك لئلا يُؤتى من جهة جهله بها، ولا غدر للخطيب - في رأيي - إن كان يتبع مذهباً أن يكون جاهلاً ببقية المذاهب فيما يتصل بأحكام الخطبة: خطبة الجمعة والعِيدَيْن ... والأولى به أن يكون حكيماً ويُرَاعِي مذهب جمهوره ليألفهم وليبقى فيهم داعية وإماماً.

أَيْنَ تَقْوَى اللَّهِ؟

هكذا قال لي أحد الأخوة المُصَلِّينَ بعدَ انتهاءِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ فابْتَسَمْتُ وَقُلْتُ لَهُ عَلَى الْفَوْرِ: التَّقْوَى هَهُنَا وَأَشْرْتُ إِلَى صَدْرِهِ، فَنَبَسَّمَ الرَّجُلُ وَقَالَ: لَيْسَ هَذَا مَا عَنَيْتَ، بَلْ عَنَيْتُ لِمَاذَا لَمْ تَأْمُرْ بِتَقْوَى اللَّهِ أَثْنَاءَ الْخُطْبَةِ؟

فأخبرتُ الرَّجُلَ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَاللِّبَاقَةِ بِأَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ مِنَ الْمَسَائِلِ الْخِلَافِيَّةِ وَأَنَا أَخَذْتُ بِرَأْيِي مِنْ لَا يَرَى الْأَمْرَ بِتَقْوَى اللَّهِ مِنْ أَرْكَانِ الْخُطْبَةِ وَلِزِيَادَةِ الْإِيضَاحِ أَقُولُ:

إِنَّ لِخُطْبَةِ الْجُمُعَةِ شُرُوطاً لَا بُدَّ مِنْهَا لِكَي تَصَحَّ وَثَمَّةً مَذْهَبَانِ:

الْأَوَّلُ: وَيُمَثِّلُهُ الْحَنْفِيَّةُ وَيُكَتْفَى عِنْدَهُمْ بِكُلِّ ذِكْرٍ يُمَكِّنُ أَنْ يُسَمَّى فِي عُرْفِ النَّاسِ خُطْبَةً، فَمَتَى قَامَ الْخَطِيبُ بِذَلِكَ بَعْدَ دُخُولِ الْوَقْتِ فَقَدْ تَأَدَّى الشَّرْطُ وَصَحَّتِ الْخُطْبَةُ سِوَاءَ أَكَانَ قَائِماً أَمْ قَاعِداً، أَتَى بِخُطْبَتَيْنِ أَوْ بِخُطْبَةٍ وَاحِدَةٍ، تَلَا فِيهَا قُرْآنًا أَمْ لَا، عَرَبِيَّةً كَانَتْ أَمْ أَعْجَمِيَّةً، غَيْرَ أَنَّهُ يُشْتَرَطُ أَنْ تَكُونَ بَعْدَ دُخُولِ الْوَقْتِ وَقَبْلَ الصَّلَاةِ.

الثَّانِي: وَيُمَثِّلُهُ الْجُمْهُورُ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ حَيْثُ اشْتَرَطُوا لَهَا خُطْبَتَيْنِ، وَاعْتَبَرِ الشَّافِعِيَّةُ - وَمَذْهَبُهُمْ هُوَ السَّائِدُ فِي قُرَى بِلَادِنَا - أَرْكَاناً خَمْسَةً لَا بُدَّ مِنْهَا:

وَهِيَ: حَمْدُ اللَّهِ، وَالصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِهِ، وَالْأَمْرُ بِالتَّقْوَى فِي كُلِّ مِنَ الْخُطْبَتَيْنِ.

وَالرَّابِعُ: قِرَاءَةُ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ فِي إِحْدَاهُمَا.

والخامس: ما يقع عليه اسمُ الدُّعاءِ للمؤمنين في الخطبة الثانية.

وأضيفُ إلى ما سبقَ أنَّه كانَ الأولى بي - وقد التزمته فيما بعدُ - أن أراعي مثلَ هذه القضايا الخلافية، وأخذَ بما قالَ به الشافعيةُ لأنَّه أولاً يتضمَّنُ ما قاله الحنفيةُ وزيادةً، وهو أيضاً أكثرُ جمعاً لقلوبِ النَّاسِ وهو من مقاصدِ الإسلامِ الكبرى.



روى مُسلمٌ في صحيحه عن أبي موسى الأشعري (١٧٣٢) أنَّه قال:

كان رسولُ الله ﷺ إذا بعثَ أحداً من أصحابه في بعض أمره قال:

"بشِّروا ولا تُنْفِرُوا، ويسِّروا ولا تُعسِّروا"

خطبةُ البَسْمَلَةِ:



وهذا موقفٌ أغربُ من سابقه وخلاصةُ هذه القِصةِ أنَّني كنتُ خطيباً في إحدى القرى وكنتُ إذا صليتُ الجمعة لا أجهُرُ بالبَسْمَلَةِ عملاً بمذهبِ الإمامِ أبي حنيفة، وتَفاجأتُ عندما وصلني النَّبأُ بأنَّ خطيبَ المسجدِ المُجاورِ أفرَدَ حُطْبَةً كامِلةً - رجَّحَ فيها - رَضِيَ اللهُ عنه - بطلانَ صلاتي بالنَّاسِ لأنِّي لا أجهُرُ بالبَسْمَلَةِ!

وللإيضاح أقول:

جاء في الموسوعة الكوييتية (١٨١ / ١٦) ما نصُّه:

ذهبَ الحنفيَّةُ والحنابلةُ إلى أنَّه تُسنُّ قراءةُ البَسْمَلَةِ سِرّاً في الصَّلَاةِ السَّريَّةِ والجهريةِ.

قال الترمذي: وعليه العملُ عند أكثر أهلِ العلمِ من أصحابِ النَّبيِّ ﷺ ومن بعدهم من التابعين، ومنهم أبو بكرٍ وعُمَرُ وعُثمانُ وعليٌّ.



وهذا ما حكاه ابنُ المُنْذِرِ عن ابنِ مَسْعُودٍ وعَمَّارِ وابنِ الزُّبَيْرِ والحَكَمِ وحمَّادِ والأوزاعي والثَّوْرِي وابنِ المُبارَكِ .

وأخرج مُسلمٌ عن أَنَسٍ أَنَّهُ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَلَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا مِنْهُمْ يَقْرَأُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ،...

وزَهَبَ الشَّافِعِيُّ إِلَى أَنَّ السُّنَّةَ الْجَهْرُ بِالتَّسْمِيَةِ فِي الصَّلَاةِ الْجَهْرِيَّةِ فِي الْفَاتِحَةِ وَفِي السُّورَةِ بَعْدَهَا ...

وَيَرَى الْمَالِكِيُّ عَلَى الْمَشْهُورِ كَرَاهَةً اسْتِفْتَاَحَ الْقِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ بِالْبَسْمَلَةِ مُطْلَقًا فِي الْفَاتِحَةِ وَفِي السُّورَةِ الَّتِي بَعْدَهَا سِرًّا وَجَهْرًا.

وَقَالَ الْقَرَفِيُّ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ: الْوَرَعُ بِالْبَسْمَلَةِ أَوَّلَ الْفَاتِحَةِ خُرُوجًا مِنَ الْخِلَافِ إِلَّا أَنَّهُ يَأْتِي بِهَا سِرًّا وَيُكْرَهُ الْجَهْرُ بِهَا .

أَقُولُ: وَلَوْ أَنَّ ذَاكَ الْخَطِيبَ الْعَبْقَرِيَّ اطَّلَعَ عَلَى هَذَا لَعَلَّمَ أَنَّ مَذْهَبَ الْجُمْهُورِ عَدَمُ الْجَهْرِ بِالْبَسْمَلَةِ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ وَهُوَ الْمَذْهَبُ الْأَقْوَى دَلَالَةً وَالْأَكْثَرُ اتِّبَاعًا وَلَكِنَّهَا الْحَمَاقَةُ.

٣- إذا ما تَطَرَّقَ الْخَطِيبُ لِمَسْأَلَةٍ فِقْهِيَّةٍ فَعَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَطْرَحَهَا مِنْ عَلَى مِنْبَرِهِ أَوْ فِي مَحْفَلٍ مِنْ مَحَافِلِهِ أَنْ يَقْتُلَهَا بَحْثًا، وَيُلِمَّ بِهَا كُلَّ الْإِلِمَامِ لِأَنَّهَا سَتُنْقَلُ عَنْهُ إِذْ أَنَّهُ إِنَّمَا يَطْرَحُهَا عَلَى مَلٍّ، وَلَكَمْ اسْتَمَعْنَا إِلَى خُطَبَاءٍ تَنَاولُوا قَضَايَا فِقْهِيَّةٍ لَمْ يُشَبِّعُوا بِحَثًّا فَضَّلُوا فِيهَا وَأَضَلُّوا حَتَّى احْتَاجُوا إِلَى الْإِعْتِذَارِ أَوِ التَّصْحِيحِ فِيمَا بَعْدُ أَوْ أَصْرُّوا عَلَى خَطِيئِهِمْ!

مَوْقِفَانِ مُخْتَلِفَانِ حَدَّثًا مَعِي:

• عِنْدَ صَلَاةِ الْجَنَازَةِ:

فَرَعْنَا يَوْمًا مِنْ صَلَاةِ الظُّهْرِ فَإِذَا بِجَنَازَتَيْنِ فِي الْمَسْجِدِ إِحْدَاهُمَا لِرَجُلٍ وَالْأُخْرَى لَامْرَأَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ الْمَرَأَةَ مِمَّا يَلِي النَّاسَ وَجَنَازَةَ الرَّجُلِ مِنْ وَرَائِهَا فَلَقْتُ نَظَرَ النَّاسِ إِلَى أَنَّ السُّنَّةَ عِنْدَمَا تَجْتَمِعُ الْجَنَائِزُ أَنْ تُقَدَّمَ الرَّجُلَ مِمَّا يَلِي النَّاسَ وَتُؤَخَّرَ جَنَازَةُ الْمَرَأَةِ فَإِذَا بِرَجُلٍ (طَبِيبٍ يَزْعُمُ أَنَّهُ فَقِيهٌ) يَقُولُ: وَلَكِنْ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ هَذِهِ هِيَ السُّنَّةُ فَسَكَتُ لِأَنِّي لَا أَعْلَمُ أَصَوَابٌ مَا قَالَهُ ذَلِكَ الطَّبِيبُ الْفَقِيهَ أَمْ لَا، وَلَمَّا عُدْتُ إِلَى الْمَسْأَلَةِ وَجَدْتُ أَنَّهَا مِمَّا لَا خِلَافَ فِيهَا بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فَلَمَّا أَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ قَالَ لِي: هَكَذَا ظَنَنْتُ!



• رَجُلٌ يُقَاطِعُ الْخَطِيبَ:

كُنْتُ أَخْطُبُ وَتَطَرَّقْتُ خِلَالَ خُطْبَتِي إِلَى بَعْضِ أَحْكَامِ الطَّلَاقِ فَإِذَا بِرَجُلٍ (وَهُوَ شَيْخُ الْبَلَدَةِ!) يُقَاطِعُنِي وَيُخَطِّبُنِي وَلَكِنِّي أَعَدْتُ الْمَعْلُومَةَ كَمَا قَدَّمْتُهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَقَاطَعَنِي ثَانِيَةً وَخَطَّيْنِي وَلَكِنِّي أَصْرَرْتُ وَمَضَيْتُ وَذَلِكَ لِأَنِّي كُنْتُ عَلَى ثِقَةٍ تَامَّةٍ مِنْ هَذِهِ الْمَعْلُومَةِ وَعَلَى جَمِيعِ الْمَذَاهِبِ وَرَاجَعْتُ مَا قَالَهُ أَيْمَةُ خَرَجُوا عَنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ وَلَطَالَمَا قُلْتُ لِنَفْسِي: مَاذَا كَانَ سَيَحْدُثُ مَعِي لَوْ أَنِّي لَمْ أَكُنْ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ مَعْلُومَاتِي؟

الْمَنْبَرُ وَالْفَقْه:

ليس المنبر هو المكان المناسب لإطرح القضايا الفقهية فالفقه رجاله ودروسه، وإن كان ولا بُدَّ فالخطوط العامة وبذكاء تكفي.

ولكن ...



كنت ذات مرة أُعطي طُلَّابِي درساً في فقه الصَّيَّام وكان الدرس في مَسْجِدٍ - قَبْلَ أن تُؤسَّسَ المَعْهَدُ - فَحَضَرَ مَعَنَا طَبِيبٌ من أَهْلِ الجُمُعَةِ والجماعة وَلَمَّا وَصَلْتُ إلى هَذِهِ المَسْأَلَةِ: وَهِيَ أَنَّ مَنْ جَامَعَ امْرَأَتَهُ في نَهَارِ رَمَضَانَ بَطَلَ صِيَامُهُ وَوَجِبَ عَلَيْهِ إِمْسَاكُ مَا تَبَقَّى من يَوْمِهِ ثُمَّ قِضَاءُ ذَاكَ اليَوْمِ مع الكفَّارَةِ وَهِيَ صِيَامُ سِتِّينَ يَوْماً فَمَنْ عَجَزَ أَطْعَمَ سِتِّينَ مِسْكِيناً، فَإِذَا بِهِ تَجَحَّظَ عَيْنَاهُ، وَ يَكَادُ يَتَوَقَّفُ قَلْبُهُ وَرِئْتَاهُ، فَعَلِمْتُ خَبْرَهُ قَبْلَ أن يُصَارِحَنِي بِمَا في نَفْسِهِ!

ولَمَّا أَنِ انْتَهَى الدرسُ دَنَا نحوي وقال: يا أستاذ: مَسْأَلَةُ ذَكَرْتَهَا في دَرَسِكَ وَأَحِبُّ أن أَتَوَقَّعَ مِنْهَا فَقُلْتُ لَهُ لَعَلَّكَ تَقْصِدُ: مَنْ جَامَعَ زَوْجَتَهُ في نَهَارِ رَمَضَانَ ... قال نَعَمْ، وَلَمَّا تَأَكَّدَ الرَّجُلُ قال: إِنِّي لم أَكُنْ أَعْلَمُ بِهَذَا الحُكْمِ حَتَّى الآنَ وَإِنِّي لأُجَامِعُ زَوْجَتِي مِنْذُ عَشْرَةِ أعوامٍ ظَنًّا مِنِّي أَنَّ الجَمَاعَ لا يُفْطِرُ!

ولم يكن ذاك الطَّبيبُ أَوَّلَ المُتَوَرِّطِينَ بِهَذَا الأمرِ، بَلْ إِنِّي ما دَرَسْتُ هَذَا الدرسَ إِلَّا وَ رَأَيْتُ العَشْرَاتِ مِنْ أمثالِ طَبِيبِنَا، فَقُلْتُ لِنَفْسِي: هل مِنْ المَعْقُولِ والمَقْبُولِ أن أَتَحَدَّثَ عن رُوحَانِيَّاتِ رَمَضَانَ لِجُمْهُورٍ يَجْهَلُونَ أبْسَطَ أَحْكَامِ صِيَامِ رَمَضَانَ؟

فأَخَذْتُ على نَفْسِي أن أَجْعَلَ من أَوَّلِ خُطْبَةٍ في رَمَضَانَ بَيَاناً لِأَهَمِّ أَحْكَامِ الصَّيَّامِ، تَارِكاً التَّفْصِيلَ للدرسِ الَّذِي لا يَكَادُ يَحْضُرُهُ أَحَدٌ بَعْدَ الصَّلَاةِ!

وَقُلْتُ في فِقْهِ الصَّلَاةِ والزَّكَاةِ والأسْرَةِ ... ما قُلْتُ في فِقْهِ الصَّيَّامِ، فَلِذَا فَقَدْ زَادَتْ جُرْعَةُ الفِقْهِ على مَنْبَرِي وفي المَحَافِلِ الَّتِي أَتَحَدَّثُ بِهَا لِهَذَا المَعْنَى وَاللَّهُ أَ

١٣ - الخطيب والطوائف

عالمنا الإسلامي والطوائف:

إنَّ عالمنا الإسلامي المُتَرامي الأطراف - ولا سيَّما أرض الشَّام - كان ولا يزال مَسْرَحاً لِكثيرٍ مِنَ الفِرَقِ والطَّوائِفِ، وهي على قُرْبٍ أو بُعْدٍ ما بينها، تَخْتَلِفُ أيضاً قُرْباً وبعداً من الإسلام الصَّحيح، على أنَّ بَعْضَها يُعَدُّ مُرتدّاً عن الإسلام وخارجاً عن دائرته.



هذا وقد لَقِيَ المُسْلِمُونَ على مَرِّ العُصورِ من أَكْثَرِ تِلْكَ الفِرَقِ والطَّوائِفِ من الأذى والعنتِ ما طَفَحَتْ به كُتُبُ التَّاريخِ، وسارت به الرُّكبانُ، من إثارةِ الفتنِ والقلاقلِ على مُستوى الدَّاخلِ، ومن إغراءِ الأعداءِ لغزوِ الأُمَّةِ ومُدِّهِمِ بالمَعْلوماتِ ورفدِهِمِ بالقُواتِ على مُستوى الخَارجِ.



ابن القيمي

بل إنَّ بَعْضَها - كما يَروي التَّاريخُ ونَراهُ اليَومَ - قد تَمَكَّنَ في غَفْلَةٍ مِنَ الأُمَّةِ وتَغافلٍ من عُلَمَائِها ورجالاتِها من الحُكْمِ فأنزَلَ بالمُسلمينَ من الأذى والضَّررِ ما لَمْ يَخْطُرُ للصَّليبيِّينَ والتَّتارِ على بَالٍ.

ما لا عُذرَ فيه لِلخَطيبِ والدُّعاة:

وعلى كُلِّ خَطيْبٍ - وداعيةٍ - في أرض الإسلام أن يُلِمَّ بأفكارِ جَميعِ الفِرَقِ والطَّوائِفِ، الَّتِي تَسْرُحُ وتَمْرُحُ في بِلادِهِ الَّتِي يَعِيشُ فِيها، وَيَخْطُبُ فَوْقَ مَنابِرِها، وَيَتَصَدَّرُ مَحافِلُها الَّتِي قَدْ يَحْضُرُها بَعْضُ مِنْهُمُ، ولا عُذرَ لَهُ أبداً في تَجَاهُلِ هذا الأمرِ، والإغضاءِ عَنْه؛ لِأَنَّ مَغْبِتَهُ خَطِيرَةٌ - كما سَجَلِ التَّاريخُ والحَاضِرُ - وعليه ألا يَنخَدِعَ بِظاهِرِها، فأكثرُها من الفِرَقِ الباطنيَّةِ الَّتِي تُظهِرُ خِلافَ ما تُبْطِنُ، على أَنَّها في عَصْرِنَا التَّعَسُّ بَاتَتْ تُظهِرُ ما كَانَتْ تُبْطِنُ غَيْرَ وَجِلَةٍ، ولا هَيَّابَةٍ، إذ لَمْ يَعدْ لِلْمُسلمينَ اليَومَ شَوْكَةٌ.

الحكمة خير من التَّجاهل:

هذا وإنِّي لَعلى دِرَايَةٍ بِخُطُورَةِ هَذَا الْمَلَفِّ، والدُّخُولِ فِيهِ بِحِكْمَةٍ خَيْرٌ مِنْ تَجَاهُلِهِ.



وأَفْضَلُ طَرِيقَةٍ لِلتَّعَامُلِ مَعَ هَذَا الْمَلَفِّ هُوَ دِرَاسَةُ أَفْكَارِ تِلْكَ الْفِرْقِ وَالطَّوَائِفِ دِرَاسَةً عِلْمِيَّةً مَعَ الرَّدِّ عَلَيْهَا ثُمَّ طَرَحُهَا مِنْ عَلَى الْمَنَابِرِ، وَفِي الْمَحَافِلِ، مِنْ غَيْرِ التَّصْرِيحِ بِاسْمِ تِلْكَ الْفِرْقَةِ، أَوْ الطَّائِفَةِ الَّتِي تَتَّبَعِي تِلْكَ الْأَفْكَارَ، فَبِهَذَا يَكُونُ الْخُطْبَاءُ وَالْمُتَكَلِّمُونَ قَدْ أَعْطَوْا الْمُجْتَمَعَ الَّذِي هُمْ فِيهِ لِقَاحاً فِكْرِيّاً ضِدَّ تِلْكَ الْأَفْكَارِ، وَجَنَّبُوا أَنْفُسَهُمْ تُهْمَةَ الطَّائِفَةِ الَّتِي يُلَاحِقُ بِهَا الطُّغَاةُ الْمُصْلِحِينَ الْوَاعِينَ.

نماذج:



مِنْ الْفِرْقِ الْمَوْجُودَةِ عَلَى السَّاحَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْيَوْمَ، وَقَدْ فَرَضَتْ نَفْسَهَا بِقُوَّةِ السِّلَاحِ وَتَوَاطُؤِ الْحُكَّامِ مَعَهَا، فَبُنِيَ تَكِيدُ لِلْإِسْلَامِ وَ أَهْلِهِ مُتَسَتِّرَةً بِحُبِّ آلِ الْبَيْتِ الْكَرَامِ الْعِظَامِ.

وَمَا فَتَنَّتْ تِلْكَ الْفِرْقَةُ تُهَاجِمُ الصَّحَابَةَ، وَتَتَنَقَّصُ مِنْ قَدْرِهِمْ، وَتَسْتَحِلُّ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ بِأَعْدَارٍ وَاهِيَةٍ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَجِبُ السُّكُوتُ عَنْهُ- وَقَدْ سَكَتَ عَنْهُمْ الْعُلَمَاءُ أَوْ أَكْثَرُهُمْ- فَلَذَا لَا بَدَّ مِنْ الْحَدِيثِ عَنِ الصَّحَابَةِ، وَبَيَانِ مَكَانَتِهِمْ وَخِدْمَاتِهِمُ الَّتِي قَدَّمُوهَا لِلْإِسْلَامِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ... فَعِنْدَهَا تَذَهَبُ أَكَاذِيبُ تِلْكَ الْفِرْقِ الضَّالَّةِ سُدًى وَلَنْ تَجِدَ لَهَا سَامِعاً أَوْ مُجِيباً.

١٤- الخَطِيبُ وأهلِ الْكِتَابِ

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ:

يقولُ اللهُ وهو أعلمُ الْعَالَمِينَ وَأَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ في كِتَابِهِ الْعَظِيمِ

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩]



يقولُ الْعَلَّامَةُ ابنُ كثير (٣٨٢ / ١) يُحذِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عن سُلُوكِ طَرَائِقِ الْكُفَّارِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَيُعَلِّمُهُمْ بِعَادَاتِهِمْ لَهُمْ فِي الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ، وما هم مُشْتَمِلُونَ عَلَيْهِ من الْحَسَدِ لِلْمُؤْمِنِينَ مع عِلْمِهِمْ بِفَضْلِهِمْ وَفَضْلِ نَبِيِّهِمْ ...



ويقولُ مُحَمَّدُ الْغَزَالِيُّ في كِتَابِهِ الْفَدَّ " التَّعَصُّبُ وَالتَّسَامُحُ بَيْنَ الْمَسِيحِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ " وهو كِتَابٌ يُفْتَرَضُ عَلَى كُلِّ خَطِيبٍ وَدَاعِيَةٍ أَنْ يَقْرَأَهُ جَيِّدًا، يقولُ ص/ ٥٩ " لَقَدْ بَيَّنَّ الْقُرْآنُ أَنَّ مُحَاسَنَةَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي أَهْلَ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى - لَنْ تُطْفِئَ نِيرَانَهُمْ أَبَدًا، إِذْ إِنَّ رَاحَتَهُمُ الْكُبْرَى هِيَ فِي مَحْوِ الْإِسْلَامِ، وَهَدْمِ مَسَاجِدِهِ، وَرَدِّ النَّاسِ قَسْرًا إِلَى الْكَنَائِسِ وَالْبَيْعِ ...

مَا كَانَ وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ:

لَقَدْ كَانَتِ الْيَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ أَسْبَقَ فِي الْوُجُودِ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ مِنَ الْمُفْتَرَضِ أَنْ تَنْتَهِيَ الْيَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ بِدُخُولِ أَتْبَاعِهَا فِي الدِّينَانِ الْجَدِيدَةِ الْقَدِيمَةِ الْإِسْلَامِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَلَا يَبْقَى مِنْهُمَا إِلَّا ذِكْرَاهُمَا.



ولكنَّ الَّذِي حَدَثَ هُوَ غَيْرُ ذَلِكَ تَمَاماً فَقَدْ تَمَسَّكَ الْيَهُودُ بِالْيَهُودِيَّةِ وَتَعَصَّبُوا لَهَا، وَكَذَلِكَ فَعَلَ النَّصَارَى وَلَوْ أَنَّ الْأَمْرَ وَقَفَ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ لَمْ يَتَّعِدْهُ لَكَانَتْ الْخَسَارَةُ عَلَيْهِمْ فَقَطْ، وَلَكِنَّهُمْ وَبَدَلًا مِنَ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ نَاصَبُوا الْإِسْلَامَ وَنَبِيَّهَ وَأَتْبَاعَهُ الْعِدَاءَ، وَأَرَادُوا مَحَوَ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ مِنَ الْوُجُودِ، وَفِي الْحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ فِي الْمَشْرِقِ، وَمَحَاكِمِ التَّفْتِيشِ فِي الْمَغْرِبِ مَا يَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ.

وَمِمَّا زَادَ الْأَمْرَ سُوءاً أَنَّهُمْ لَمْ يَقْفُوا عِنْدَ كُفْرِهِمْ بِالْإِسْلَامِ بَلْ شَوَّهُوا صُورَتَهُ لِيَمْنَعُوا النَّاسَ مِنَ الدُّخُولِ فِيهِ، وَالْإِسْتِظْلَالِ بِفِيئِهِ، تَأْمَلْ مَعِيَ قَوْلَ الْحَقِّ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٢]



يَقُولُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ كَثِيرٍ (١٣٨ / ٤) قَالَ السُّدِّيُّ: **الْأَحْبَارُ** مِنَ الْيَهُودِ، وَ**الرُّهْبَانُ** مِنَ النَّصَارَى ...

وَالْمَقْصُودُ: التَّحْذِيرُ مِنْ عُلَمَاءِ السُّوءِ وَعُبَادِ الضَّلَالِ كَمَا قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: مَنْ فَسَدَ مِنْ عُلَمَائِنَا كَانَ فِيهِ شَبَهٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَمَنْ فَسَدَ مِنْ عِبَادِنَا كَانَ فِيهِ شَبَهٌ مِنَ النَّصَارَى ...

وَالْحَاصِلُ: التَّحْذِيرُ مِنَ النَّشْبَةِ بِهِمْ فِي أَحْوَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ.

ولهذا قَالَ ﴿ **لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ** ﴾ وذلك أَنَّهُمْ يَأْكُلُونَ الدُّنْيَا بِالذِّينِ

...

و ﴿ **وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ أي: وَهُمْ مَعَ أَكْلِهِمُ الْحَرَامَ يَصُدُّونَ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَيُلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَيُظْهِرُونَ لِمَنِ اتَّبَعَهُمْ مِنَ الْجَهْلَةِ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَلَيْسُوا كَمَا يَزْعُمُونَ بَلْ هُمْ دُعَاةٌ إِلَى النَّارِ ...

عَلِّمُوا وَجَهْلُنَا:

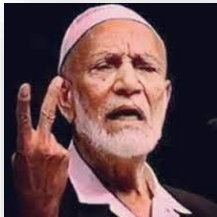
لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى إِطْلَاعٌ وَاسِعٌ عَلَى الْإِسْلَامِ بِهَدَفِ الْكَيْدِ لَهُ وَالصَّدِّ عَنْهُ،
وَأَيْنَ خُطْبَاؤُنَا وَدَعَاؤُنَا مِنْ هَذَا كُلِّهِ؟

لَقَدْ أَفْرَدَ الْقُرْآنُ مَا يَقْرُبُ مِنْ نِصْفِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لِلْحَدِيثِ عَنِ الْيَهُودِ
كَمَا وَ أَفْرَدَ نِصْفَ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ لِلْحَدِيثِ عَنِ النَّصَارَى
وَقَلَّمَا تَخْلُو سُورَةٌ مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَيْهِمْ وَالتَّعْرِيفِ بِهِمْ وَالتَّحْذِيرِ مِنْ عَدَاوَتِهِمْ ...
فَعَلَى الْخُطْبَاءِ وَالدُّعَاةِ أَنْ يَكُونُوا عَلَى دِرَايَةٍ وَاسِعَةٍ بِتَارِيخِ أَهْلِ الْكِتَابِ
وَحَاضِرِهِمْ، وَ عَلَى الشُّبَّهِ الَّتِي يُعَلِّبُونَهَا وَيَغْلِفُونَهَا بِشَتَّى الْأَغْلَفَةِ وَيُرْسِلُونَ بِهَا
إِلَيْنَا لِيَكُونَ حَذَرًا مُحَذِّرًا، عَالِمًا مُعَلِّمًا، وَاعِيًا مُوعِيًا ...

كُتِبَ ذَاتُ شَأْنٍ:

وَتَمَّةٌ كُتِبَتْ كَثِيرَةٌ لِمَنْ شَاءَ أَنْ يَقْرَأَ وَيَطَّلَعَ مِثْلَ:

١- كِتَابِ " الْيَهُودِيَّة " لَطَارِقِ سَوِيدَانَ وَهُوَ كِتَابٌ مِمْتَازٌ مُتَمَيِّزٌ.



٢- مَا كَتَبَهُ الْعَلَّامَةُ " أَحْمَدُ دِيدَات " وَمَا نَاقَشَ بِهِ
وَهُوَ مُسَجَّلٌ وَمُتَوَفَّرٌ

٣- كتاب " التَّعَصُّبُ والتَّسَامُحُ " للعلامة المصريِّ مُحَمَّد الغزالي وهو من أهمِّ الكُتُبِ في هذا المَجَالِ.



تَخْرِيبٌ لَا تَقْرِيبُ:

كثُرَتْ في عصرنا البائِسِ دَعْوَةُ التَّقَارُبِ أو التَّقْرِيبِ أو ما شِئْتَ بَيْنَ الأديانِ، وهذه دَعْوَى مَرْفُوضَةٌ تَمَاماً فالإسلامُ جاءَ مُلغياً وناسِخاً لما سَبَقَهُ من الشرائعِ السَّمَاوِيَّةِ – بَلَّةَ المَذاهِبِ الوَضْعِيَّةِ – والرَّسُولُ ﷺ بعثَ يدعو زُعماءَ العالَمِ في عَصْرِهِ من الفُرسِ والرُّومِ والحَبَشَةِ ... إلى نَبَذِ ما كانوا عليه والدُّخُولِ في الإسلامِ.



أقولُ: فَمَنْ قَصَدَ تِلْكَ المَحَافِلَ بهذه النِّيَّةِ، وترجمَها دعوةً صادقةً للإسلامِ على أرضِ الواقعِ فحسَنُ فعلُهُ، ومن قَصَدَها لغيرِ ذلكِ فهو جاهِلٌ أو مُتجاهِلٌ لأبرزِ خصائصِ الإسلامِ.

١٥- الخطيبُ والعربيَّةُ نحوها وصرفها

سَوَطُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ:

رَوَى الْبَيْهَقِيُّ - وَغَيْرُهُ - فِي شُعْبِ الْإِيمَانِ عَنْ عَطَاءٍ
(١٥٥٧) أَنَّهُ قَالَ:

بَلَّغَنِي أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ سَمِعَ رَجُلًا يَتَكَلَّمُ بِالْفَارَسِيَّةِ فِي الطَّوَافِ
فَأَخَذَ بَعْضُهُ وَقَالَ: ابْتَغِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ سَبِيلًا ...

وَرَوَيْنَا عَنْ عُمَرَ - بِإِسْنَادٍ غَيْرِ قَوِيٍّ - أَنَّهُ مَرَّ عَلَى قَوْمٍ يَرْمُونَ فَقَالَ "
بِئْسَ مَا رَمَيْتُمْ " فَقَالُوا لَهُ: إِنَّا قَوْمٌ مُتَعَلِّمُونَ!

فَقَالَ لَهُمْ: وَاللَّهِ لَذَنْبُكُمْ فِي لَحْنِكُمْ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ ذَنْبِكُمْ فِي رَمِيْكُمْ.

وَرَوَيْنَا عَنْ أَبِي مُوسَى أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ: مِنْ أَبُو مُوسَى، فَكَتَبَ إِلَيْهِ
عُمَرُ: أَنْ أَجِلِدَ كَاتِبَكَ سَوَطًا.



أَقُولُ: رَحِمَ اللَّهُ الْخَلِيفَةَ الرَّاشِدَ عُمَرَ وَرَضِيَ عَنْهُ، لَقَدْ
عَاقَبَ الْكَاتِبَ الَّذِي أَخْطَأَ وَلَحَنَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، عَاقِبَهُ بِأَنْ
يُضْرَبَ سَوَطًا، فَكَيْفَ بِهِ لَوْ اسْتَمَعَ إِلَى خُطْبِ خُطْبَائِنَا الْيَوْمَ
مِنْ عَلَى مَنَابِرِهِمْ، أَوْ فِي مُحَافِلِهِمْ ...

وَقَدْ عَطَّلُوا أَكْثَرَ حُرُوفِ الْجَرِّ فَارْتَفَعَ مَا بَعْدَهَا حِينًا
وَانْتَصَبَ حِينًا آخَرَ.

وَلَمْ تَعُدِ النَّوَاصِبُ - عِنْدَهُمْ - قَادِرَةً عَلَى إِظْهَارِ فَتَحْتِهَا عَلَى آخِرِ
الْمُضَارِعِ.

كَمَا لَمْ تَعُدِ الْجَوَازِمُ قَادِرَةً عَلَى الْإِطَاحَةِ بِضَمَّةٍ مَا بَعْدَهَا، أَوْ بَنُونِهِ - إِنْ
كَانَ مِنَ الْأَفْعَالِ الْخَمْسَةِ - أَوْ بِحَرْفِ الْعِلَّةِ

وَأَمَّا الْمُثْنَى وَجَمْعُ الْمَذْكَرِ السَّالِمِ، فَقَدْ لَزِمَ عِنْدَهُمْ حَالَةٌ وَاحِدَةٌ،

وصارتِ الأسماءُ الستَّةُ مُعضِلةً عندهم.

وصُرفَ المَمْنوع من الصرف، ومنعَ المَصروفُ فخطيبٌ يمنعُ جَعْفراً من الصَّرفِ، وآخرَ يصرفُ فلسطينَ (الحُكَّامُ تصرَّفوا والمَشايخُ صرَّفوا) ...

أقولُ: لا شكَّ عندي أنَّه كانَ سيجلِدُ كلَّ واحدٍ من هؤلاءِ التُّعساءِ ثمانينَ جِلْدَةً حدَّ الافتراءِ على اللُّغةِ العربيَّةِ نحوها وصرفها.

تَشَدُّدٌ وَلَكِنْ فِي مَحَلِّهِ:

ولئنَ كانَ الخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ عُمَرُ عاقِبَ الَّذي لَحَنَ بِسُوطٍ يَشوي ظَهْرَهُ، علَّ أَلَمَهُ يَدْعُوهُ لِلتَّعْلُمِ ويَحْجِزُهُ عَنِ اللَّحَنِ، فَإِنَّ الإِمَامَ الْأَصْمَعِيَّ أَدْخَلَ مِنْ يَلْحَنُ - أَوْ كَادَ - فِي جُمْلَةٍ مِنْ يَكْذِبُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

روى العَلَّامَةُ ابْنُ الصَّلَاحِ فِي كِتَابِهِ الْفَذَّ " عِلْمُ الْحَدِيثِ " ص/ ٢١٧ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ قَالَ:

" إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ إِذَا لَمْ يَعْرِفِ النَّحْوَ أَنْ يَدْخُلَ فِي جُمْلَةٍ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ " **مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ** " قَالَ: لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَلْحَنُ، فَمَهْمَا رَوَيْتَ عَنْهُ وَلَحَنْتَ فِيهِ كَذَبْتَ عَلَيْهِ.

قال ابن الصَّلَاح: فَحَقَّ عَلَى طَالِبِ الْحَدِيثِ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنَ النَّحْوِ وَاللُّغَةِ مَا يَتَخَلَّصُ بِهِ مِنْ شَيْنِ اللَّحَنِ وَالتَّحْرِيفِ وَمَعَرَّتَيْهِمَا.

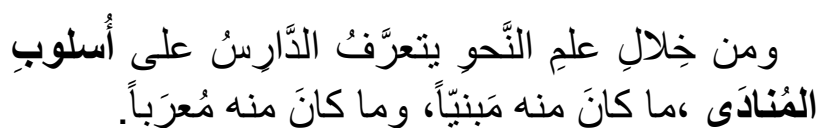
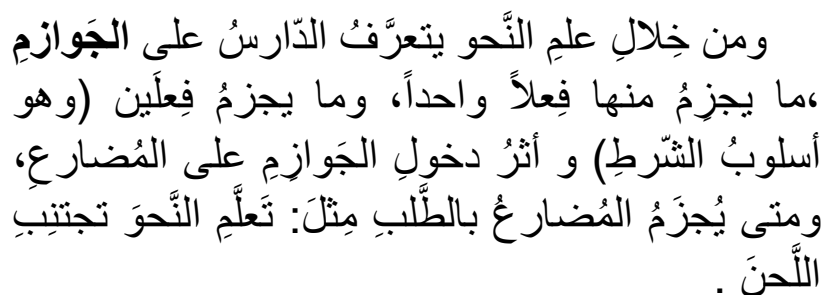
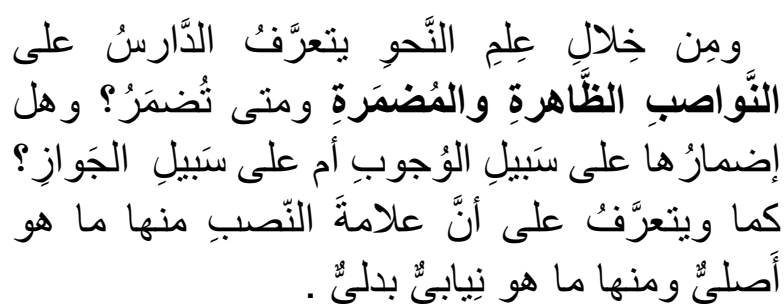
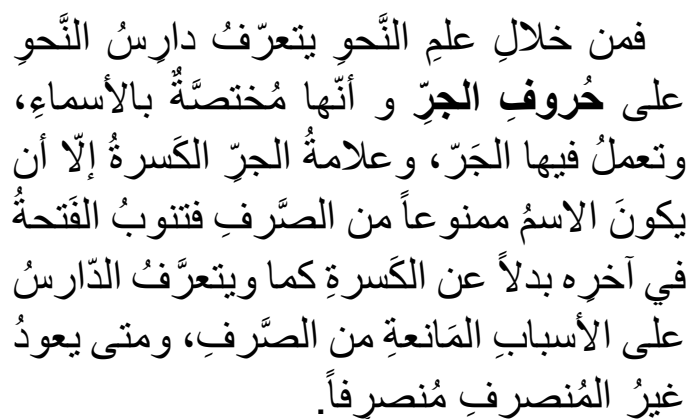
فَنُ النَّحْوِ:

مِنْ حُرُوفِ اللُّغَةِ ال (٢٩) تَتَرَكَّبُ كُلُّ كَلِمَاتِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى كَثَرَتِهَا أَسْمَاءً وَأَفْعَالاً وَحُرُوفاً دَالَّةً عَلَى الْمَعْنَى، وَمِنْ اجْتِمَاعِ الْكَلِمَاتِ - عَلَى نِظَامٍ مَخْصُوصٍ - تَنْشَأُ الْجُمْلَةُ الْأَسْمِيَّةُ وَالْفِعْلِيَّةُ

وَمِنْ اجْتِمَاعِ الْجُمْلِ تَتَكَوَّنُ الْخُطْبَةُ.

وَعِلْمُ النَّحْوِ هُوَ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْقَوَاعِدِ - اسْتَنْبَطَهَا النُّحَاةُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ الْمُحْتَجِّ بِكَلَامِهِمْ - تَهْدِي إِلَى التَّرْكِيبِ السَّلِيمِ لِلْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ.





وَعِنْدَهَا يَسْتَقِيمُ لِسَانُهُ، وَتَسْلَمُ تَرَائِكِيهِ مِنَ اللَّحَنِ، فَلَا يَرْفَعُ مَفْعُولًا، وَلَا يَنْصِبُ فَاعِلًا، وَ....

فَنَّ الصَّرْفِ:

يَخْتَلَفُ فَنَّ الصَّرْفِ عَنِ فَنَّ النُّحْوِ تَمَامَ الْاِخْتِلَافِ فَهُوَ لَا يُعْنَى بِتَرْكِيبِ الْجُمْلَةِ بَلْ لَهُ شَأْنٌ آخَرٌ وَهُوَ:

١- دراسةُ بُنْيَةِ الْكَلِمَةِ مِنْ حَيْثُ سَلَامَتُهَا مِنْ أَحْرَفِ الْعِلَّةِ أَوْ إِصَابَتُهَا بِإِحْدَاهَا، وَمِنْ حَيْثُ مُحَافَظَتُهَا عَلَى أَحْرَفِهَا الْأَصْلِيَّةِ أَمْ خَسَارَتُهَا لِإِحْدَاهَا، أَوْ اكْتِسَابُهَا لِحُرُوفٍ مَزِيدَةٍ ... الخ

٢- التَّوْلِيدُ: وَنَعْنِي بِهَا اسْتِخْرَاجَ كَلِمَاتٍ عَدِيدَةٍ مِنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ مِثْلُ اسْتِخْرَاجِ اسْمِ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ وَالصِّفَةِ الْمُشَبَّهَةِ وَاسْمِ التَّفْضِيلِ ... الخ مِنَ الْمَصْدَرِ.

وَيَقْرَبُ مِنْهُ قَانُونُ التَّنْيِيزِ وَالْجَمْعِ بِأَنْوَاعِهِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالنَّسَبِ ... الخ.

وَجَهْلُ الْخَطِيبِ بِهَذَا الْفَنِّ يَجْعَلُهُ يَحْتَارُ وَيَرْتَبِكُ فِي تَحْوِيلِ الْمُفْرَدِ إِلَى مُثْنًى أَوْ جَمْعٍ أَوْ نَسَبِ كَلِمَةٍ أَوْ تَصْغِيرِهَا أَوْ إِسْنَادِ حَرْفٍ أَوْ ضَمِيرٍ إِلَيْهَا.

يَرْوِي الْجَاحِظُ فِي كِتَابِهِ " الْبَيَانُ وَالتَّبْيِينُ " ٣١٩ / ١ يَقُولُ: كَانَ يَوْسُفُ بْنُ خَالِدٍ يَقُولُ: (هَذَا أَحْمَرُ مِنْ هَذَا) يُرِيدُ أَشَدَّ حُمْرَةً مِنْ هَذَا.

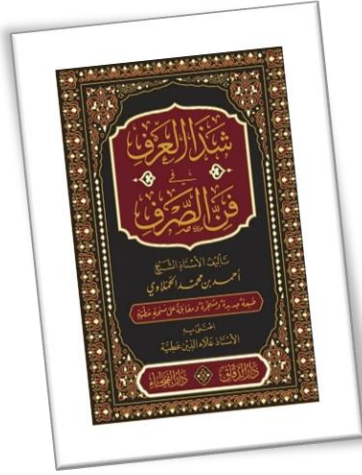
أَقُولُ: وَمَعْنَى كَلَامِ الْجَاحِظِ أَنَّ اسْمَ التَّفْضِيلِ لَا يُشْتَقُّ بِشَكْلِ مُبَاشِرٍ مِنَ الْوَصْفِ الَّذِي عَلَى وَزْنِ (أَفْعَل) مِثْلُ: (أَحْمَرُ وَأَصْفَرُ) بَلْ يُؤْتَى بِمَصْدَرِهِ بَعْدَ اسْمِ مُسَاعِدٍ مِثْلُ: هَذِهِ الْبَقْرَةُ أَكْثَرُ صُفْرَةً مِنْ تِلْكَ ... وَلَا نَقُولُ أَصْفَرُ مِنْهَا...



جَوْلَةٌ مَعَ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ:

لَقَدْ أَنْفَقْتُ شَطْرًا مِنْ عُمْرِي مَعَ فَنَّ النُّحْوِ وَالصَّرْفِ حَتَّى إِنِّي حَفِظْتُ أَلْفِيَةَ ابْنِ مَالِكٍ وَشَرَحَهَا لِابْنِ عَقِيلٍ كَمَا وَحَفِظْتُ كُتُبَ ابْنِ هِشَامٍ (الْقَطْرَ وَالشُّدُورَ وَالْأَوْضَحَ وَالْمُغْنِي...) وَقَرَأْتُ (شَذَا الْعَرَفِ وَالْمُسْتَقْصَى) ...

وَأَنَا لَا أَدْعُو الْخَطِيبَ أَنْ يَقْرَأَ كُلَّ هَذَا وَلَا أَكْثَرَهُ ، وَحَسْبُهُ كِتَابُ مِثْلِ الدُّرُوسِ النَّحْوِيَّةِ (الْجُزْءِ الْآخِرِ) وَكِتَابُ (شَذَا الْعَرَفِ) فِي الصَّرْفِ عَلَى أَنْ يَقْرَأَ هَذِهِ الْكُتُبَ عَلَى مُخْتَصِرٍ وَخَبِيرٍ وَإِلَّا فَلَا فَائِدَةَ .



وإني لألفتُ نظرَ مُحِبِّي النُّحوِ لكتابٍ "مَعَانِي النُّحوِ" للدُّكتورِ الفاضِلِ فاضلِ السَّامِرانيّ ففِيهِ أسرارُ النُّحوِ العَرَبِيّ وهو شيءٌ غَيْرُ القَوَاعِدِ.



تَجَرِبَةٌ لَوْ تَتَكَرَّرُ:

أَحَسَّتْ وَزارَةُ الأَوْقافِ بالتَّدهُورِ المُرعِبِ الَّذِي أَصابَ كَثِيرِينَ مِنَ العَامِلِينَ فِي حَقْلِ الخُطابةِ، وَلا سِيَّما فِي مَجَالِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، فَاللَّحْنُ الفاجِشُ زَلَزَلَ المَنابِرَ، وَ دَقَّ نَاقوسَ الخَطرِ ... فَلِذا دَعَتِ الوِزارَةُ إلى دَوَراتِ إلزامِيَّةٍ! حُشِرَ لَها الخُطباءُ، وَ وُكِّلَ إلى مَلَفِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ فِي إِحدى المُحافَظَاتِ وَكانَ اللِّقاءُ الأوَّلُ غَيرَ مُبشِّرٍ؛ فَعدَمَ الرِّضا مِنَ البَعْضِ مِنْ جِهةٍ، وَاسْتِصْغارُهم لِي مِنْ جِهةٍ أُخرى حَالا دُونَ بَدايَةِ مُبشِّرةٍ، وَلَكِنِّي تَجاهَلْتُ هَذا وَمَضَيْتُ إلى أنْ حُزْتُ على اهِتمامِهِم وإِعجابِهِم وَلَكِنَّها لَمْ تَكُنْ كافِيَةً مِنْ حَيْثُ المُدَّةُ، وَلَمْ تَتَكَرَّرْ!

١٦- الخَطِيبُ والبَلَاغَةُ بَلَاغَةُ الخَطِيبِ والأَقْوَالِ البَلِيغَةُ

وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا:

يقولُ العَلَّامَةُ الفَخْرُ الرَّازِيُّ في تَفْسِيرِهِ (١٢٤ / ١٠) إِنَّ القَوْلَ البَلِيغَ صِفَةُ للوَعظِ، فَأَمَرَ اللهُ بِالوَعظِ، ثُمَّ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الوَعظُ بالقَوْلِ البَلِيغِ وهو أَنْ يَكُونَ كَلَامًا بَلِيغًا طَوِيلًا حَسَنَ الأَلْفَاظِ، حَسَنَ المَعَانِي، مُشْتَمِلًا عَلَى التَّرغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ، وَالإِحْذَارِ وَالإِنْذَارِ، وَالنَّوَابِ وَالْعِقَابِ، فَإِنَّ الكَلَامَ إِذَا كَانَ هكَذَا عَظُمَ وَقَعُهُ فِي القَلْبِ.

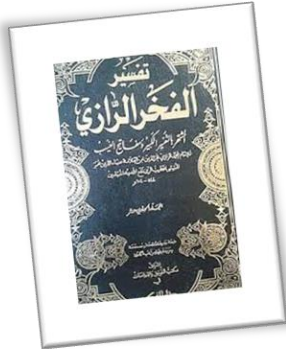
وَإِذَا كَانَ مُخْتَصِرًا رَكِيكَ اللَّفْظِ قَلِيلَ المَعْنَى لَمْ يُؤْثِرِ البَتَّةَ فِي القَلْبِ.

وَيَقُولُ صَاحِبُ الظِّلَالِ (٦٩٢ / ٢) هَذَا تَعْبِيرٌ مُصَوَّرٌ، كَأَنَّمَا القَوْلُ يُودَعُ مُبَاشَرَةً فِي الأنْفُسِ، وَيَسْتَقَرُّ مُبَاشَرَةً فِي القُلُوبِ.

رَوَى أَصْحَابُ السُّنَنِ -وَاللَّفْظُ لِلتِّرْمِذِيِّ- عَنِ العَرَبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ (٢٦٧٦) أَنَّهُ قَالَ:

وَعَظَّنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ... مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ، وَوَجَلَّتْ مِنْهَا القُلُوبُ ... الْحَدِيثُ.

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.



فَنُّ الْبَلَاغَةِ:



لِلْبَلَاغَةِ غَايَةٌ تَخْتَلِفُ تَمَامَ الْاِخْتِلَافِ عَنْ غَايَةِ النَّحْوِ، فَلَيْنَ كَانَ هَدَفُ النَّحْوِ الْهَدَايَةَ لِتَقْوِيمِ اللِّسَانِ، وَتَجْنِيْبِهِ اللَّحْنَ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي شَرَحْنَاهُ، فَإِنَّ غَايَةَ الْبَلَاغَةِ هُوَ إِقْدَارُ صَاحِبِهَا عَلَى الْوُصُولِ إِلَى قُلُوبِ الْجُمْهُورِ وَالتَّأْثِيرِ عَلَيْهَا وَإِقْنَاعِ الْعُقُولِ...

وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ غَايَةٌ تَنْقَطِعُ دُونَهَا الْأَعْنَاقُ فَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَيْهَا؟

وَلِلْإِجَابَةِ عَنْ هَذَا أَقُولُ: مُنْذُ عَهْدِ السَّكَاكِيِّ وَعُلُومُ الْبَلَاغَةِ تَنْفَرِّغُ إِلَى ثَلَاثَةِ عُلُومٍ :

عِلْمُ الْبَدِيعِ

وَهُوَ يُعْنَى
بِالْمُحْسِنَاتِ اللَّفْظِيَّةِ
وَذَلِكَ مِثْلُ: الْجِنَاسِ
وَالسَّجْعِ وَالْمُحْسِنَاتِ
الْمَعْنَوِيَّةِ وَذَلِكَ مِثْلُ:
الطَّبَاقِ وَالْمُقَابَلَةِ...

عِلْمُ
الْمَعَانِي

وَهُوَ يُعْنَى
بِمُطَابَقَةِ الْكَلَامِ لِمَا
يَقْتَضِيهِ الْحَالُ وَفِيهِ
الْخَبَرُ وَالْإِنْشَاءُ
وَصُورُهُمَا،
وَالْتَقْدِيمُ وَالتَّأْخِيرُ،
وَالذِّكْرُ وَالْحَذْفُ...

عِلْمُ الْبَيَانِ

وَهُوَ يُعْنَى
بِالصُّورَةِ الشَّعْرِيَّةِ
تَشْبِيْهًا أَوْ اسْتِعَارَةً
بِنَوْعِيَّهَا
التَّصْرِِيْحِيَّةِ
وَالْمَكْنِيَّةِ أَوْ كِنَايَةً.



وأَوَّلُ الأَمْرِ هو دِرَاسَةُ قَوَاعِدِ البَلَاغَةِ دِرَاسَةً جَيِّدَةً ، وَخَيْرُ مَا يَبْدَأُ بِهِ الطَّالِبُ كِتَابُ " البَلَاغَةِ الوَاضِحَةِ " .

وِثَانِي الأَمْرِ هو دِرَاسَةُ النَّمَاذِجِ البَلَاغِيَّةِ دِرَاسَةً تَحْلِيلِيَّةً ، وَعِنْدَهَا يَكْتَسِبُ الطَّالِبُ الفَهْمَ الصَّحِيحَ للقَوَاعِدِ ، وَالتَّحْلِيلَ البَارِعَ للشَّوَاهِدِ الَّتِي فَاهَ بِهَا البُلْغَاءُ ، وَالفُدْرَةَ عَلَى المُحَاكَاةِ وَعِنْدَهَا يُصْبِحُ الخَطِيبُ بَلِيعًا .

الأقوال البليغة:

لقد خَلَقَ اللهُ خَلْقَهُ وَوزَّعَ فيما بَيْنَهُمْ مَنَحَهُ ، وَأَعْطَى كُلًّا مِنَ المَوَاهِبِ ما لم يُعْطِ غَيْرَهُ ، وَمِنَ المَوَاهِبِ الَّتِي مَنَحَهَا اللهُ لِبَعْضِ خَلْقِهِ فَصَاحَةً لِسَانِهِمْ ، وَبَلَاغَةً أَقْوَالِهِمْ ، حَتَّى سَارَتْ بِهَا الرُّكبانُ ، وَخُلِدَتْ فِي كُتُبِ الأَدَبِ وَغَيْرِهَا إِلَى آخِرِ الزَّمانِ .

وذلك كالأمثال السائرة، والحكم المشهورة، والخطب الفذة، والوصايا الرائعة، والأقوال المشهورة...

وَيَحْسُنُ بِالخَطِيبِ بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ حَسَنَ الاِطِّلاعِ عَلَيْهَا ، حَافِظًا لِكَثِيرٍ مِنْهَا ، فَإِنَّهُ سَيَسْتَفِيدُ مِنْهَا فِي خُطْبِهِ عَلَى المَنابرِ وَفِي المَحافِلِ فَفِيهَا تَحْلِيَةُ خُطْبِهِ ، وَتَقْوِيَتُهَا ، وَتَأْيِيدُهَا بِما يَسوقُهُ مِنْ تِلْكَ الاِقتِباساتِ .

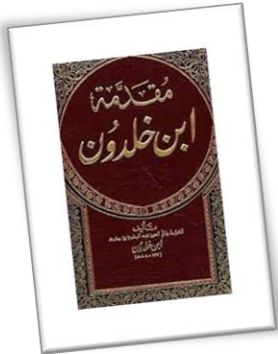
مَنابعُ الأَدَبِ:

يَقُولُ المَوْرِّخُ ابنُ خَلْدُون (١ / ٦٣) : وَسَمِعْنَا مِنْ شَيْوِخِنَا فِي مَجَالِسِ التَّعْلِيمِ أَنَّ أَصُولَ هَذَا الفَنِّ ، وَأَرْكَانَهُ أَرْبَعَةُ دَوَاوِينَ وَهِيَ :

١- أدبُ الكاتِبِ لابنِ قُتَيْبَةَ .

٢- وَكِتَابُ الكَامِلِ للمُبَرِّدِ .

٣- وَكِتَابُ البَيانِ وَالتَّبْيِينِ لِلجَاحِظِ .



٤- وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي.



وما سوى هذه الأربعة فتبع لها، وفروع عنها، وكتب المحدثين في ذلك كثيرة.

أقول: فعلى الخطيب أن يطالع تلك الكتب أوقات فراغه، وليختار منها ما يراه مفيداً له في خطابته وخطبته مما جلّ معناه، وسهل إلقاؤه على الخطيب، وفهمه على جمهوره ...

أم توصي ابنتها العروس:



أوصت أمانة بنت الحارث ابنتها أم إياس عند زواجها فقالت:
يا بنية احلمي عني عشر خصال تكن لك ذكراً وذكراً:

- ١- الصحبة بالقناعة.
- ٢- والمعاشرة بحسن السمع والطاعة.
- ٣- والتعهد لموقع عينه.
- ٤- والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح، والكحل أحسن الحسن، والماء أطيب الطيب المفقود.
- ٥- والتعهد لوقت طعامه.
- ٦- والهدوء عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.
- ٧- والاحتفاظ ببيته وماله.
- ٨- والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله، فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، والإرعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير.
- ٩- ولا تفضي له سراً.

١٠- ولا تعصي له أمراً، فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره.

١٧- الخَطِيبُ والشَّعْر

روحُ القدُسِ مَعَكَ:

رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ الْأَدَبِ عَنْ عَائِشَةَ (٥٠١٥) أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضَعُ لِحْسَانَ مَنِيرًا فِي الْمَسْجِدِ فَيَقُومُ عَلَيْهِ يَهْجُو مَنْ قَالَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ مَعَ حَسَّانَ مَا نَافَحَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)).

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ "بَدْءِ الْخَلْقِ" عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ (٣٢١٢) أَنَّهُ قَالَ: مَرَّ عُمَرُ فِي الْمَسْجِدِ وَحَسَّانُ يُنْشِدُ فَقَالَ: كُنْتُ أُنْشِدُ فِيهِ، وَفِيهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ: أُنْشِدْكَ بِاللَّهِ: أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: أَجِبْ عَنِّي، اللَّهُمَّ أَيْدِهِ بِرُوحِ الْقُدُسِ؟ قَالَ: نَعَمْ.

مَا هُوَ الشَّعْرُ؟

مَا الشَّعْرُ إِلَّا كَلَامٌ كَغَيْرِهِ مِنَ الْكَلَامِ غَيْرَ أَنَّهُ يَمْتَارُ عَنْهُ بِأَنَّهُ مَوْزُونٌ مُقَفًى.

قَالَ صَاحِبُ الْعُمْدَةِ ص/ ١١٩: الشَّعْرُ يَقُومُ بَعْدَ النَّبِيِّ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ وَهِيَ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى وَالْوَزْنُ وَالْقَافِيَةُ، فَهَذَا هُوَ حَدُّ الشَّعْرِ وَقَالُوا: قَوَاعِدُ الشَّعْرِ أَرْبَعَةٌ: الرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ وَالطَّرَبُ وَالْغَضَبُ فَمَعَ الرَّغْبَةِ يَكُونُ الْمَدْحُ وَالشُّكْرُ.

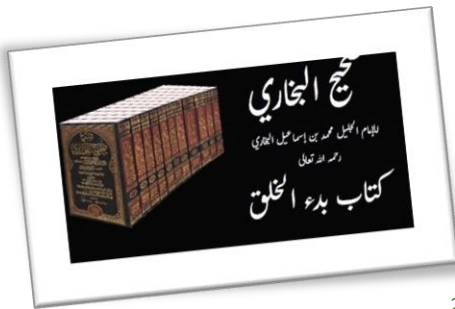
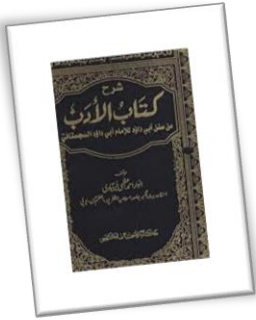
وَمَعَ الرَّهْبَةِ يَكُونُ الْإِعْتِذَارُ وَالِاسْتِعْطَافُ.

وَمَعَ الطَّرَبِ يَكُونُ الشَّقُّوقُ وَرَقَّةُ النَّسِيبِ.

وَمَعَ الْغَضَبِ يَكُونُ الْهَجَاءُ وَالتَّوَعُّدُ وَالْعِنَابُ الْمُوجَعُ.

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِأَرْطَا بْنِ سَهْبَةَ: أَتَقُولُ الشَّعْرَ الْيَوْمَ؟

فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَطْرَبُ، وَلَا أَغْضَبُ، وَلَا أَشْرَبُ، وَلَا أَرْغَبُ، وَإِنَّمَا يَجِيءُ الشَّعْرُ عِنْدَ إِحْدَاهُنَّ.



إيضاح لا دفاع:

لبعض الناس سوء ظنّ بالشعر وأهله على وجه العموم، وهذا خطأ بلا امتراء.



يقول العلامة عبد القاهر الجرجاني في دلائله ص/ ١٥ "وبعد فكيف وضع من الشعر عندك، وكسبه المقت منك، أنك وجدت فيه الباطل والكذب وبعض ما لا يحسن، ولم يرفعه في نفسك، ولم يوجب له المحبة من قبلك أن كان فيه الحق والصدق والحكمة وفصل الخطاب، وأن كان مجنى ثمر العقول والألباب، ومجتمع فرق الآداب، والذي قيّد على الناس المعاني الشريفة، وأفادهم الفوائد الجليلة، وترسل بين الماضي والغابر، ينقل مكارم الأخلاق إلى الولد عن الوالد...

وكيف رويت "لأن يمتلي جوف رجل قبحاً خيراً له من أن يمتلي شعراً"

[رواه الشيخان عن أبي هريرة]

وتركت قوله "إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحراً"،

[رواه بهذا اللفظ أبو داود والترمذي]

وكيف نسيت أمره بقول الشعر، ووعدّه عليه الجنة، وقوله لحسان "قلّ رُوحُ القدس معك" وسماعه له، واستنشاده إياه، وعلمه به، واستحسانه له، وارتياحه عند سماعه؟

أما أمره به فمن المعلوم ضرورة.

وكذلك سماعه إياه فقد كان حسان وابن راحة وكعب بن زهير يمدحونه ويسمّع منهم ويصغي إليهم ويأمرهم بالرّدّ على المشركين فيقولون في ذلك ويعرضون عليه...

وأما استنشاده إياه فكثير، ومن ذلك الخبر المعروف استنشاده حين استسقى فسقى قول أبي طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وَأَمَّا عِلْمُهُ بِالشَّعْرِ فَمَا رُوِيَ أَنَّ سَوْدَةَ أَنْشَدَتْ:

عَدِيٌّ وَتَيْمٌ تَبْتَغِي مَن تُحَالِفُ

فَظَنَّتْ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ أَنَّهَا عَرَّضَتْ بِهِمَا ... فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: " **يَا وَيْلَكُنَّ لَيْسَ فِي عَدِيٍّ وَلَا تَيْمِكُنَّ قِيلَ هَذَا، وَإِنَّمَا قِيلَ فِي عَدِيٍّ تَيْمٍ، وَتَيْمٍ تَيْمٍ...**

وَأَمَّا ارْتِيَاخُهُ وَاسْتِحْسَانُهُ لَهُ، فَقَدْ جَاءَ فِيهِ الْخَبَرُ مِنْ وَجْهِ

مِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ قَالَ: أَنْشَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَوْلِي:

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجُدُونَا وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيْنَ الْمَظْهَرُ يَا أَبَا لَيْلَى؟

فَقُلْتُ: الْجَنَّةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ... [عزاه في كنز العمال لابن عساكر]

وَتَابَعَ قَائِلًا: وَمَنْعَ الرَّسُولِ ﷺ مِنَ الْوَزْنِ سَبِيلُهُ سَبِيلُ الْخَطِّ (الكتابة)، حَيْثُ جُعِلَ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ لَا مِنْ أَجْلِ كَرَاهَةٍ كَانَتْ فِي الْخَطِّ، بَلْ لِأَن تَكُونَ الْحُجَّةُ أَبْهَرَ وَأَقْدَرَ، وَالذَّلَالَةُ أَقْوَى وَأَظْهَرَ... " وَلِلْكَلامِ بَقِيَّةٌ مَهْمَةٌ انْظُرْهَا عِنْدَهُ.

زَادَ الْخَطِيبُ مِنَ الشَّعْرِ:

لَيْسَ مَطْلُوبًا مِنَ الْخَطِيبِ أَنْ يَحْفَظَ كُلَّ الشَّعْرِ، وَ لَا أَيَّ شِعْرِ، بَلْ مَا يَخْدِمُ دَعْوَتَهُ، وَيُقَوِّي فِكْرَتَهُ، وَحَسْبُهُ مِنَ السَّوَارِ مَا أَحَاطَ بِالْمِعْصَمِ، وَلِيَتَخَيَّرَ مِنْ كُلِّ مَوْضُوعٍ أَجْمَلَ مَا قِيلَ فِيهِ، وَأَوْضَحَ مَا فِيهِ مِمَّا يَسْهُلُ الْقَاوُهِ مِنَ الْخَطِيبِ، وَفَهْمُهُ مِنْ جُمْهُورِهِ، وَلَطَالَمَا أَحَبَّ النَّاسُ الشَّعْرَ وَتَأَثَّرُوا بِهِ.

مِنْبَرِي وَالشَّعْر:

هَذَا وَلَطَالَمَا كَانَ لِلشَّعْرِ حُضُورُهُ عَلَى مِنْبَرِي، وَفِي الْمَحَافِلِ الَّتِي أُقَدِّمُ لِلْكَلامِ فِيهَا، وَهَذِهِ أَمْثَلَةٌ عَلَى ذَلِكَ:

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ:



خَطَبْتُ ذَاتَ مَرَّةٍ عَنِ الْأَبْرَاجِ وَبَيَّنْتُ مَوْقِفَ الْعَقِيدَةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ هَذِهِ النَّفَاهَاتِ وَالسَّخَافَاتِ الَّتِي قَدْ تَصَلُّ
بِصَاحِبِهَا إِلَى حَدِّ الْكُفْرِ، إِذَا مَا اعْتَقَدَ أَنَّ الْأَبْرَاجَ تَدُلُّ
عَلَى الْغَيْبِ أَوْ تُؤَثِّرُ فِي أَقْدَارِ الْبَشَرِ، وَاسْتَشْهَدْتُ عَلَى
ذَلِكَ بِقِصَّةِ عُمُورِيَّةٍ وَسُقْتُ أُبَيَّاتِ أَبِي تَمَّامِ الرَّائِعَةِ فِي
ذَلِكَ، وَإِلَيْكَ الْقِصَّةُ وَمَا قِيلَ فِيهَا:

يَقُولُ السَّيُّوْطِيُّ فِي كِتَابِهِ " تَارِيخُ الْخُلَفَاءِ " ص/ ٢٤٥ " وَفِي سَنَةِ



(٢٢٣هـ) غَزَا الْمُعْتَصِمُ الرُّومَ فَأَنْكَاهُمْ نِكَايَةً عَظِيمَةً لَمْ يُسَمَعْ بِمِثْلِهَا
لِخَلِيفَةٍ فَشَنَّتْ جُمُوعُهُمْ، وَخَرَّبَ دِيَارَهُمْ، وَفَتَحَ عُمُورِيَّةَ بِالسَّيْفِ،
وَقَتَلَ مِنْهُمْ ثَلَاثِينَ أَلْفًا، وَسَبَى مِثْلَهُمْ، وَكَانَ لَمَّا تَجَهَّزَ لِغَزْوِهَا حَكَمَ
الْمُنْجِمُونَ أَنَّ ذَلِكَ طَالِعُ نَحْسٍ وَأَنَّهُ يُكْسَرُ، فَكَانَ مِنْ نَصْرِهِ وَظَفَرِهِ
مَا لَمْ يَخَفْ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ أَبُو تَمَّامٍ قَصِيدَتَهُ الْمَشْهُورَةَ وَهِيَ هَذِهِ:



السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ
وَالْعِلْمُ فِي شُهْبِ الْأَرْمَاحِ لَامِعَةٌ
أَيْنَ الرِّوَايَةُ؟ أَمْ أَيْنَ النُّجُومُ؟ وَمَا
تَخَرُّصًا وَأَحَادِيثًا مُلَفَّقَةً
وَحَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءِ مُظْلِمَةٍ
وَصَيَّرُوا الْأَبْرَجَ الْعُلْيَا مُرْتَبَةً
يَقْضُونَ بِالْأَمْرِ عَنْهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ
لَوْ بَيَّنْتَ قَطُّ أَمْرًا قَبْلَ مَوْقِعِهِ
فِي حَذِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعْبِ
بَيْنَ الْخَمِيسَيْنِ، لَا فِي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ
صَاغُوهُ مِنْ زُخْرَفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ
لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُذَّتْ وَلَا عَرَبِ
إِذَا بَدَا الْكَوْكَبُ الْغَرْبِيُّ ذُو الذَّنَبِ
مَا كَانَ مُنْقَلِبًا أَوْ غَيْرَ مُنْقَلِبِ
مَا دَارَ فِي فَلَكٍ مِنْهَا وَفِي قُطْبِ
لَمْ تُخَفِ مَا حَلَّ بِالْأَوْثَانِ وَالصُّلْبِ

الشعرُ المعاصر:

كنتُ سيِّءَ الظَّنِّ بالشَّعرِ الحَدِيثِ المُعاصِرِ تَعصُّباً للشَّعرِ القَدِيمِ ، و لكنِّي
عِنْدما اطَّلَعْتُ على الشَّعرِ الحَدِيثِ الاتِّباعيِّ مِنْهُ كأشعارِ أَحْمَدَ شَوْقي وحافظِ
إبراهيم والجواهري ... ، والإبداعِيِّ مِنْهُ كأشعارِ نِزار وأحمد مطر ...



محمد مهدي الجواهري



نزار قباني



حافظ إبراهيم



أحمد شوقي

غَيَّرْتُ وَجْهَةَ نَظْرِي وَعَلَى مَا قَالَ عُمَرُ: الرُّجُوعُ إِلَى الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي
فِي الْبَاطِلِ، وَالَّذِي أَثَارَ انْتِبَاهِي أَنَّ هَؤُلَاءِ الشُّعْرَاءَ عَاصَرُوا الْأَحْدَاثَ وَعَلَّقُوا
عَلَيْهَا بِشَجَاعَةٍ وَجُرْأَةٍ وَمَوْضُوعِيَّةٍ وَدِقَّةٍ ،فِيحَسُنُ بِالْخَطِيبِ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَى
أَشْعَارِهِمْ تِلْكَ ،وَيَسْتَشْهَدَ بِبَعْضِهَا مِمَّا يَسْهُلُ لَفْظُهُ وَيَتَأَلَّقُ فِي مَعْنَاهِ.

نِزار وَ نَكْسَةُ ١٩٦٧:



جمال عبد الناصر

هُزِمَ الْعَرَبُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ هَزِيمَةً نَكَرَاءَ ضَاعَتْ فِيهَا
سِينَاءُ وَالْجَوْلَانُ وَضَاعَ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، الْمَسْجِدُ الَّذِي
فَتَحَهُ صَلاَحُ الدِّينِ النَّاصِرِ ضَاعَ زَمَنُ جَمَالِ عَبْدِ النَّاصِرِ.
وَهَا هُوَ ذَا الشَّاعِرُ نِزار قَبَّانِي يُعَلِّقُ عَلَى تِلْكَ الْهَزِيمَةِ
بِشْيءٍ مِنَ الْعُمُقِ وَهَذِهِ مُقْتَطَفَاتٌ مِمَّا قَالَهُ:



إِذَا خَسِرْنَا الْحَرْبَ لَا غَرَابَهُ

لَأَنَّا نَدْخُلُهَا

بِكُلِّ مَا يَمْلِكُهُ الشَّرْقِيُّ مِنْ مَوَاهِبِ الْخَطَابَةِ

بِالْعَنْتَرِيَّاتِ الَّتِي مَا قَتَلْتَ ذُبَابَهُ

لَأَنَّا نَدْخُلُهَا بِمَنْطِقِ الطَّبَلَةِ وَالرَّبَابَةِ

بِالنَّايِ وَالْمِزْمَارِ

لَا يَحْدُثُ انْتِصَارٌ

كَلَّفْنَا ارْتِجَالَنَا

خَمْسِينَ أَلْفَ خِيْمَةٍ جَدِيدَةٍ

مَا دَخَلَ الْيَهُودُ مِنْ حُدُودِنَا

وَأِنَّمَا

تَسْرَبُوا كَالنَّمْلِ مِنْ عِيُونِنَا

جُلُودُنَا مَيِّتَةٌ الْإِحْسَاسُ

أُرِوَاخُنَا تَشْكُوا مِنَ الْإِفْلَاسِ

أَيَّامُنَا تَدُورُ بَيْنَ الزَّارِ، وَالشَّطْرَنْجِ، وَالنُّعَاسِ

هَلْ (نَحْنُ خَيْرُ أُمَّةٍ قَدْ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) ؟

كَانَ بُوْسَعُ نَفْطِنَا الدَّافِقِ فِي الصَّحَارِي

أَنْ يَسْتَحِيلَ خِنْجَرًا مِنْ لَهَبٍ وَنَارٍ

لَكِنَّهُ

يُرَاقُ تَحْتَ أَرْجُلِ الْجَوَارِي

لو أَحَدٌ يَمْنَحُنِي الأمان
لو كُنْتُ أَستطِيعُ أنْ أَقَابِلَ السُّلْطَانِ
يا سَيِّدِي السُّلْطَانِ
لقد خَسِرْتَ الحَرْبَ مَرَّتَيْنِ
لأنَّ نِصْفَ شَعْبِنَا
ليسَ لَهُ لِسَانٌ
ما قِيمَةُ الشَّعْبِ الَّذِي ليسَ لَهُ لِسَانٌ
يا سَيِّدِي السُّلْطَانِ
لقد خَسِرْتَ الحَرْبَ مَرَّتَيْنِ
لأنَّكَ انفَصَلْتَ عَنِ قَضِيَّةِ الإنسانِ



أحمد شوقي يرثي الخلافة عام ١٩٢٤:

و بَكَتْ عَلَيْكَ مَمَالِكُ وَ نَوَاحٍ
أَمَحَا مِنْ الْأَرْضِ الْخِلَافَةَ مَاحٍ
وَنَضُّوا عَنِ الْأَعْطَافِ خَيْرَ وَشَاحٍ
كَيْفَ احْتِيَائُكَ فِي صَرِيحِ الرَّاحِ
وَالنَّاسَ نَقَلَ كِتَابِي فِي السَّاحِ
لَمْ تَسْلُ بَعْدُ عِبَادَةَ الْأَشْبَاحِ
حَتَّى تَتَاوَلَ كُلٌّ غَيْرِ مُبَاحِ
وَجَدَ السَّوَادَ لَهَا هَوَى الْمُرْتَاحِ

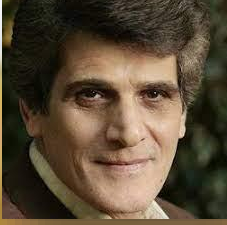
ضَجَّتْ عَلَيْكَ مَآذِنٌ وَمَنَابِرٌ
وَالشَّامُ تَسْأَلُ وَالْعِرَاقُ وَفَارِسٌ
نَزَعُوا عَنِ الْأَعْنَاقِ خَيْرَ قِلَادَةٍ
إِنَّ الْغُرُورَ سَقَى الرَّئِيسَ بِرَاحِهِ
نَقَلَ الشَّرَائِعَ وَالْعَقَائِدَ وَالْقُرَى
تَرَكَتْهُ كَالشَّيْبِ الْمُوَلَّهِ أُمَّةً
هُمْ أَطْلَقُوا يَدَهُ كَقَيْصَرَ فِيهِمُو
غَرَّتْهُ طَاعَتُ الْجُمُوعِ وَدَوْلَةٌ

عبد الرحيم محمود واستشراف ضياع الأقصى:

أثناء زيارة الملك سعود (ولي العهد وقتها) إلى فلسطين والقدس عام ١٣٢٤هـ ١٩٣٥م زار قرية "عنتبا" التابعة لطول كرم بلدة الشاعر عبد الرحيم محمود فألقى هذه القصيدة التي حذر فيها من سقوط القدس وهذا ما حصل بعد حين:



نجم السُّعودِ وفي جبينك مَطلَعُه
المسجدَ الأقصى أجنتَ تزوره
حُرْمَ ثَباعٍ لكلِّ أوْكَعٍ أبقي
وَعَدًا وما أدناه لا يَبْقَى سِوى
أنى توجَّهَ ركبُ عزكِ يتبَّعُه
أم جنَّتَ من قَبْلِ الضَّياعِ تُودِّعُه
ولكلِّ أفاقٍ شَرِيدٍ أربُّعُه
دَمَعٌ لنا يَهْمِي و سِنٌّ نَقْرُعُه



أحمد مطر واتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل:

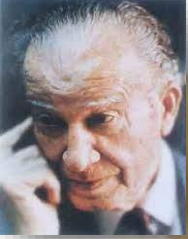
النَّورُ فرَّ من حظيرةِ البَقَرِ، النَّورُ فرَّ
فثارتِ العُجُولُ في الحَظِيرَةِ
تبكي فرارَ قائدِ المَسيرَةِ
وشكَّلتْ على الأثرِ
مَحْكَمَةً ومُؤْتَمَر
فَقائلٌ قالَ: قِضاءٌ وقدر
وقائلٌ: لقد كَفَرَ
وقائلٌ: إلى سقر
وبعضُهم قالَ: امنحوه فرصةً أخيرةً
لعلَّه يعودُ للحَظِيرَةِ
وفي خِتامِ المؤْتَمَرِ
تقاسمُوا مِربطَه ، وقسَّمُوا شَعيْرَه
وبعدَ عامٍ وَقَعَتْ حادِثَةٌ مُثيرةٌ
لم يرجعِ النَّورُ ، ولكن....
ذهبت وراءَه الحَظِيرَةُ!

نزار قباني و اتفاقية أوسلو بين السلطة وإسرائيل ١٩٩٣ :



لم يُعَدُّ ثَمَّةَ أَطْلَالٍ نَبْكِ عَلَيْهَا
كَيْفَ تَبْكِ أُمَّةٌ
أَخْذُوا مِنْهَا الْمَدَامِيعَ؟؟
بَعْدَ هَذَا الْغَزَلِ السَّرِيِّ فِي أَوْسَلُو
خَرَجْنَا عَاقِرِينَ..
وَهَبُونَا وَطَنًا أَصْغَرَ مِنْ حَبَّةِ قَمْحٍ...
وَطَنًا نَبْلُغُهُ مِنْ غَيْرِ مَاءٍ
كَحُبُوبِ الْأَسْبِرِينَ...!
بَعْدَ خَمْسِينَ سَنَةً
نَجْلِسُ الْآنَ.. عَلَى أَرْضِ الْخَرَابِ...
مَالْنَا مَأْوَى
كَآلَافِ الْكِلَابِ
مَا وَجَدْنَا وَطَنًا نَسْكُنُهُ إِلَّا السَّرَابَ
لَيْسَ صُلْحًا
ذَلِكَ الصُّلْحُ الَّذِي أُدْخِلَ كَالْخَنَجَرِ فِينَا
إِنَّهُ فِعْلٌ اغْتِصَابٌ

أبو ريشة يُناجي الأمة:



أُمَّتِي هَلْ لَكَ بَيْنَ الْأُمَمِ
أَتَلَقَّاكَ وَطَرَفِي مُطْرِقٌ
وَيَكَادُ الدَّمْعُ يَهْمِي عَابِثاً
إِسْرَائِيلَ تَعْلُو رَايَةً
كَيْفَ أَغْضَيْتِ عَلَى الدُّلِّ وَلَمْ
أَوْ مَا كُنْتِ إِذَا الْبَغْيُ اعْتَدَى
وَدَعَى الْقَادَةَ فِي أَهْوَائِهَا
رُبَّ وَامْعَتَصِمَاهُ انْطَلَقَتْ
لَا مَسَتْ أَسْمَاعَهُمْ لَكِنَّهَا
أُمَّتِي كَمْ صَنَمٍ مَجْدَتِهِ
لَا يُلَامُ الذَّنْبُ فِي عُدَوَانِهِ

مَنْبَرٌ لِلسَّيْفِ أَوْ لِلْقَلَمِ
خَجَلًا مِنْ أَمْسِكَ الْمُنْصَرَمِ
بِبَقَايَا كِبَرِيَاءِ الْأَلَمِ
فِي حِمَى الْمَهْدِ وَظِلِّ الْحَرَمِ؟
تَنْفُضِي عَنْكَ غُبَارَ التَّهْمِ؟
مَوْجَةً مِنْ لَهَبٍ أَوْ مِنْ دَمٍ؟
تَتَفَانِي فِي خَسِيسِ الْمَغْنَمِ
مِلءَ أَفْوَاهِ الْبَنَاتِ الْيَتِيمِ
لَمْ تُلَامِسِ نَخْوَةَ الْمُعْتَصِمِ
لَمْ يَكُنْ يَحْمِلُ طَهْرَ الصَّنَمِ
إِنْ يَكُ الرَّاعِي عَدُوَّ الْغَنَمِ



وَأَزَاحَتْ الْإِيَّامُ عَنْهُ نِقَابَهُ
تَرَكَ الْحَصُونَ إِلَى الْعَدَى مُتَأَثِّرًا
سَكِينُهُ فِي شِدْقِهِ وَلُعَابُهُ
مَا كَانَ هَوْلًا كَو، وَلَا أَشْبَاهَهُ
هَذِي حِمَاةٌ عَرُوسَةُ الْوَادِي عَلَى
هَذَا صِلَاحُ الدِّينِ يُخْفِي جُرْحَهُ
سُرُوتِ دُنْيَا الْفَتْحِ هَانَتْ عِنْدَهُ
مَا عَفَّ عَنْ قَذْفِ الْمَعَابِدِ بِاللَّظَى
كَمْ سُجِّدَ لِلَّهِ فَاجَأَهُمْ، وَمَا
عَرَفَتْهُمْ الْجُلَى أَهْلَةً غَارَةً
يَا شَامُ .. مَا كَذَبَ الْعِيَانُ، وَرَبَّمَا

فَأُطِّلَ مَسْخًا بِالضَّلَالِ مُزَوِّدًا
بِفَرَارِهِ، وَأَتَى الْحِمَى مُسْتَأْسِدًا
يَجْرِي عَلَى ذِكْرِ الْقَرْيَةِ مُزِيدًا
بِأُضْلَ أَفْنَدَةٍ وَأَقْسَى أَكْبَدًا
كَبِيرِ الْحَدَادِ، تُجِيلُ طَرْفًا أَرْمَدًا
عَنْهَا وَيَسْأَلُ كَيْفَ جَرَحُ أَبِي الْفِدَا
وَأَصَابَ مِنْهَا مَا أَقَامَ وَ أَقْعَدَا
فَتَنَاثَرَتْ رِمَمًا، وَ أَجَّتْ مَوْقِدَا
كَانُوا لَغَيْرِ اللَّهِ يَوْمًا سُجَّدَا
وَعَزَاةَ مِيدَانٍ، وَسَادَةَ مَنَتَدَى
شَهَقَ الْخِيَالُ أَمَامَهُ، وَتَرَدَّدَا

١٨- الخُطيبُ والعُلُومُ المُعاصرة



لَقَدْ تَقَدَّمتِ العُلُومُ في القَرْنِ الأخيرِ تَقَدُّماً مُذهِلاً
وَ لَئِنْ كَانَتْ البَشَرِيَّةُ فِيمَا مَضَى تَحِبُّو حَبِواً فَإِنَّهَا وَمُنْذُ
قَرْنٍ مِنَ الزَّمانِ تُحَلِّقُ بِجَنَاحَيْنِ، حَيْثُ اسْتَطَاعَ
الإنسانُ أَنْ يَخْتَرِقَ طَبَقَاتِ الجَوِّ، وَيُغَادِرَ الأَرْضَ
ووصلَ إلى القَمَرِ وَحَطَّ رِحالَهُ عَلَيهِ، بَلْ وَتَجَاوَزَهُ
إِلَى غَيْرِهِ، كَمَا واسْتَطَاعَ أَنْ يَصَلَ إلى أَعْمَقِ
الأعماقِ في المُحيطاتِ.



وَإِذَا يَمَّمْنَا وَجْهَنَا شَطْرَ الطِّبِّ رَأَيْنَا العَجَبَ
العُجَابِ حَيْثُ اسْتَطَاعَ الإنسانُ أَنْ يَسْتَبْدِلَ الأَعْضاءَ
النَّالِفَةَ كَالقَلْبِ وَالْكُلَيْتَيْنِ وَالْأَمْعَاءِ بِغَيْرِهَا مِنْ جَسَدٍ
فَارَقَتْهُ الحَيَاةُ.

كَمَا وَتَقَدَّمتِ وَسائِلُ الاتِّصالاتِ والمُواصلاتِ حَتَّى باتَ العالَمُ كُلُّهُ كِبْلَدَةً
صَغِيرَةً لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِهَا مَا يَجْرِي فِي أَطرافِهَا.



وَصارَ طُلَّابُ المَدارسِ الِابْتِدَائِيَّةِ وَ الإِعْدادِيَّةِ
وَالثَّانَوِيَّةِ يَقْرَؤُونَ فِي مَدارسِهِم مُخْتَلَفَ العُلُومِ وَأَصْنَافِ
الفُنُونِ مِنَ العُلُومِ وَالرِّياضِيَّاتِ وَالْفِيزِيَاءِ وَالْكِيمِيَاءِ...
الخ

وَلَا يَنْبَغِي لِلخُطيبِ أَبْداً وَهُوَ لِسَانُ الإِسْلامِ وَالنَّاطِقُ الرَّسْمِيُّ بِاسْمِهِ أَنْ
يَقِفَ مَكْتُوفَ اليَدَيْنِ أَمَامَ هَذَا التَّقَدُّمِ الهائلِ فِي العِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَنالَ
نَصيبَهُ مِنْهُ حَتَّى تَتَّسِعَ مَدَارُكُهُ، وَتَقْوَى حُجَّتُهُ، وَتُسَمَّعُ كَلِمَتُهُ، وَيُخاطَبَ النَّاسَ
عَلَى قَدْرِ عُلُومِهِمْ وَعُقُولِهِمْ.

وَإِذَا كَانَ كَثِيرٌ مِنَ الدُّعَاةِ وَالخُطباءِ لَمْ يَتَلَقُّوا هَذِهِ العُلُومَ وَهُمْ عَلَى مَقَاعِدِ
الدِّرَاسَةِ لَانْشِغَالِهِمْ بِالْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يُعَوِّضُوا عَنْ ذَلِكَ
بِمُطالَعَةِ الكُتُبِ، وَمُجالَسَةِ الْمُخْتَصِّينَ، وَمُتَابَعَةِ البَرَامِجِ العِلْمِيَّةِ الْمُعْتَمَدَةِ،
والمَواقِعِ المُتَخَصِّصَةِ، وَمَا أَكْثَرُهَا وَأَغْزَرَ مَا فِيهَا.

وَلَعَلَّ خَيْرَ طَرِيقَةٍ لَتَتَأَوَّلَ هَذِهِ الْعُلُومَ وَعَرْضِهَا هُوَ رِبْطُهَا بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ
وَطَرِحِهَا تَحْتَ مَا بَاتَ يُعْرَفُ بِالْإِعْجَازِ الْعِلْمِيِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَيَزِدَادُ
الْمُؤْمِنُونَ إِيمَانًا إِلَى إِيْمَانِهِمْ.



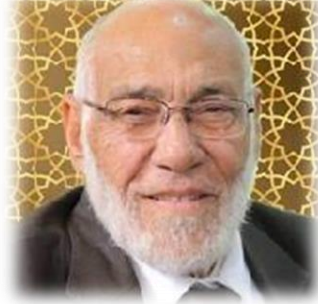
وَلَقَدْ تَنَاوَلْتُ الْكَثِيرَ مِنْ هَذِهِ الْقَضَايَا وَفِي مُنَاسَبَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ فَتَحَدَّثْتُ عَنْ
إِعْجَازِ الْقُرْآنِ فِي الْأَنْفُسِ وَالْآفَاقِ مُعْتَمِدًا عَلَى مَا أَلَّفَهُ الْمُتَخَصِّصُونَ مِنْ
أَمْثَالِ الدُّكْتُورِ "زَغْلُولِ النَّجَّارِ" وَ "الزَّيْدَانِي" وَ "الْكَحِيلِ" وَغَيْرِهِمْ كَثِيرٌ كَثِيرٌ.



الْكَحِيلِ



الزَّيْدَانِي



النَّجَّارِ

١٩- علمانيون ولكن لا يشعرون

تنبهوا أيها الخطباء!

- رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ فِي كِتَابِ الْأَحْكَامِ، بَابُ : هَدَايَا الْعَمَالِ عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ (٧١٧٤) أَنَّهُ قَالَ:

اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْأُتْبِيَّةِ عَلَى صَدَقَةٍ فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ:

هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أَهْدَى لِي، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: " مَا بَالُ الْعَامِلِ نَبَعْتُهُ فَيَأْتِي يَقُولُ: هَذَا لَكَ، وَهَذَا لِي، فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَنْظُرُ أَيُّهُدَى لَهُ أَمْ لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَأْتِي بِشَيْءٍ إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ " إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقْرَةً لَهَا خَوَارٌ، أَوْ شَاةً تَعِيرُ

ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتِي إِبْطِيهِ أَلَا هَلْ بَلَغَتْ ثَلَاثًا.

- وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ (١٤١٤) أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

" الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، فَلَا يَحِلُّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَبْتَاعَ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ ...
الحديث "

- وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ (١٩١٧) أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ:

" وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ " أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ ...
الحديث "

- وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ (٢٢٩٦) أَنَّهُ قَالَ :
صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَتْلِي أُحُدٍ ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ ... فَقَالَ:
" وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا، وَتَقْتَتِلُوا فَتَهْلِكُوا
كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ "
قَالَ عُقْبَةُ: فَكَانَتْ آخِرَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ.



- وروى النسائي عن عرفة بن شريح الأشجعي (٤٠٢٠) أنه قال رأيتُ النَّبِيَّ ﷺ على المنبرِ يخطُبُ النَّاسَ فقال: "إنها ستكونُ بعدي هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ فَارِقَ الْجَمَاعَةِ، أو يُرِيدُ تَفْرِيقَ أَمْرِ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ كَائِنًا مَنْ كَانَ فاقْتُلُوهُ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ مَنْ فَارِقَ الْجَمَاعَةَ يَرْكُضُ".



- وَرَوَى النَّسَائِيُّ فِي سُنَنِهِ عَنْ عَائِشَةَ (٤٦٦٥) أَنَّهَا قَالَتْ: "لَمَّا نَزَلَتْ آيَاتُ الرَّبِّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ فَتَلَاهُنَّ عَلَى النَّاسِ ثُمَّ حَرَّمَ التِّجَارَةَ فِي الْخَمْرِ".

- وَرَوَى النَّسَائِيُّ فِي سُنَنِهِ عَنْ ثَابِتٍ (٢٣٠٤) أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ وَيَقُولُ: قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ: "مَنْ لَبَسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا، فَلَنْ يَلْبَسَهُ فِي الْآخِرَةِ".

الْعِلْمَانِيَّةُ:

هِيَ تَرْجُمَةٌ غَيْرُ دَقِيقَةٍ وَغَيْرُ صَحِيحَةٍ وَغَيْرُ أَمِينَةٍ لِمُصْطَلَحٍ غَرْبِيٍّ يَعْنِي "اللَّادِينِيَّةَ" أَوْ "الدُّنْيَوِيَّةَ" وَلَيْسَ الْمَعْنَى مَا يُقَابَلُ الْآخِرَوِيَّةَ فَحَسْبُ، بَلْ بِمَعْنَى مَا لَا صِلَةَ لَهُ بِالْدِّينِ.

يَقُولُ الدُّكْتُورُ الْقُرْضَاوِي فِي كِتَابِهِ الْإِسْلَامُ وَالْعِلْمَانِيَّةُ " ص / ٤٨ " وَإِنَّمَا تُرْجِمَتِ الْكَلِمَةُ الْأَجْنَبِيَّةُ بِهَذَا اللَّفْظِ " الْعِلْمَانِيَّةُ " لِأَنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا التَّرْجُمَةَ لَمْ يَفْهَمُوا مِنْ كَلِمَتِي " الدِّينِ " وَ " الْعِلْمِ " إِلَّا مَا يَفْهَمُهُ الْغَرْبِيُّ الْمَسِيحِيُّ مِنْهَا.



وَالدِّينُ وَالْعِلْمُ فِي مَفْهُومِ الْإِنْسَانِ الْغَرْبِيِّ مُتَضَادَّانِ مُتَعَارِضَانِ، فَمَا يَكُونُ دِينِيًّا لَا يَكُونُ عِلْمِيًّا، وَ مَا يَكُونُ عِلْمِيًّا لَا يَكُونُ دِينِيًّا، فَالْعِلْمُ وَالْعَقْلُ، يَقَعَانِ فِي مُقَابِلِ الدِّينِ، وَالْعِلْمَانِيَّةُ وَالْعَقْلَانِيَّةُ فِي الصَّفِّ الْمُضَادِّ لِلدِّينِ.



وجاء في كتاب "العلمانية وموقف الإسلام منها" ص/ ٣٣٥ " من هذا يتضح لنا أنه لا علاقة لكلمة العلمانية بالعلم وإنما علاقتها قائمة بالدين على أساس سلبي وهي نفى الدين عن مجالات الحياة: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية ...

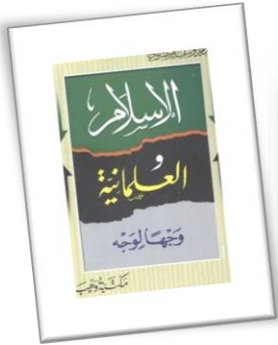
حقيقة العلمانية (اللا دينية):

جاء في المعجم الدولي الثالث الجديد العلمانية " اتّجاه في الحياة أو في أيّ شأن خاصّ يقوم على مبدأ أن الدين أو الاعتبار الدينية يجب ألاّ تتدخل في الحكومة "

وباختصار: هي دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين، وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم فهي إذن اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم والمذهب العلمي اهـ.

العلمانية ضد الدين:

يقول القرضاوي في كتابه " الإسلام والعلمانية " ص/ ٢٣ " إنّ العلمانية بمعيار الدين دعوة مرفوضة لأنها دعوة إلى حكم الجاهلية أي: إلى الحكم بما وضع الناس لا بما أنزل الله.



إنّها دعوة تتعالم على الله، وتستدرك على شرعه وحكمه، كأنّها تقول لله ربّ العالمين نحن أعلم بما يصلح لنا منك، والقوانين – التي أدخلها الغرب إلى ديارنا في عهد استعمارهم – أهدى سبيلاً من أحكام شريعتك! فماذا عسى أن يوصف من يقف هذا الموقف من ربه وشرعه؟



ويقول صاحب كتاب " العلمانية وموقف الإسلام منها " ص/ ٢٩٤ " الإسلام يرفض العلمانية رفضاً قاطعاً سواءً أكانت العلمانية بمعنى فصل الدين عن الحياة، أم بمعنى اللادينية لأنها دعوة ضد الإسلام.

- ١- فالعلمانيَّة من الجَانِبِ العَقْدِيِّ تَعْنِي التَّنَكُّرَ لِلدِّينِ وعدمَ الإيمانِ به، وتركَ العَمَلِ بأحكامِهِ وحُدُودِهِ، وهذا كُفْرٌ صَرِيحٌ.
- ٢- والعلمانيَّة من الجَانِبِ التَّشْرِيعِيِّ تَعْنِي فَصْلَ الدِّينِ عَنِ الدَّوْلَةِ، أو فَصْلَ الدِّينِ عَنِ الحَيَاةِ كُلِّهَا وهذا يَعْنِي الحُكْمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ.
- ٣- والعلمانيَّة من الجَانِبِ الأخْلَاقِيِّ تَعْنِي الانْفِلَاتَ والقُوْضَى فِي إِشَاعَةِ الفَاحِشَةِ والرَّذِيلَةِ والشُّذُوذِ والاستِهْوَاجِ بالدِّينِ والفضيلةِ وسُنَنِ الهُدَى، وهذا ضَلَالٌ مُبِينٌ وفَسَادٌ فِي الأَرْضِ.

ولكن لا يشعرون:



إنَّ العلمانيَّةَ - كَمَا أَسْلَفْنَا هِيَ دَعْوَةٌ لِنَتَحِيَّةِ الدِّينِ وفَصْلِهِ عَنِ الحَيَاةِ، وفي تَقْدِيرِنَا أَنَّ الخُطَبَاءَ الَّذِينَ يَقْصُرُونَ خُطْبَهُمْ عَلَى جَوَانِبٍ مُحدَّدةٍ مِنَ الدِّينِ كَبَعْضِ أَبْوَابِ العِبَادَاتِ وَالتَّزَكِيَةِ وَالسَّيْرِ ... تَارِكِينَ الحَدِيثَ - تَمَاماً - عَنِ فقهِ الدَّوْلَةِ - يُمارِسُونَ العلمانيَّةَ عَلَى مَنَابِرِهِمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.

فَعَلَى الخُطَبَاءِ- خُطَبَاءِ المَنَابِرِ وَالمَحَافِلِ - أَنْ يَبَيِّنُوا لِجُمْهُورِهِمْ أَنَّ السُّلْطَةَ التَّشْرِيعِيَّةَ وَ سَنَ القَوَانِينِ وَالتَّحْلِيلَ وَالتَّحْرِيمَ لَيْسَتْ لِلشَّعْبِ بَلْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا عَلَى الشَّعْبِ إِلَّا السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ.

وَعَلَى الخُطَبَاءِ أَنْ يُبَيِّنُوا لِجُمْهُورِهِمْ أَنَّ السُّلْطَةَ التَّنْفِيزِيَّةَ إِنَّمَا يَسْتَمْدُهَا الحَاكِمُ مِنَ الشَّعْبِ مِنْ خِلَالِ اخْتِيَارِهِمُ الحُرَّ لَهُ، وَالحَاكِمُ إِنَّمَا يَعْمَلُ لخدمَةِ شَعْبِهِ لَا لِجِلْدِ ظُهُورِهِمْ وَيَسْطَوْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَيَتَأَلَّهَ عَلَيْهِمْ، وَلَهُمْ ... بَلْ عَلَيْهِمْ حَقُّ مُسَاءَلَتِهِ وَمُحَاسَبَتِهِ بَلْ وَعِزُّهُ إِنْ اقْتَضَى الأَمْرُ ذَلِكَ.



وَعَلَى الخُطَبَاءِ -خُطَبَاءِ المَنَابِرِ وَالمَحَافِلِ- أَنْ يَبَيِّنُوا لِجُمْهُورِهِمْ أَنَّ السُّلْطَةَ القَضَائِيَّةَ يَنْبَغِي أَنْ تَفْصِلَ الخُصُومَاتِ بَيْنَ النَّاسِ وَتُحَقِّقَ العَدْلَ عَلَى ضَوْءِ الأحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ لَا القَوَانِينِ الوَضْعِيَّةِ.

وعلى الخطباء أن يبيّنوا أنّ الجيوش هدّفتها الدِّفاعُ عن الشَّعبِ ودينه أمامَ
عُدوانِ المُعتدّين ونشره خارِجَ أرضِه.

وعلى الخطباء أن يبيّنوا لجمهورهم أنّ السِّياسةَ الخارجيّةَ ينبغي أن تقومَ
على موالاةِ المؤمنين ونصرِهم، ومُعاداةِ الكافرين ومُنابدتهم ...

ولئن لم يتطرَّقِ الخطباءُ لهذه القضايا الكبرى فقلّ لي برّك لماذا يخطُبونَ
و فيمَ يتحدّثون؟

إنّ الجماهيرَ التي لم تسمعَ يوماً خطيباً يتطرَّقُ إلى تلكَ المواضعِ حتّى
باتت غريبةً عن مسمعه – صارَ عندها قابليّةٌ لفكرةِ العلمانيّةِ فالخطيبُ الذي
فصلَ الدِّينَ عن الدَّولةِ على منبره ،كيف يُنكرُ من يدعُو إلى فصلِ الدِّينِ عن
الدَّولةِ في الحياة؟!!

صِفَاتُ الْخَطِيبِ الْجَسَدِيَّةِ الْوَسَامَةُ – الْأَنَاقَةُ الْفَصَاحَةُ



٢٠- الخَطيْبُ بينَ الوَسامةِ و الأناقةِ

الوَسامةُ والأناقةُ:



إِنَّ الجَماهيرَ لتتقَعُ على الخَطيْبِ عيونُها، وتَرمِفُهُ وتُقلِّبُهُ بأبصارِها، قبلَ أن يقرَعَ هو بِخطابِه وكلامِه أَسماعَها.

ولرُبِّما حَكَمَت له أو عليه من خلالِ صُورَتِه ومَلابِسِه قبلَ أن تَحْكُمَ له أو عليه من خلالِ خطابِه وكلامِه.

فإن كانَ الخَطيْبُ وسيمَ الصُّورةِ، مُتأنِّقاً في مَلابِسِه، خالَت الجَماهيرُ أَنَّ خطابَه كصُورَتِه وأن علمه كِلباسِه فحَكَمَت له ولَمَّا يَنبِسُ بِنَتِ شَفَةِ.

وإن كانَ دَميمَ المنظرِ، أو مُتَهاوناً في مَلابِسِه خالَت أيضاً أَنَّ أفكارَه وخطابَه كصُورَتِه البَشِيعَةِ أو مَلابِسِه الشَّعِثَةِ فحَكَمَت عليه، ولرُبِّما انصَرَفَت عنه قبلَ أن يتكَلَّمَ!

من أجلِ ذلكَ صَوَّرَ اللهُ أنبياءَه ومُرسلِيه على أجملِ صورةٍ، وأحلى شَكلٍ، وما جمالُ يوسُفَ بِسرٍّ.

• روى الخَرائِطِيُّ عن عَلِيٍّ أَنَّهُ قالَ:

" ما بعثَ اللهُ من نبيٍّ إلَّا صَبِيحَ الوَجهِ، كَرِيمَ الحَسَبِ، حَسَنَ الصَّوْتِ "

هذا وقد أَتَحَفَّنَا الجَاحِظُ في بَيانِه بما يُؤكِّدُ هذا، قالَ: ومن هذا:

١- أَنَّ النُّعْمانَ بنَ المُنذِرِ نَظَرَ إلى ضَمْرَةٍ بنِ ضَمْرَةٍ، فلَمَّا رَأى دَمامَتَه و قِلَتَه قالَ: تَسْمَعُ بالمُعِيدِي لا أَن تَراه.

فقالَ ضَمْرَةُ: أَبيتَ اللَّعْنَ، إِنَّ الرِّجالَ لا تُكَالُ بالقُفْزانِ، وإِنما المَرءُ بِأصْغَرِيه: قَلْبِه ولسانِه.

قالَ الجَاحِظُ: وكانَ ضَمْرَةُ خَطيْباً وشاعِراً.



٢- أَنَّ الرَّمَقَ بْنَ زَيْدٍ كَانَ قَدْ مَدَحَ أَبَا جُبَيْلَةَ الْعَسَّانِي، وَكَانَ الرَّمَقُ دَمِيمًا قَصِيرًا، فَلَمَّا أَنْشَدَهُ وَحَاوَرَهُ قَالَ فِي حَقِّهِ: عَسَلُ طَيِّبٍ فِي ظَرْفٍ (وعاء) سُوءٍ.

لا غنى عن الأناقة لكل خطيب:



إذا كَانَ الْخَطِيبُ- خطيبُ المنابرِ والمُحَافِلِ -مِمَّنْ قَدْ أُوتِيَ نَصِيبًا مِنْ حُسْنِ الشَّكْلِ، وَحَلَاوَةِ الْمَنْظَرِ، بِأَنْ أُوتِيَ وَجْهًا صَبِيحًا، وَجِسْمًا صَحِيحًا، طَالَتْ قَامَتُهُ وَامْتَدَّتْ، وَكَانَ مُتَنَاسِبَ الْأَعْضَاءِ وَمُتَسِقَهَا ...

إذا كَانَ كَذَلِكَ فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَبَدًا أَنْ يَتَهَاوَنَ فِي أَمْرِ مَلَابِسِهِ وَأَنَاقَتِهِ مُتَكِلًا عَلَى وَسَامَتِهِ وَصَبَاحَتِهِ فَإِنَّ لِلْمَلَابِسِ سِرًّا وَسِحْرًا.

وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنِ الْخَطِيبُ مِمَّنْ قَدْ أُوتِيَ الْوَسَامَةُ وَالصَّبَاحَةُ فَعَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَ عَنَاقَةً وَاهْتِمَامًا بِمَلَابِسِهِ وَأَنَاقَتِهِ، فَفِي الْأَنَاقَةِ مَا يُعَوِّضُ عَمَّا فَاتَ مِنَ الْوَسَامَةِ، وَرُبَّ خَطِيبٍ أَنْيَقٍ مُتَأَنِّقٍ غَلَبَ خَطِيبًا وَسِيمًا صَبِيحًا غَيْرَ مُتَأَنِّقٍ!

سحرُ المَلَابِسِ وسرُّها:

يقولُ كَارْنَجِي فِي كِتَابِهِ " فَنُّ الْخَطَابَةِ " ص / ٩٦ :



أَرْسَلَ سُؤَالَ إِلَى مَجْمُوعَةٍ كُبْرَى مِنَ النَّاسِ مِنْ قَبْلِ عَالِمِ نَفْسِيٍّ وَرَئِيسِ جَامِعَةٍ يَتَسَاءَلُ عَنِ التَّأثيرِ الَّذِي تَتْرُكُهُ الْمَلَابِسُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَأَجْمَعَ كُلُّ الْأَفْرَادِ أَنَّهم عِنْدَمَا يَكُونُونَ بِمَظْهَرٍ لَائِقٍ وَأَنْيَقٍ، يَشْعُرُونَ بِتَأثيرِ ذَلِكَ، وَمِنْ الصَّعْبِ شَرْحُ ذَلِكَ الشُّعُورِ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُحَدَّدٍ رَغْمَ كَوْنِهِ حَقِيقِيًّا، فَقَدْ مَنَحَهُمُ الثِّقَةَ بِالنَّفْسِ، وَرَفَعَ مِنْ تَقْدِيرِهِمُ الدَّائِي، هَذَا هُوَ تَأثيرُ الْمَلَابِسِ عَلَى مَنْ يَرْتَدِيهَا.

ولكن ما هو تأثيرها على المستمع؟



يقول الرجل: لاحظتُ مراراً أنَّ الخطيبَ إذا كان رجلاً ذا
سِرْوالٍ فضفاضٍ، ومِعْطَفٍ تَعَوَّزُهُ الأَنَاقَةُ، وحذاءٍ مُهْتَريٍّ ...
لاحظتُ أنَّ الجُمهورَ يَكُنُّ احْتِراماً ضَئيلاً لهذا الإنسان ...
أليسَ مِنَ المُحتمَلِ الافتِراضُ أنَّ الدِّهْنَ مُتَارجِحٌ كالشَّعْرِ المُشعَثِ
والحِذاءِ المُتَسَخِّ؟

ويَضْرِبُ الكَاتِبُ الأَمْرِيكِيُّ على ذلكِ مِثَالَيْنِ:



١- عِنْدَمَا وَصَلَ الجَنرالُ (لي) إلى ساحةِ
(أبوماتوكس) لِتَسْلِيمِ جَيْشِهِ، كانَ يَرتَدِي
مَلابِسَ فَاخِرَةً أَنيقَةً، وَيَتَدَلَّى مِنْ جَانِبِهِ سَيفٌ
ضَخْمٌ ثَمِينٌ إِلَّا أَنَّ (غرانت) لم يَكُنْ يَرتَدِي
مِعْطَفاً ولا يَحْمِلُ سَيفاً بَلْ كانَ يَرتَدِي
قَمِيصاً وَسِرْوالاً عَادِيّاً، فَكَتَبَ في مُذَكِّراتِهِ
يقولُ:

" لا بدَّ أَنِّي كُنْتُ مُعاكِساً تَماماً أَمامَ رَجُلٍ أَنيقٍ في تِلْكَ المُناسِبَةِ

التَّاريخِيَّةِ جَعَلَنِي أَندَمُ أَكثَرَ مِمَّا نَدِمْتُ على أَيِّ شَيءٍ في حَياتي ".



٢- إِنَّ لَدَى دائِرَةِ الزَّراعةِ في واشِنْطُن مِئاتٍ
مِن قُفَرانِ النَّحْلِ مُوزَّعةٍ في مَزارِعِ
التَّجَارِبِ، وَقَدْ رُكِّزَ على كُلِّ قَفِيرٍ رُجاجٌ
مُكَبِّرٌ، بِالإِضافةِ إلى تَزويدِهِ بالضَّوءِ
الكَهْرَبائيِّ حَيْثُ يَتِمَكَّنُ المَرءُ مِنْ أَنْ يُراقِبَ
النَّحْلَ عَن كُتَبٍ في آيَةِ لَحْظَةٍ، وَالخَطيبُ
يُشَبَّهُ ذلِكَ القَفِيرِ، فَهو تَحْتَ رُجاجِ مُكَبِّرٍ،

والأضواءُ مُسلَّطَةٌ عَلَيهِ، وَكُلُّ خَطَأٍ يَبْدُو في مَظهِرِهِ الخَارِجِيِّ يَبْرُزُ
بوضوحٍ مِثْلما تَبْرُزُ قِمَّةُ جَبَلٍ شامخٍ مِنَ السُّهُولِ.

من ثرائنا:

ذاك من ثرائهم ومن ثرائنا نذكر ما ذكره الجاحظ في بيانه
(٦٧ / ١) يقول:

إنَّ إياسَ بنَ معاويةَ أتى حلقةً من حلقِ قُريشٍ في مسجدِ دمشقَ
فاستولى على المجلس، فلما رآوه أحمرَ دميماً بأدَّ الهيئةِ قشيفاً
استهانوا به، فلما عرفوه اعتذروا إليه وقالوا: " الذَّنْبُ مَقْسُومٌ
بيننا وبينك، أتيتنا في زيِّ المساكينِ تكلمنا بكلامِ الملوكِ " .



حذار من السمنة والبدانة!



زارني يوماً أحدُ الخطباءِ المعروفينَ وهو
أستاذٌ لي أحبه وأجلُّه، وكنا قد التقينا بعدَ طولِ
فراقٍ، فرأيتُه وملابسه تكادُ تتمزِّقُ من فرطِ بدانتهِ
وسمينه، وكان إذا ما قعدَ لا يقومُ! إلَّا بمن يُعينه
على القيامِ، وإذا مشى قليلاً تتابعَ نفسه وأصابه
الإعياءُ وهو بعدُ لم يبلغِ الخمسينَ من عُمره؟

إنَّ على الدُّعاةِ عموماً والخطباءِ منهم خصوصاً أن يهتمُّوا – بعدَ أناقتهم
ونظافتهم – برِشاقةِ أبدانهم، وأن يحذروا من السمنةِ والبدانةِ التي صارت
مع الأسفِ السِّمةَ الغالبةَ لأهلِ العلمِ، وموضعَ تنذُرِ النَّاسِ عليهم، وسبيلُ ذلك
– كما فعلتهُ كلما ازدادَ وزني بسببِ الدِّراسةِ لا الجلوسِ على موائدِ النَّاسِ
– أن يُمارسُوا الرِّياضةَ، ولا أقلَّ من المشي في الشِّتاءِ، ومن السِّباحةِ في
الصَّيفِ، ولا يُخدعوا عن الرِّمايةِ فنحنُ أمَّةٌ كتبَ اللهُ عليها الجهادَ إلى يومِ
القيامةِ.



نقلَ صاحبُ مُحاضراتِ الأدباءِ (٣١٢ / ٢) عن عُمرَ أَنَّهُ نظرَ إلى
رَجُلٍ بادنٍ فقالَ: ما هذا؟

فقالَ الرَّجُلُ البادنُ: بركةٌ من الله!

فقالَ عُمرُ: بَلْ سَخَطُهُ

ثُمَّ قالَ: إِيَّاكُمْ والبِطْنَةُ فَإِنَّهَا ثِقَلٌ في الحياةِ ،وَنَتْنٌ في المَماتِ.



٢١- هو أفصح مني لساناً

مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ:



لقد اختار الله كليمه موسى - عليه السلام - ليواجهة الطاغية الجبار، والمتأله المكار، فرعون.

ولقد علم موسى - لسابق معرفته به إذ قد نشأ في قصره - أنه أمام مهمة صعبة، تتطلب مؤهلات خاصة منها فصاحة اللسان فلذا توجه إلى خالقه بهذا الدعاء الحار الذي أظهر فيه ضعفه وما يعانيه لسانه

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا * قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ [طه: ٢٥ - ٣٦]



وقد علّق الجاحظ في بيانه (١ / ١٩) على دعاء موسى فقال " وسأل الله موسى حين بعثه إلى فرعون بإبلاغ رسالته، والإبانة عن حجته، والإفصاح عن أدلته فقال حين ذكر العقدة التي كانت في لسانه، والحُبسة التي كانت في بيانه **﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾** ... رغبة منه في غاية الإفصاح بالحجة، والمبالغة في وضوح الدلالة لتكون الأعناق إليه أسرع.

ما هي الفصاحة؟



تعود هذه الكلمة إلى الجذر الثلاثي (فَصَحَ) يقول صاحب المقاييس (م/ فَصَحَ) هو أصل يدل على خلوص شيء، ونقائه من الشوب قال: ومن ذلك اللسان الفصيح: الطليق



ويقول الزَّمَخْشَرِي في أساسِ البلاغة: و فَصَحَ: انطلقَ لسانه،
وخلُصَتْ لُغَتُهُ من اللُّكْنَةِ

وقالَ صاحبُ الصِّحاحِ (م/ لِكِنْ) اللُّكْنَةُ: عُجْمَةٌ في اللِّسانِ
وعِيٌّ.

أقولُ: فالَّذي يُفهمُ من كلامِ أهلِ اللُّغةِ أَنَّ الفَصاحَةَ مُرتبطةٌ باللسانِ الَّذي هو
جُزءٌ أساسيٌّ من الجِهازِ النُّطْقِيِّ عندَ الإنسانِ، فالْفَصاحَةُ إِذنَ صِفَةٌ أو مَلَكَةٌ
في المُتَكَلِّمِ يَتِمَكَّنُ من خلالها من الكلامِ بوضوحٍ، ويُقالُ عن كلامِهِ إِنَّه ظاهِرٌ
وبَيِّنٌ.

ويُحَقِّقُ له ذلكَ أمران:

١- الأَوَّلُ: ويعودُ إلى المُتَكَلِّمِ نفسِهِ، وهو سَلَامَةُ جِهازِهِ النُّطْقِيِّ من العُيوبِ
النُّطْقِيَّةِ.

٢- الثَّانِي: ويعودُ إلى الكلامِ نفسِهِ وهو سَلَامَتُهُ من التَّنَافُرِ على مُستوى:

أ: الكَلِماتِ مِثْلُ: مُسْتَشْزِرات

ب: والتَّراكيبِ : كالبيتِ المشهورِ

وقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ وليسَ قُربَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ

حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُم نَسَبَهُ إلى الجَانِّ.

الْعُيُوبُ النُّطْقِيَّةُ وَأَثَرُهَا على فَصاحَةِ الخَطِيبِ:

إِنَّ العُيُوبَ النُّطْقِيَّةَ الَّتِي قد يُبتلى بها الخَطِيبُ - وغيرُهُ - مُتَعَدِّدَةٌ
ومتنوّعةٌ، وذاتُ مَنشأٍ مُخْتَلِفٍ... وأبرزُها ما يلي:

اللُّكْنَةُ

الحذفُ

التَّكرارُ

اللُّثْغَةُ

١- **اللُّثْغَةُ**: وتعني باختصارٍ إحلالَ أو إبدالَ حرفٍ مكانَ حرفٍ آخرَ.

قالَ صاحبُ الصِّحاحِ (م/ لثَغ) اللُّثْغَةُ في اللِّسانِ هو أن يُصَيِّرَ الرَّاءَ غَيْنًا، أو لامًا، والسِّينَ ثاءً، وقد لثَغَ - بالكسر - يَلْثَغُ - بالفتح، فهو أَلْثَغٌ، وامرأةٌ لثْغاءٌ.

هذا ويُقسَّمُ الجاحِظُ اللُّثْغَةُ إلى نوعينِ اثنين:

الأوَّلُ: إحلالُ حرفٍ مكانَ حرفٍ من حروفِ اللُّغَةِ نفسِها مثل: النُّطْقُ بالثَّاءِ بدلاً من السِّينِ.

الثَّاني: إحلالُ حرفٍ مكانَ حرفٍ ليس من حُرُوفِ اللُّغَةِ، وهذا يُدْرِكُ بالسَّماعِ ولا حَصَرَ له.

• النُّوعُ الأوَّلُ من أنواعِ اللُّثْغَةِ:

يقولُ الجاحِظُ في بَيانِهِ (٣٢ / ١) الحروفُ الَّتِي تَدْخُلُها اللُّثْغَةُ (الإبدالُ) أربعةٌ: السِّينُ، والقافُ، واللامُ، والراءُ.

فاللُّثْغَةُ الَّتِي تَقَعُ في السِّينِ تكونُ بتحويلِها إلى ثاءٍ كقولِ الأَلْثَغِ (بِاثِمِ اللَّهِ) بدلاً من (باسِمِ اللَّهِ)، وكقولِهِ (أبو يَكْثوم) بدلاً من (أبو يَكسوم).

واللُّثْغَةُ الَّتِي تَقَعُ في القافِ تكونُ بتحويلِها إلى طاءٍ كقولِ الأَلْثَغِ: (طُلْتُ له) بدلاً من (قُلْتُ له).

واللُّثْغَةُ الَّتِي تَقَعُ في اللامِ تكونُ بجعلِها ياءً مثلَ (اعتَيَّيْتُ) بدلاً من (اعتَلَّيْتُ)

واللُّثْغَةُ الَّتِي تَقَعُ في الرَّاءِ تكونُ بجعلِها غَيْنًا مثلَ (عَمَغَ) بدلاً من (عَمَرُو)

أو بجعلِها ياءً مثلَ (عَمِي) بدلاً من (عَمَرُو)

أو بجعلِها ظاءً مثلَ (عَمِظَ) بدلاً من (عَمَرُو)

أو بجعلِها ذالاً مثلَ (عَمِذَ) بدلاً من (عَمَرُو)

وتابعَ الجاحِظُ مُوازِناً فقالَ: و اللُّثْغَةُ الَّتِي تُصِيبُ الرَّاءَ إذا كانتَ بالياءِ فهي أَحقرُهنَّ وأوضَعُهنَّ لِذِي المُرُوءَةِ ثُمَّ الَّتِي على الظَّاءِ ثُمَّ الَّتِي على الدَّالِّ.



فَأَمَّا الَّتِي عَلَى الْعَيْنِ فَهِيَ أَيْسَرُهُنَّ وَأَقْلَهُنَّ قُبْحاً وَتَجْدُّهَا فِي ذِي الشَّرَفِ وَكِبَارِ
النَّاسِ وَبُلْعَائِهِمْ وَأَشْرَافِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ.

وَلِلَّهِ دَرُّ الْجَاحِظِ فَقَدْ صَنَّفَ اللَّثَغَةَ حَسَبَ مِقْيَاسِ اجْتِمَاعِيٍّ أَيْ حَسَبَ مَدَارِجِ
الْوَجَاهَةِ (الْخَاصَّةِ) وَالْوَضَاعَةِ (الْعَامَّةِ).

• النَّوعُ الثَّانِي مِنْ أَنْوَاعِ اللَّثَغَةِ:

وهي إبدالُ حَرْفٍ مِنَ الْكَلِمَةِ بِصَوْتٍ لَيْسَ مِنْ حُرُوفِ اللَّغَةِ أَصْلًا، وَيُسَمَّىهِ
الْمُعَاصِرُونَ " التَّشْوِيهِ "

وَمَثَلٌ لَهُ الْجَاحِظُ بِحَرْفِ الشَّيْنِ فَقَالَ (٣٢ / ١) فَأَمَّا اللَّثَغَةُ الَّتِي
هِيَ عَلَى الشَّيْنِ الْمُعْجَمِيَّةُ فَذَلِكَ شَيْءٌ لَا يُصَوِّرُهُ الْخَطُّ لِأَنَّهُ لَيْسَ
مِنَ الْحُرُوفِ الْمَعْرُوفَةِ وَإِنَّمَا هُوَ مَخْرُجٌ مِنَ الْمَخَارِجِ، وَالْمَخَارِجُ
لَا تُحْصَى وَلَا يُوقَفُ عَلَيْهَا.



٢- التَّكَرُّارُ: وَنَقَلَ الْجَاحِظُ (٣٥ / ١) عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَوْلَهُ: إِذَا تَتَعَتَعَ اللِّسَانُ
فِي التَّاءِ فَهُوَ تَمْتَامٌ، وَإِذَا تَتَعَتَعَ فِي الْفَاءِ فَهُوَ فَأْفَاءٌ.

وَقَالَ صَاحِبُ اللِّسَانِ (م/ تَمْتَمَ) قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ: التَّمْتَمَةُ هِيَ التَّرْدِيدُ
فِي التَّاءِ، وَالْفَأْفَاءُ: التَّرْدِيدُ فِي الْفَاءِ.



وَقَالَ صَاحِبُ الصِّحَاحِ (م/ فَأْفَأَ) رَجُلٌ فَأْفَاءٌ وَفِيهِ فَأْفَاءَةٌ وَهُوَ الَّذِي
يَتَرَدَّدُ فِي الْفَاءِ إِذَا تَكَلَّمَ.



٣- الحذف: ونعني به الإطاحة ببعض حروف الكلمة إما بعدم ذكرها وإما بإدخال بعضها ببعض.



قال الجاحظ (٣٥ / ١) وقال أبو عبيدة: إذا أدخل الرجل بعض كلامه في بعض فهو ألف، وقيل بلسانه لف.

وغالباً ما يحدث هذا عند السرعة في الكلام كما كان عليه أحد المشايخ المشهورين في أرض الحجاز، أو عندما يكون على غضب كما حدث مع نبي الله موسى وقد عافاه الله منه، وكثيراً ما يقع هذا الأمر من الخطباء عند الصلاة على رسول الله ﷺ حيث يلفظونها بسرعة تطيح ببعض حروفها، أو تدخل بعض حروفها في بعض.

وأذكر أن أحدهم كان يلقي على جمهوره محاضرة عن فضل الصلاة على رسول الله ﷺ، وكان كلما ذكره صلى عليه، صلى عليه على تلك الطريقة!

وحضرت ذات مرة - حفلاً قُدم فيه شاب للكلام فكان إذا ما صلى على الرسول الأعظم ﷺ صلى عليه بتلك الطريقة المنكرة فلفت انتباهه إلى هذا الأمر، والله من قبل ومن بعد الأمر.



٤- اللكنة: قال الجاحظ (٣٢ / ١) ويقال في لسانه لكنة إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب، وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول.

ويُفهم من الجاحظ أن اللكنة تُصيب الخطباء من غير العرب إذا خطبوا باللغة العربية.

مَوْقِفُ الْخَطِيبِ تَجَاهَ أَزْمَةِ الْغُيُوبِ النُّطْقِيَّةِ:

إذا كَانَ الْخَطِيبُ مُبْتَلًى بِعَيْبٍ مِنَ الْغُيُوبِ النُّطْقِيَّةِ فَهُوَ أَمَامَ الْإِحْتِمَالَاتِ التَّالِيَةِ:

١- إذا أَمَكَنَ أَنْ يُعَالِجَ الْخَطِيبُ عَيْبَهُ فَعَلَيْهِ أَنْ يُعَالِجَهُ وَيَتَخَلَّصَ مِنْهُ بِالدَّرْبَةِ وَلَا بِأَسَاسٍ بِالِاسْتِعَانَةِ بِأَهْلِ الْإِخْتِصَاصِ.



يَقُولُ الْجَا حَظُّ فِي بَيَانِهِ (٣٤ / ١) وَيُقَالُ إِنَّ صَاحِبَهَا (يَعْنِي الْأَثَغَ بِقَلْبِ الرَّاءِ غِينًا) لَوْ جَهَدَ نَفْسَهُ جُهِدَهُ، وَأَخَذَ لِسَانَهُ، وَتَكَلَّفَ مَخْرَجَ الرَّاءِ عَلَى حَقِّهَا وَالْإِفْصَاحَ بِهَا، لَمْ يَكُنْ بَعِيدًا أَنْ تُجِيبَهُ الطَّبِيعَةُ، وَيُؤَثِّرَ فِيهَا ذَلِكَ التَّعَهُدُ أَثَرًا حَسَنًا.

وَقَدْ كَانَتْ لُتْغَةُ مُحَمَّدِ بْنِ شُعَيْبٍ الْمُتَكَلِّمِ بِالْغَيْنِ، وَكَانَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقُولَ: عُمُرُ و لَعْمَرِي وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ عَلَى الصِّحَّةِ قَالَهُ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَسْتَنْقِلُ التَّكَلُّفَ وَالتَّهْيُؤَ لِذَلِكَ قَالَ الْجَا حَظُّ فَقُلْتُ لَهُ: إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَانِعُ إِلَّا هَذَا الْقَدْرُ فَلَسْتُ أَشْكُ أَنَّكَ لَوْ احْتَمَلْتَ هَذَا التَّكَلُّفَ وَالتَّتَبُّعَ شَهْرًا وَاحِدًا أَنْ لِسَانَكَ كَانَ يَسْتَقِيمُ.

٢- إذا لَمْ يُمْكِنَ لِلْخَطِيبِ أَنْ يُعَالِجَ نَفْسَهُ مِنْ عَيْبِهِ النُّطْقِيِّ فَعَلَيْهِ بِالْحِيلَةِ فِي ذَلِكَ، وَأَعْنِي بِذَلِكَ أَنْ يَتَجَنَّبَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي فِيهَا حُرُوفٌ مِنَ الْحُرُوفِ الَّتِي يَلْتَفُّ بِهَا وَلَيْسَ هَذَا الْأَمْرُ هِينًا.

نَمُودَجٌ لَا يَكَادُ يَتَكَرَّرُ:



يَقُولُ الْجَا حَظُّ فِي بَيَانِهِ (٢٣ / ١) وَلَمَّا عَلِمَ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ^١ أَنَّهُ أَلْتَفَّ فَاحِشُ اللَّتْفِ، وَأَنَّ مَخْرَجَ ذَلِكَ مِنْهُ شَنِيعٌ وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ دَاعِيَةً مَقَالَةً، وَرئيسَ نَحْلَةٍ، وَأَنَّهُ يَرِيدُ الْإِحْتِجَاجَ عَلَى أَرْبَابِ النَّحْلِ، وَرُؤَسَاءِ الْمَلَلِ، وَأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ مُقَارَعَةِ الْأَبْطَالِ، وَمِنْ الْخُطْبِ الطُّوَالِ، وَأَنَّ الْبَيَانَ يَحْتَاجُ إِلَى تَمْيِيزٍ وَسِيَاسَةٍ، وَإِلَى تَرْتِيبٍ

^١ - هو واصل بن عطاء الغزال (٨٠ - ١٣١ هـ) أبو حذيفة من موالى ضبة أو بني مخزوم رأس المعتزلة ومن أئمة البلغاء والمتكلمين ... ولد بالمدينة ونشأ بالبصرة، وكان يلتف بالراء فيجعلها غينًا فتجنب الراء في خطابه، وضرب به المثل في ذلك ... انظر "الأعلام" ٨ / ١٠٧ - ١٠٩.

ورياضية، وإلى تمام الأدلة، وإحكام الصنعة، وإلى سهولة المخرج، وجهارة المنطق، وتكميل الحروف، وإقامة الوزن

وأن حاجة المنطق إلى الطلاوة والحلاوة كحاجته إلى الجلالة والفخامة، وأن ذلك من أكبر ما تستمال به القلوب، وتنثني إليه الأعناق، وتزین به المعاني ...

رام أبو حذيفة إسقاط الراء من كلامه، وإخراجها من حروف منطق فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه، ويأضله ويساجله، ويتأنى لستره والراحة من هجنته، حتى انتظم له ما حاول، واتسق له ما أمل.

ونقل الجاحظ ما قاله الشاعر في واصل:

وَيَجْعَلُ الْبِرَّ قَمَحًا فِي تَصْرِفِهِ وَجَانِبَ الرَّاءِ حَتَّى احْتَالَ لِلشَّعْرِ
وَلَمْ يُطِقْ مَطَرًا وَالْقَوْلُ يَعْجَلُهُ فَعَادَ بِالْغَيْثِ إِشْفَاقًا مِنَ الْمَطَرِ

٣- إذا لم يمكن للخطيب أن يعالج نفسه، ولم يحتل لها فإن كانت ألغته مُحتملة فلا بأس، وإن كانت فاجشة فلا يصلح أن يكون خطيباً كما ضعيف البصر لا يصلح أن يقود سيارة.

فعليه أن يعتزل المنبر.

العيوب النطقية عند كبار السن لا دواء لها:

يقول الجاحظ (١/ ٥٢) والذي يعتري اللسان مما يمنع من البيان أمور منها اللثغة التي تعتري الصبيان إلى أن ينشؤوا، وهو خلاف ما يعتري الشيخ الهرم المسترخي الحنك المرتفع اللثة ...



صِفَاتُ الْخَطِيبِ النَّفْسِيَّةِ

الإِخْلَاصُ – الثِّقَّةُ بِالنَّفْسِ – الاعْتِرَافُ بِالْخَطَا
الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ – الاحْتِرَامُ – سُرْعَةُ الْبَدِیْهِةِ
الصِّدْقُ



٢٢- إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ

إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ:

- رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ وَالنُّذُورِ عَنْ
عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (٦٦٨٩) أَنَّهُ قَالَ:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ " إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ
مَا نَوَى

فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَتَرَوَّجُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى
مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ "

- وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الْجِهَادِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ
(٢٨١٠) أَنَّهُ قَالَ:

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ
لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانَهُ فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟
قَالَ: مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

يَقُولُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِهِ لِلْحَدِيثِ الْأَوَّلِ (٣٨٧ / ٦)
أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى عِظَمِ مَوْقِعِ هَذَا الْحَدِيثِ
وَكثْرَةِ فَوَائِدِهِ وَصِحَّتِهِ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ وَآخَرُونَ: هُوَ ثُلُثُ الْإِسْلَامِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ رُبُعُ الْإِسْلَامِ.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ وَغَيْرُهُ: يَنْبَغِي لِمَنْ صَنَّفَ كِتَابًا أَنْ يَبْدَأَ
فِيهِ بِهَذَا الْحَدِيثِ تَنْبِيهًا لِلطَّالِبِ (وَأَقُولُ: كَذَلِكَ الْخَطِيبُ) عَلَى تَصْحِيحِ
النِّيَّةِ ...



لماذا؟ 🤔

يَتَحَتَّمُ عَلَى الْخَطِيبِ -خَطِيبِ الْمَنَابِرِ وَالْمَحَافِلِ- أَنْ يَطْرَحَ عَلَى نَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يَعْلُو دَرَجَاتِ مَنبَرِهِ مَحَلِّقاً فَوْقَ رُؤُوسِ النَّاسِ، وَقَبْلَ أَنْ يَتَصَدَّرَ الْمَحَافِلَ مُتَكَلِّماً بَيْنَ جُمُوعِ النَّاسِ، عَلَيْهِ أَنْ يُكَاشِفَ نَفْسَهُ بِهَذِهِ الْأَسْئَلَةِ:

- ١- هَلْ وَقَفَ لِنُصْرَةِ الْحَقِّ أَمْ لِنُصْرَةِ الْبَاطِلِ؟
 - ٢- هَلْ لِنَفْسِهِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ نَصِيبٌ فِي مَقَامِهِ هَذَا أَمْ لَا؟
- فَإِنْ قَامَ لِنُصْرَةِ الْحَقِّ، ابْتِغَاءً وَجْهِ اللَّهِ فَلْيَتَكَلَّمْ مُتَوَكِّلاً عَلَى اللَّهِ وَاثِقاً بِمَدَدِهِ، وَبِأَنَّ اللَّهَ سَيَنْفَعُ بِهِ وَإِلَّا:

- ١- فَإِنْ قَامَ لِنُصْرَةِ الْبَاطِلِ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ قَطْعَ رَقَبَتِهِ أَهْوَنُ مِنْ ذَلِكَ.
- ٢- وَإِنْ قَامَ لِنُصْرَةِ الْحَقِّ وَلَكِنْ كَانَ لِنَفْسِهِ نَصِيبٌ فِي مَوْقِفِهِ ذَلِكَ فَلْيُحَرِّرِ النَّيَّةَ، وَلْيَجْعَلْ هَذَا الْحَدِيثَ نُصْبَ عَيْنِيهِ.



- رَوَى مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْإِمَارَةِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (١٩٠٥) أَنَّهُ قَالَ:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

" إِنْ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأَتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا "

فَقَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟

قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ

قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا

فَقَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟

قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ.

قال: كَذِبَتْ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ
فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ... الحديث



• وفي رواية الترمذي (٢٣٨٢) أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ لِأَبِي
هُرَيْرَةَ

"يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ"

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

الدَّفْعُ وَالتَّدْفَعُ:

قَلَّ حَفْلٌ إِلَّا وَفِيهِ لَفِيفٌ مِنَ الْخُطْبَاءِ كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُقَدَّمَ لِلْكَلامِ دُونَ
غَيْرِهِ، وَمَنْ قُدِّمَ يَرْجُو أَلَّا يُقَدَّمَ سِوَاهُ، أَوْ يَكُونَ هُوَ الْمُتَقَدِّمَ عَلَى مَنْ سِوَاهُ!
وَلَوْ عَلِمُوا مَا وَرَاءَ الْكَلَامِ لَدَفَعَهُ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى غَيْرِهِ وَلَمَّا تَدَفَعُوا عَلَيْهِ.
وَإِنَّ الْأَوَّلَى بِالْكَلامِ مَنْ إِذَا تَكَلَّمَ نَفَعَ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ فَلْيُقَدِّمَ وَإِنْ اتَّسَعَ الْوَقْتُ
قُدِّمَ غَيْرُهُ عَلَى الْوَصْفِ الَّذِي ذَكَرْنَا.

٢٣ - الثِّقَةُ بالنَّفْسِ

الإِخْلَاصُ والثِّقَةُ جَنَاحَا الخَطِيبِ:



إِنَّ الإِخْلَاصَ لِلَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ، والثِّقَةَ بالنَّفْسِ
هُمَا الجَنَاحَانِ اللَّذَانِ يُحَلِّقُ بِهِمَا الخَطِيبُ فِي عَالَمِ
الخَطَابَةِ فيَغْدُو رَجُلًا مِنْ رَجَالِهَا، وَنَجْمًا مِنْ
نُجُومِهَا، وَعَلَمًا مِنْ أَعْلَامِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيَنَالُ
أَجْرَهَا فِي الآخِرَةِ.

صِنَاعَةُ الثِّقَةِ!



إِنَّ الثِّقَةَ لَيْسَتْ كَشَعْرِ الرَّأْسِ يَنْبُتُ لِوَحْدِهِ، بَلْ هِيَ صِنَاعَةٌ
يُمْكِنُ اكْتِسَابُهَا، وَمَهَارَةٌ يُمْكِنُ الْحُصُولُ عَلَيْهَا وَكَأَنِّي بِالقَارِئِ
يَقُولُ: بِاللَّهِ عَلَيْكَ وَكَيْفَ لِي إِذَا مَا عَلَوْتُ مِنْبَرًا، أَوْ قُدِّمْتُ لِلْكَلامِ
فِي مَحْفَلٍ أَلَّا يَتَسَارَعَ نَبْضُ قَلْبِي، وَأَلَّا تَصْتَكَّ رُكْبَتَايَ، وَأَلَّا أَنْسَى
مَا أَعَدَدْتُهُ مِنْ قَوْلٍ، وَأَلَّا تَتَبَدَّدَ أَفْكَارِي ... كَيْفَ؟

وَصْفَةُ سِحْرِيَّةٍ لَصِنَاعَةِ الثِّقَةِ:

قد ذكرَ أَهْلُ التَّجَرِبَةِ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءٍ ضَرُورِيَّةٍ لَصِنَاعَةِ الثِّقَةِ:

أَوَّلًا - اعْرِفْ تَمَامًا مَا الَّذِي سَتَتَحَدَّثُ عَنْهُ.

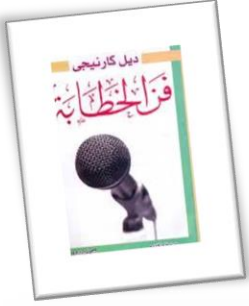
ثَانِيًا - تَصَرَّفْ بِثِقَةٍ.

ثَالِثًا - تَدَرَّبْ تَدَرَّبْ تَدَرَّبْ.

اعرف تماماً ما الذي ستحدثُ عنه:



إنَّ الخطوةَ الأولى في طريقِ صناعةِ الثقةِ هو أن تُقبِلَ على الكلامِ من فوقِ منبرِكَ، أو في صدرِ محفَلِك وأنتَ تعي تماماً ما الذي تُريدُ أن تُخاطِبَ به جُمهورَكَ.



يقول ديل كارنيجي في كتابه الفذُّ " فنُّ الخطابة " ص / ١٩ " لا يستطيعُ الإنسانُ أن يشعرَ بالارتياحِ حينَ يواجهُ مُستمعيه إلا بعدَ أن يفكّرَ مليّاً، ويُخطِطَ حديثه ويَعرِفَ ما الذي سيقوله لأنّه إن لم يفعلْ ذلكَ فإنّه سيكونُ كالأعمى الذي يَقدُ أعمى.



وينقلُ كارنيجي عن روزفلت قوله في مُذكراته " انتُخبْتُ إلى المجلسِ التشريعيِّ في خريفِ (١٨٨١) م، وقد وَجَدْتُ نفسي أصغرَ رجلٍ في المجلسِ، ومثَل سائرِ الشَّبَّانِ والأعضاءِ غيرِ المُتمرسين ، وَجَدْتُ صُعوبةً بالغةً في تعلُّمِ الخطابةِ، وقد استفتدتُ كثيراً من نصيحةِ رجلٍ ريفيٍّ عجوزٍ وكانت تلكَ النصيحةُ " لا تتكلَّمُ حتَّى تتأكَّدَ أن لديكَ ما تقوله، واعرِفَ عَمَّا ستحدثُ ثمَّ قلّه واجلسْ".

تصرّف بثقة:



بعدَ أن تتأكَّدَ من أن لديكَ ما تقوله اعلُ درجاتِ منبرِكَ، وقف في محفَلِك بكلِّ شجاعةٍ.

كتبَ أحدُ أشهرِ علماءِ النفسِ الذين أنجبَتهم أمريكا وليم جايَمس " لكي تشعرَ بالشجاعةِ تصرّف وكأنَّكَ شجاعٌ واستخدمِ إرادتَكَ كُلَّها في سبيلِ ذلكَ، ومن المُحتملِ أن تحلَّ الشجاعةُ كُلَّ الخوفِ".

يقول كارنيجي: طبق نصيحة جيمس ولكي تُنمّي الشجاعة حين تواجه جمهوراً تصرّف وكأنّ لديك الشجاعة ... قف مستقيماً وتطلّع في عيون الناس الذين أمامك، إبدأ بالكلام بثقة وكأنّ الجميع يديّون لك بالمال.



لا تعبث بأزرار معطفك بعصبية، أو تلعب بمسبحتك، أو تفرك يديك، وإذا اضطررت للقيام بحركات عصبية، فضع يديك خلف ظهرك وافرك أصابعك هناك حيث لا يستطيع أحد أن يراك وكقاعدة عامة: من السيء أن يختبئ الخطيب وراء الأثاث إلا أن ذلك يمنحك القليل من الشجاعة في المرات الأولى من وقوفك وراء طاولة أو كرسي حيث تُمسك بها بشدة أو تُمسك بمسبحة بشدة في يدك.

تجربة قائد جيش بريطاني:

ويسوق كارنيجي عن قائد جيش بريطاني قوله، إنّ كلّ إنسان تقريباً يُصاب بالخوف لدى إقدامه على أيّ عمل لكن الأمر التالي يبقى على الإنسان أن يحتفظ برباطة جأشه، ويتصرّف كأنه غير خائف وبعد مُضي بعض الوقت يتحوّل الأمر من التظاهر الذي أتبعه إزاء جميع أنواع الأشياء التي كنت أخشاه في البداية ... تظاهرت بأنني غير خائف وتدرّجاً زال الخوف عني.

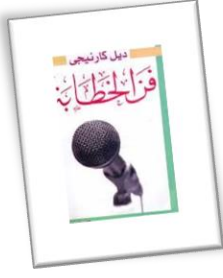
ويستطيع معظم الناس القيام بهذه التجربة إن أراد ...

تدرّب! تدرّب! تدرّب!:



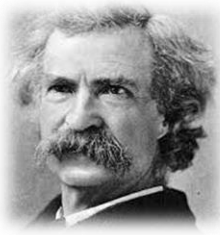
إنّ أول وآخر طريقة فعّالة لتوليد الثقة بالنفس في فنّ الخطابة هي أن تقف وتخطّب، ويختصر الأمر كله بكلمة أساسية هي: تدرّب، التي من دونها لن تتوصّل إلى أيّ شيء.

اعترافات لخطباء عظماء:



يذكرُ صاحبُ كتابِ " فنُّ الخطابة " بعضاً من الاعترافاتِ التي أدلى بها بعضُ نُجومِ ومُشاهيرِ الخطابةِ وهم في مُحاولاتهم الأولى فيقول:

لا تتصوّر أنّ حالتك صعبةٌ بشكلٍ غيرِ عاديٍّ، فمعظمُ الذين أصبحوا فيما بعدُ مُمثّلين عن أجيالهم أُصيبوا في بادئِ الأمرِ بالخوفِ وضعفِ الثّقةِ بالنّفسِ.



- **مارك توين:** حينَ وقفَ يخطُبُ لأوّل مرّةٍ شعرَ وكأنّ فمه مليءٌ بالقطنِ بينما تضاعفت سرّعةُ نبضه، وتصبّب عرقه بغزارةٍ.



- **جان جوريه** (أشهرُ الخطباءِ السّياسيّين الذين أنجبَتْهم فرنسا في عصره) بقيَ سنّةً كاملةً مُنْعَقِدَ اللّسانِ في قاعةِ الاجتماعاتِ قبلَ أن يتمكّنَ من استجماعِ شجاعته كي يُلقيَ الخطابَ الافتتاحيَّ.



- **تشارلز بارنيل** (الرّعيمُ الإيرلنديّ المعروف) كانَ في أوّلِ عهده كخطيبٍ وطبقاً لِشهادةِ أخيه كانَ عصبيّاً جدّاً حتّى إنّهُ كانَ حينَ يُمسِكُ بِقبضتهِ بشدّةٍ بحيثُ تنغرسُ أظافره بلحمه ويتدفّقُ الدّمُ من راحةِ يده.

ويتابعُ قائلاً: وللحقيقةِ أقولُ: إنّ أشهرَ الخطباءِ في إنكلترا بدّوا مُتعيّرينَ أوّلَ مرّةٍ حتّى إنّهُ سادَ اعتقادٌ في البرلمانِ أنّ هُناك لعنةٌ! تحلُّ بالشُّبان حينَ يُلقونَ أوّلَ خطابٍ لهم.

اتركها إلى غيرها:



جاء في التذكرة الحمَدونية لابن حَمَدون البَغدادِي (١٨/ ٣١٢) هذه القصة " كان يونسُ يَخْتَلِفُ (يذهبُ مراراً) إلى الخَلِيلِ يتعلَّمُ منه العَروضَ، فَصَعَبَ عليه تعلُّمُه فقالَ له الخَلِيلُ يَوماً: من أيِّ بحرٍ قولُ الشَّاعر:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه **وجاوزه إلى ما تستطيع**

ففطنَ يونسُ إلى ما عناه الخَلِيلُ وتركَ العَروضَ اهـ

أقول: وهذا البيتُ لِعَمرو بنِ مَعدي كَرَب (الأصمعيّات ص/ ١٧٥) وبعده ما يُتِمُّ مَعناه:

وصله بالزّماع فكلُّ أمرٍ **سما لك أو سموت له ولوعُ**

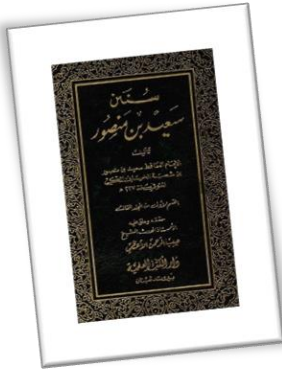
قال الأخفش: الزّماعُ: الجِدُّ والعَزمُ.

وبالخلاصة: فالْفُنونُ الدَّعويّةُ كَثيرةٌ ومَن عَجَزَ عن فنٍّ فقد يكونُ إماماً مُبرِّزاً في فنٍّ آخر.



٢٤- العِزَّةُ بِالْإِثْمِ

عُمَرُ وَالْمَرَأَةُ:



رَوَى سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي سُنَنِهِ عَنِ الشَّعْبِيِّ (٥٩٨) أَنَّهُ قَالَ: خَطَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِالنَّاسِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: أَلَا لَا تُغَالُوا فِي صُدُقِ (مَهْر) النِّسَاءِ، فَإِنَّهُ لَا يَبْلُغُنِي عَنْ أَحَدٍ سَاقَ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ سَاقَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْ سِيقَ إِلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتُ فَضْلَ ذَلِكَ فِي بَيْتِ الْمَالِ، ثُمَّ نَزَلَ.

فَعَرَضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، كِتَابُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَوْ قَوْلُكَ؟

قَالَ: بَلْ كِتَابُ اللَّهِ فَمَا ذَلِكَ؟

قَالَتْ: نَهَيْتَ النَّاسَ أَنْفَاءً أَنْ يُغَالُوا فِي صُدُقِ النِّسَاءِ وَاللَّهُ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ:

﴿وَأَتَيْنُمُ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ [النِّسَاءُ: ٢٠].

فَقَالَ عُمَرُ: كُلُّ أَحَدٍ أَقْفَهُ مِنْ عُمَرٍ - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا - ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَنْبَرِ فَقَالَ لِلنَّاسِ: "إِنِّي نَهَيْتُ أَنْ تُغَالُوا فِي صُدُقِ النِّسَاءِ، أَلَا فَلْيَفْعَلْ رَجُلٌ فِي مَالِهِ مَا بَدَا لَهُ".

مُرَاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ:

كَانَ عَالِمًا عَظِيمًا، وَكَنْتُ وَمَا أَزَالُ مُجَلًّا لَهُ، وَقَدْ رَاجَعْتُهُ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خَطَأٍ فِي كِتَابٍ مِنْ كُتُبِهِ فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ قَالَ لِي: رَاجِعْ مَعْلُومَاتِكَ، وَكَأَنَّهُ الصَّوَابُ وَكَأَنَّ غَيْرَهُ الْخَطَأُ.

إِنَّ الْخَطِيبَ أَيَّ خَطِيبٍ كَانَ مَهْمَا بَلَغَ مِنَ الْعِلْمِ وَسَمَا فِي الْمَعْرِفَةِ عُرْضَةً لِأَنْ يُخْطِئَ فِي خُطْبَتِهِ بِفِكْرَةٍ يَطْرُحُهَا، أَوْ بِرَأْيٍ يَتَبَنَّاها، أَوْ بِتَحْلِيلٍ يُحْلِلُها، أَوْ بِمَوْقِفٍ يَتَّخِذُها، أَوْ بِمَسْأَلَةٍ فِقْهِيَّةٍ يَقْدِّمُها ... فَإِذَا مَا رُوجِعَ فِي ذَلِكَ - وَبَانَ لَهُ خَطْؤُهُ - فَإِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَرِفَ بِخَطْئِهِ أَمَامَ مَنْ نَصَحَهُ، ثُمَّ يُسَارِعَ إِلَى جُمْهُورِهِ الَّذِي أَخْطَأَ أَمَامَهُ فَيُصَحِّحَ.



روى الدارقطني في سننه عن أبي المليح الهذلي (٤٤٧١)
أنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ " أَمَّا بَعْدُ
فَإِنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ ... وساق الحديث إلى قوله:
ومراجعة الحق خير من التماسي في الباطل ... الحديث.

٢٥ - بَيْنَ خَوْفَيْنِ

الخوف من الله والخوف من السلطان

هكذا كانوا!



روى التلمساني في كتابه "نفح الطيب" ٥٧ / ١ أن الناصر - حاكم الأندلس - كان كلفاً بعمارة الأرض ... فأفضى به الإغراق في ذلك إلى أن ابنتى مدينة الزهراء ... واستفرغ وسعته في تنميقها، وإتقان قصورها ... وانهماك في ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذي اتخذه ثلاث جمع متواليات فأراد القاضي منذر بن سعيد أن يغض منه بما يتناول من الوعظ ... فابتدأ في أول خطبته بقوله تعالى:

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنْ أَرَادْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ حُجُومًا فَذُكِّرُوا بِالْآيَةِ * وَاتَّقُوا اللَّهَ * إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾
[الشعراء: ١٢٨ - ١٣٦]

ثم وصله بقوله: فمتاع الدنيا قليل، والآخرة خير لمن اتقى، وهي دار القرار، ومكان الجزاء، ومضى في ذم تشييد البنيان، والاستغراق في زخرفته، والإسراف في الإنفاق عليه بكلام جزل، وقول فصل ... حتى أذكر من حضره من الناس، وخشعوا ورقوا، واعترفوا وبكوا، وضجوا ودعوا، وأعلنوا التضرع إلى الله في التوبة، والابتغال في المغفرة.



وأخذ خليفته من ذلك بأوفر حظ وقد علم أنه المقصود به، فبكى وندم على ما سلف له من فرطه، واستعاذ بالله من سخطه، إلا أنه وجد على منذر لغلظ ما قرعه به، فشكا ذلك لولده الحكم بعد انصراف منذر وقال: والله لقد تعمّدي منذر بخطبته، وما عني بها

غَيْرِي، فَأَسْرَفَ عَلَيَّ، وَأَفْرَطَ فِي تَقْرِيعِي، وَلَمْ يُحْسِنِ السِّيَاسَةَ فِي وَعْظِي،
فَزَعَزَعَ قَلْبِي، وَكَادَ بِعَصَاهُ يَقْرَعُنِي، وَاسْتَشَاطَ غَيْظًا عَلَيْهِ فَأَقْسَمَ أَلَّا يُصَلِّيَ
خَلْفَهُ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ خَاصَّةً ...

فَقَالَ لَهُ الْحَكَمُ ابْنُهُ: فَمَا الَّذِي يَمْنَعُكَ مِنْ عَزْلِ مُنْذِرٍ عَنِ الصَّلَاةِ بِكَ وَالِاسْتِبْدَالِ
بِغَيْرِهِ مِنْهُ؟

فَزَجَرَهُ وَانْتَهَرَهُ، وَقَالَ: أَمِثْلُ مُنْذِرٍ بَيْنَ سَعِيدٍ فِي فَضْلِهِ وَخَيْرِهِ وَعِلْمِهِ - لَا أَمَّ
لَكَ - يُعَزَلُ لِإِرْضَاءِ نَفْسٍ نَاكِبَةٍ عَنِ الرُّشْدِ سَالِكَةٍ غَيْرِ الْقَصْدِ؟ هَذَا مَا لَا يَكُونُ
... بَلْ يُصَلِّيَ حَيَاتَهُ وَحَيَاتِنَا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فَمَا أَظُنُّنَا نَعْتَاضُ مِنْهُ أَبَدًا أَهـ.

دُونِ ذَلِكَ:

قَدْ لَا يَرْتَقِي الْخَطِيبُ - خَطِيبُ الْمَنَابِرِ وَالْمَحَافِلِ - إِلَى مُسْتَوَى الْمُنْذِرِ
فِي شَجَاعَتِهِ وَجُرْأَتِهِ، وَمُجَاهَرَتِهِ بِالْحَقِّ وَعَدَمِ خَوْفِهِ مِنَ السُّلْطَانِ وَبَأْسِهِ، وَمَا
يُمْكِنُ أَنْ يُوقِعَهُ بِهِ، وَيُذَيِّقَهُ إِيَّاهُ ...

نَعَمْ قَدْ لَا يَرْتَقِي إِلَى هَذَا الْمُسْتَوَى فَلَا أَقَلَّ مِنْ أَنْ يَلْجَأَ إِلَى التَّلْمِيحِ وَالتَّوْرِيَةِ
وَالْتَّعْرِیْضِ، وَلِيَتَأَكَّدَ تَمَامًا بِأَنَّ جُمْهُورَهُ سَيَفْهَمُ عَنْهُ فَيُوصِلَ رِسَالَتَهُ مِنْ غَيْرِ
أَنْ يَخْشَى مُسَاءَلَةً أَوْ حِسَابًا.

اسْتَدْعَيْتُ ذَاتَ مَرَّةٍ إِلَى إِحْدَى الْجِهَاتِ الْأَمْنِيَّةِ - وَمَا أَكْثَرُهَا فِي بِلَادِنَا - مِنْ
أَجْلِ التَّحْقِيقِ مَعِيَ حَوْلَ خُطْبَةٍ كُنْتُ خَطَبْتُهَا وَبَعْدَ أَخْذِ وَرَدٍّ، وَجِدَالٍ وَجَدَلٍ
، قُلْتُ لِلْمُحَقِّقِ الْبَارِعِ: يَا هَذَا إِنَّمَا يُؤَاخِذُ الْخَطِيبُ! بِمَا يَقُولُهُ، وَلَا يُؤَاخِذُ بِمَا
يَفْهَمُهُ كَاتِبُو التَّقَارِيرِ مِمَّا يَقُولُهُ! فَسَكَتَ الرَّجُلُ.

وهذه بعض النماذج:



فرعون:



إنَّ فرعونَ نموذجٌ وَقِحٌ للحاكمِ المُستبدِّ، الَّذي علا في الأرضِ، وجعلَ شعبه شيعاً وطوائفَ يَضْرِبُ بعضهم ببعضٍ، ويستعلي ببعضهم على بعضٍ، وبلغَ به استبدادهُ وقسوتهُ إلى أن يفجعَ الأمَّ بابنِها الَّذي حملته جَنِيناً وتعبت في حملِه، وعدت الأيَّامَ لتراه في حجرها يَرْضَعُ من ثديها وعلقت آمالها عليه ... بلغَ به الأمرُ أن يذبحه على مَرأى منها ومن أبيه ومن قومه ... وفوقَ هذا وذاك ادَّعى لنفسه زوراً وبُهتاناً منصيبَ الألوهية مُنفرداً به.

وعندما بعثَ اللهُ موسى لِيُنْقِذَ تلكَ الشعوبَ البائسةَ من براثنِهِ، وأَيَّدَهُ بالأدلةِ القاطعةِ، والبراهينِ السَّاطعةِ اتَّهمَهُ بأنَّه رَجُلٌ مَطامِحٌ ومطامِعٌ، وسلَّطَ عليه سَحَرَتَهُ لِيَهْزِمُوهُ فَهَزَمَهُم بِالْحَقِّ الَّذي معه فَأَمَنُوا بِمُوسَى وانشقُّوا عن فرعونَ فَاتَّهَمُهُم بِالْعَمَالَةِ وَقَتَّلَهُم شَرّاً قَتْلَةً.



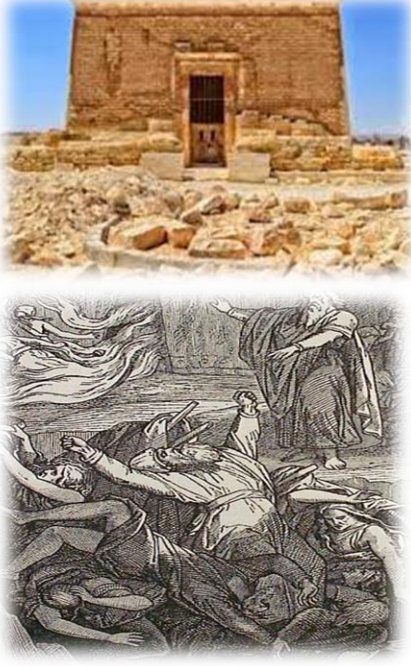
ولَمَّا خَرَجَ مُوسَى بِقَوْمِهِ تَحْتَ جُنْحِ الظَّلامِ؛ لِيُنَجِّيَهُم من سَيَاطِ الظَّلامِ لَحِقَ به فرعونُ و جُنُودُهُ فانتَهَى به الأمرُ غَرِيقاً هو وجنودُهُ، وماتَ فرعونُ وها هو جُثمانُهُ - حتَّى اليومَ - يُحذِّرُ الطُّغَاةَ وَالظَّالِمِينَ من مَصِيرِ كَمَصِيرِهِ وَلَكِنَّهُمْ لَا يَفْعَلُونَ.

وفي تَقديرنا أَنَّ الخَطِيبَ إذا ما استعرضَ قصَّةَ فرعونَ على جُمهورِهِ فأحسنَ سَرَدَها واستِخلاصَ العِبَرِ مِنْهَا فَإِنَّهُ بِذَلِكَ سَيُعَرِّي جَمِيعَ الطُّغَاةِ وَالْمُسْتَبِدِّينَ، الْمُتَحَكِّمِينَ بِعِبَادِ اللهِ، الحَاكِمِينَ بِغَيْرِ ما أَمَرَ اللهُ، من غيرِ أن يُصرِّحَ بِاسْمِ أَحَدٍ، ومن غيرِ أن يَقَعَ تحتَ مُسَاءَلَةِ أَحَدٍ.

هامان:

وهذا نموذج آخر لوزير السوء الذي سخر مواهبه لخدمة الطُّغاة، وتثبيت عُروشهم، وتلبية رغباتهم، وتصفية خصومهم، وفي سرد قصته تعريّة لأمثاله وما أكثرهم في أرضنا !!

قارون!



وهذا أيضاً نموذج صارخ للكانز الجاد الذي أفضل الله عليه، فنسي فضل الله عليه، ونسب الفضل إليه، وتحالف مع المستبد ضد شعبه - وهو في أصله واحد من شعبه - وها هو ذا يخرج على الناس في زينته ليفطر قلوب المساكين، ويفتن إيمان الضعفاء، فسخط الله عليه وأمر أرضه أن تنشق وتبتلعه هو وما يملك .. وفي سرد قصته رسالة لكل كانز جاد على طرازه.

لا أقل من ذلك:

و لئن لم يكن الخطيب المُنذر بقوة وصراحة وجُرأة الخطيب القاضي مُنذر

ولم يكن أيضاً - دون ذلك - مِمَّن يلجأ إلى التلميح والتعريض.

فحسبه أن يعرض حقائق الإسلام بعيداً عما يستشعر أنه قد يدخله في صراع مع السلطان ومساءلته ومحاسبتها وهذا ما أدركت عليه خطباءنا مع الأسف.

لا عذر في ذلك:

وأما أن يجعل الخطيب -خطيب المنابر والمحافل- من نفسه ومن منبره أداة طيعة في يد الطُّغاة يقول من فوقها ما يرضيهم وإن كان يُسخط الله، و يكسر قلوب الشعب، فلا عذر له في ذلك أبداً.

فالمنبر ليس هو المكان المناسب لتلميع صورة الطُّغاة، وتزيين قُبُحهم،
وتسوية جرائمهم وإجرامهم وشتَم معارضيهم ورميهم بكلِّ سوءٍ واتِّهامهم
بكلِّ قبيح...

وأَيُّ فرقٍ إذاً بينَ المنبرِ والتلفازِ والصَّحيفةِ الرَّسميَّةِ؟
وأَيُّ فرقٍ إذاً بينَ الخطيبِ والشَّاعرِ المدَّاحِ سوى أنَّ ذلكَ الخطيبَ أعظمُ
وزراً لأنَّه يُتاجرُ بالدين!

وخيرٌ لمثلِ هذا أنْ يعتزِلَ الخطابةَ وليُجعلَ خوفه ممَّن ولى السُّلطانَ أكبرَ
من خوفه من السُّلطانِ نفسه، وليتَّقِ يوماً يذهبُ فيه سُلطانُ كُلِّ ذي سُلطانٍ
ولا يَبقى إلَّا سُلطانُ الله جلَّ وعلا.

٢٦ - الرَّأْيُ وَالرَّأْيُ الْآخَرُ

الْخِلَافُ وَالْإِخْتِلَافُ

الْإِخْتِلَافُ:



حَضَرْتُ ذَاتَ مَرَّةٍ احْتِفَالاً دِينِيّاً بِمُنَاسَبَةِ ذِكْرِ مِيلَادِ سَيِّدِ الْوُجُودِ الَّذِي يُعَدُّ مِيلَادُهُ مِيلَاداً لِلأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي أَعَادَتْ لِلإِنْسَانِ مَعْنَى الْإِنْسَانِيَّةِ، وَقُدِّمَ أَحَدُ الْمُحَاضِرِينَ - وَهُوَ مِنَ الْخُطَبَاءِ الْمَعْرُوفِينَ - لِلْكَلامِ، وَمَا إِنْ اسْتَقَرَّ خَلْفَ مُكَبَّرِ الصَّوْتِ حَتَّى بَدَأَ هُجُوماً لاذِعاً - لَا عَلَى الطُّغَاةِ وَالْمُسْتَبِدِّينَ، وَلَا عَلَى الْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ - بَلْ عَلَى أَوْلَيْكَ

الَّذِينَ يُنْكِرُونَ هَذَا النَّوعَ مِنَ الْإِحْتِفَالَاتِ وَيَرُونَ فِيهَا بِدْعَةً وَضَلالاً وَكَانَ فِيمَا قَالَ: إِنَّهُمْ إِنَّمَا يَقِفُونَ هَذَا الْمَوْقِفَ الْمُعَادِيَّ مِنْ هَذَا النَّوعِ مِنَ الْإِحْتِفَالَاتِ لِأَنَّهُمْ لَا يُحِبُّونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ!

وَلَمَّا أَنْ قُمْتُ خَطِيباً مِنْ بَعْدِهِ أَسْرَعْتُ لِلْقَوْلِ: إِنِّي مِنَ الَّذِينَ يَرُونَ مَشْرُوعِيَّةَ هَذَا النَّوعِ مِنَ الْإِحْتِفَالَاتِ لِذِلَالِ قَامَتِ عِنْدِي، وَلَكِنِّي لَا أَتَّفِقُ مَعَ الْأَخِ الْكَرِيمِ الَّذِي تَكَلَّمَ مِنْ قَبْلِي، وَلَا أُوَافِقُهُ الرَّأْيَ فِي أَنَّ الَّذِينَ لَا يَحْتَفِلُونَ بِمِيلَادِ الرَّسُولِ ﷺ إِنَّمَا صَدَّهِمْ عَنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يُحِبُّونَهُ، لَا، بَلْ لَعَلَّ فِيهِمْ مَنْ يُحِبُّهُ أَكْثَرَ مِنَّا جَمِيعاً، غَايَةُ مَا فِي الْأَمْرِ أَنَّ اجْتِهَادَهُ أَوْ اجْتِهَادَ مَنْ يَتَّقِي هُوَ بِهِ أَسْلَمَهُ إِلَى عَدَمِ مَشْرُوعِيَّةِ هَذَا النَّوعِ مِنَ الْإِحْتِفَالَاتِ.

وَأَضَفْتُ قَائِلاً: لَا شَكَّ عِنْدِي لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْآنَ بَيْنَنَا لَسَاءَهُ مَا يَرَاهُ مِنْ أُمَّتِهِ وَمِنْ إِخْتِلَافِهَا حَتَّى فِي يَوْمِ ذِكْرِ مِيلَادِهِ وَمَا يَحْصُلُ فِيهِ مِنْ تَرَامِي التُّهَمِ بِالْبِدْعِ وَالْفِسْقِ وَالْمُرُوقِ مِنَ الدِّينِ.



وبالمقابل وقف أحدهم في أول ليلة من ليالي رمضان ليعلنها مذبوبة أن التراويح (٨) ركعات وحسب، و ما زاد فهو بدعة! ثم تابع قائلاً وكذلك زيارة الرسول ﷺ في مسجده بدعة، ولا أعلم ما علاقة الثاني بالأول؟

إن كلا الخطيبين - إن صح اعتبارهما خطيبين - مخطئ كل الخطأ في أمرين:

١- في طرح القضايا الخلافية على الجمهور.

٢- في التعصب لرأيه، ورفض الرأي الآخر تماماً.



يقول الشيخ محمد الغزالي في كتابه "خطب الشيخ محمد الغزالي" ٢٠ / ١ " لا يجوز أن تتعرض الخطبة للأمور الخلافية، ولا أن تكون تعصباً لوجهة نظر محددة.

فإن المسجد يجمع ولا يفرق، ويلم شمل الأمة بشعب الإيمان التي يلتقي عندها الكل دون خوض في المسائل التي يتفاوت تقديرها

وقد شقي المسلمون بالفرقة أياماً طويلة، وجدير بهم أن يجدوا في المساجد ما يوحّد الصفوف، ويطفئ الخصومات.

الخلاف:

ما قرّناه - قبل قليل - إنما يصدق على القضايا والمسائل الخلافية - في مجال العقيدة والشرعية والأخلاق، وأسلفنا أنه لايجوز طرحها على المنابر وفي المحافل، وإن دعت ضرورة ما ل طرحها فينبغي أن تقدم بغير تعصب لها، بل مع احترام الرأي الآخر - الذي قد يكون الصواب حليفاً له وأما إذا ما كانت المسألة التي يريد الخطيب طرحها مخالفة ومُجانبية للحقائق المسلم بها في الإسلام، فعليه أن يطرحها بقوة ويدحضها بعزيمة ويؤيد ذلك بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة، ولا يجوز له أبداً أن يتعامل معها بليونة وميوعة.

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء : ٨١]

مَسَلُّكَ مُرِيبٌ:

لبعض الخطباء والدعاة مسلك أقل ما يقال فيه إنه مسلك مُريب فتراه إذا ما طرح القضايا الخلافية طرحها بقوة، فأظهر رأيه كأنه الحق لا حق سواه ، و دحض رأي غيره كأنه الباطل لا باطل سواه !
وأما المسائل المتفق على مخالفتها لحقائق الإسلام فتراه وكأنَّ خصومةً بينه وبينها.

أوليس – مُريباً – أن نُشعل حرباً ونكتب كتباً ونُلقي محاضراتٍ ... من أجل نصرة أو إبطال الاحتفال بذكرى ميلاد الرسول ﷺ ثم يسكت أولئك عن البنوك الربوية، والتطبيع مع اليهود، والاستبداد السياسي والفساد المالي ...



لصالح من هذه الحماسة في الخلافات، والصمت أمام ما اتفقت عليه الأمة من المحرمات؟

٢٧ - سُرْعَةُ الْبَدِيهَةِ وَإِنْقَاذُ الْمَوْقِفِ

إِنَّهُ أَبُو الْحَسَنِ!



يُرَوِّي الْعِصَامِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ " سِمَاطِ النُّجُومِ الْعَوَالِي " ٧١/٣ أَنَّ عَلِيًّا بَيْنَمَا كَانَ يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ وَقَدْ ابْتَدَأَ كَلِمَتَهُ بِقَوْلِهِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَحْكُمُ بِالْحَقِّ قَطْعًا، وَيَجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى، وَإِلَيْهِ الْمَأْبُورُ وَالرُّجْعَى، فَإِذَا بِرَجُلٍ يُقَاطِعُهُ وَيَسْأَلُهُ عَنْ نَصِيبِ زَوْجَةٍ مَاتَ زَوْجُهَا عَنْهَا وَعَنْ أَبَوَيْنِ وَبَنَتَيْنِ فَقَالَ عَلَى الْبَدِيهَةِ صَارَ ثَمْنُهَا تِسْعًا ثُمَّ اسْتَمَرَ عَلَى أَسْلُوبِ خُطْبَتِهِ.

قِصَّةٌ أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ:



رَوَى الْمُؤَرِّخُ ابْنُ خَلْدُونٍ فِي تَارِيخِهِ (١٨٣ / ٤) أَنَّهُ فِي سَنَةِ (٤٣٦ هـ) وَفَدَّ عَلَى النَّاصِرِ - أَمِيرِ الْأَنْدَلُسِ - رُسُلٌ صَاحِبِ الْقَسْطَنْطِينِيَّةِ وَهَدِيَّتُهُ ... وَاحْتَفَلَ النَّاصِرُ لِلْقَائِمِ فِي يَوْمٍ مَشْهُودٍ، وَكَتَبَ فِيهِ الْعَسَاكِرَ بِالسِّلَاحِ فِي أَكْمَلِ هَيْئَةٍ وَزِيٍّ، وَزَيْنَ الْقَصْرِ ... وَرَتَّبَ الْوُزَرَءَ وَالْخَدَمَةَ فِي مَوَاقِفِهِمْ ... وَأَمَرَ يَوْمَئِذٍ الْأَعْلَامَ أَنْ يَخْطُبُوا فِي ذَلِكَ الْمَحْفَلِ، وَيُعْظِمُوا أَمْرَ الْإِسْلَامِ وَالْخِلَافَةِ، وَيَشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَى ظُهُورِ دِينِهِ وَإِعْزَازِهِ، وَذِلَّةِ عَدُوِّهِ فَاسْتَعْدُّوا لِذَلِكَ، ثُمَّ بَهَرَهُمْ هَوْلُ الْمَجْلِسِ فَرَجَعُوا وَشَرَعُوا فِي الْعَزْلِ (الْمَدِيحِ) فَأَرْتَجَّ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ فِيهِمْ أَبُو عَلِيٍّ الْقَالِي وَافْدُ الْعِرَاقِ ... فَلَمَّا وَجَمُوا كُلَّهُمْ قَامَ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ الْبَلُوطِيُّ مِنْ غَيْرِ اسْتِعْدَادٍ وَلَا رَوِيَّةٍ وَلَا تَقَدَّمَ لَهُ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ بِشَيْءٍ فَخَطَبَ وَاسْتَحْفَزَ، وَجَلَا فِي ذَلِكَ الْقَصْدِ، وَأَنْشَدَ فِي آخِرِهِ شِعْرًا طَوِيلًا ارْتَجَلَهُ فِي ذَلِكَ الْغَرَضِ، فَفَازَ بِفَخْرِ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ، وَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ شَأْنِهِ أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ مَا وَقَعَ، وَأَعْجَبَ بِهِ النَّاصِرُ وَوَلَّاهُ الْقَضَاءَ بَعْدَهَا، وَصَارَ مِنْ رِجَالِ الْعَالَمِ ...

خُذُوا حِذْرَكُمْ:

إِنَّ الْخَطِيبَ -خطيب المنابر والمحافل- عُرْضَةٌ لَأَنْ يَحْدُثَ مَعَهُ مِنَ الْمَوَاقِفِ الْمُحَرِّجَةِ وَالْمَوَاقِفِ غَيْرِ الْمُتَوَقَّعَةِ مَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَخْطُرَ لَهُ عَلَى بَالٍ، كَأَنْ يُقَاطِعَهُ أَحَدٌ بِسُؤَالٍ مُحَرِّجٍ، أَوْ يَرُدَّ عَلَيْهِ بَعْضَ مَا يَقُولُ، أَوْ بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ كَأَنْ يَسْبَهُ أَوْ يَشْتِمَهُ أَوْ حَتَّى يَهَمَّ بِضَرْبِهِ أَوْ يَضْرِبَهُ بِالْفِعْلِ ... فعلى الْخَطِيبِ أَوَّلًا أَنْ يَتِمَّاسَكَ ثُمَّ يَتَصَرَّفَ بِمَا يَرَاهُ مُنَاسِبًا كَالْإِعْرَاضِ عَمَّا سَمِعَ كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْ، أَوْ الْإِجَابَةِ ... على أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ حَصْرُ الْمَوَاقِفِ وَلَا يُمْكِنُ حَصْرُ رُدُودِ الْأَفْعَالِ، وَاللَّهُ الْمُوفِّقُ وَالْمُنْجِي.

مَوَاقِفٌ مَعِيَ:

رَجُلٌ يُقَاطِعُ الْخَطِيبَ:

بَيْنَمَا كُنْتُ وَاقِفًا أَخْطُبُ الْجُمُعَةَ وَاتَّحَدَّثْتُ عَنْ بَعْضِ مِنْ أَحْكَامِ الطَّلَاقِ إِذَا بِرَجُلٍ (وَهُوَ شَيْخٌ بَلَدِي) يُقَاطِعُنِي وَيُخْطِئُنِي، فَمَا كَانَ مِنِّي إِلَّا أَنْ أَعَدْتُ كَلَامِي الْأَوَّلَ مُؤَكِّدًا أَنَّهُ هُوَ الصَّوَابُ، ثُمَّ عَادَ إِلَى تَخْطِئَتِي وَعَدْتُ إِلَى تَأْكِيدِ كَلَامِي فَسَكَتَ هُوَ وَأَكْمَلْتُ أَنَا، وَلَقَدْ سَاعَدَنِي فِي مَوْقِفِي هَذَا أَنِّي كُنْتُ قَدْ حَضَرْتُ مَوْضُوعَ الْخُطْبَةِ تَحْضِيرًا مُمْتَازًا وَتَوَثَّقْتُ مِنْ كُلِّ مَعْلُومَةٍ أَلْقَيْتُهَا عَلَى الْجَمَاهِيرِ، وَأَحْسَبُنِي لَوْلَا ذَلِكَ لَسَكَتُ وَأُحْرِجْتُ.

رَجُلٌ يَهْتَفُ وَيُكَبِّرُ!



كُنْتُ أَخْطُبُ أَيَّامَ غَزَا الْأَمْرِيكَانِ وَخُلَفَاؤُهُمِ الْعِرَاقَ وَأَسْقَطُوا نِظَامَ صَدَّامِ حُسَيْنٍ، فَإِذَا بِرَجُلٍ يَقُومُ وَيُكَبِّرُ وَيُهَاجِمُ الزُّعَمَاءَ الْعَرَبَ أُولَئِكَ الَّذِينَ شَارَكُوا أَمْرِيكَانَا يَوْمَ غَزَتِ الْكُوَيْتَ، وَسَكَتُوا تَمَامًا يَوْمَ غَزِيَتِ الْعِرَاقَ ... فَتَرَكْتُهُ حَتَّى أَتَمَّ هُتَافَهُ وَتَكْبِيرَهُ وَمُدَاخَلَتَهُ ثُمَّ قُلْتُ: إِنَّ هَذَا الْأَخَ نَمُودَجٌ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا، وَقَدْ صَرَخَ بِمَا يَجِيشُ فِي صُدُورِنَا

وأكملتُ كَلِمَتِي كَأَنَّ شَيْئاً لَمْ يَكُنْ ، بَلْ إِنَّ النَّاسَ نَسُوا فِي آخِرِ الْخُطْبَةِ مَا كَانَ فِي أَثْنَائِهَا.

نصيحة غير شكل!

خَطَبْتُ ذَاتَ مَرَّةٍ فِي إِحْدَى الْقُرَى وَلَمَّا أَنْ انْتَهَيْتُ مِنَ الصَّلَاةِ إِذَا بِرَجُلٍ يَقُومُ وَيَقُولُ عَلَى الْمَلَأِ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْصَحَ هَذَا الْخَطِيبَ، وَشَنَّ عَلَيَّ هُجُوماً شَرِساً وَتَرَكْتُهُ حَتَّى قَالَ كُلَّ مَا يُرِيدُ قَوْلَهُ، وَلَمَّا أَنْ سَكَتَ قُلْتُ لَهُ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْراً وَلَكِنْ حَبِّذاً لَوْ كَانَتِ النَّصِيحَةُ فِيمَا بَيْنَنَا فَقَدِيماً قَالُوا: النَّصِيحَةُ بَيْنَ النَّاسِ فَضِيحَةٌ.

الخطبة لمن سبق:

وهذا مَوْقِفٌ مِنْ أَطْرَفٍ مَا جَرَى مَعِي، كُفِّتُ بِالْخُطَابَةِ فِي إِحْدَى الْقُرَى فِي مَسْجِدٍ شَبِهَ خَالٍ، وَمَعَ مَرُورِ الْأَيَّامِ امْتَلَأَ الْمَسْجِدُ بِالْمُصَلِّينَ فَإِذَا شَيْخٌ مِنْ تِلْكَ الْقَرْيَةِ - وَكَانَ الْمَسْجِدُ قَدْ عُرِضَ عَلَيْهِ فَأَعْرَضَ عَنْهُ - يَطْمَعُ بِهِ - وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَنِّي مَا طَمَعْتُ بِشَيْءٍ فِي حَيَاتِي سِوَى بِالْأَزْدِيَادِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَالْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ - وَلَكِنَّهُ لَمْ يُكَاشِفْنِي بِذَلِكَ بَلْ سَلَكَ طَرِيقَةً غَرِيبَةً فَقَدْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَصَعَدَ الْمِنْبَرَ مُبَاشَرَةً وَخَطَبَ بِالنَّاسِ، وَالنَّاسُ فِي دَهْشَةٍ وَأَنَا مِثْلُهُمْ، وَكَانَتْ خُطْبَتُهُ بِالْعَامِيَّةِ وَخَالِيَّةٍ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ ... وَانْتَهَتْ الْخُطْبَةُ، وَانْتَظَرَ النَّاسُ مَا سَيَكُونُ بَيْنَ الْخُطِيبَيْنِ فَمَا كَانَ مِنِّي إِلَّا أَنْ قُلْتُ لَهُ وَلِلنَّاسِ: قَدِيماً قَالُوا: أَهْلُ مَكَّةَ أَدْرَى بِشِعَابِهَا، وَهَذِهِ مَكَّةُ وَهَذِهِ شِعَابُهَا وَتَرَكْتُ الْمَسْجِدَ، وَأَبْدَلَنِي اللَّهُ مَسْجِداً أَقْرَبَ مِنْهُ، وَجُمُهوراً أَكْثَرَ لِبَاقَةٍ مِنْ أَوْلِيكَ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ.

٢٨ - الحيرة بين القول والفعل

لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ؟

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

[البقرة: ٤٤]



يقول صاحبُ الظلال (١ / ٦٨) مع أن هذا النصَّ القرآنيَّ كان يواجهُ ابتداءً حالةً واقعةً من بني إسرائيلَ، فإنَّه في إحيائه للنفسِ البشريَّةِ، ولرجالِ الدِّينِ بصفةٍ خاصَّةٍ، دائمٌ لا يَخْصُ قوماً دون قومٍ، ولا يعني جِيلاً دون جِيلٍ.

إنَّ آفةَ رجالِ الدِّينِ - حينَ يصبحُ الدِّينُ حِرْفَةً وصِنَاعَةً لا عقيدةً حارةً دافعةً أنَّهم يَقُولُونَ بأفواههم ما ليسَ في قُلُوبِهِم!

يَأْمُرُونَ بِالْخَيْرِ وَلَا يَفْعَلُونَهُ!

وَيَدْعُونَ إِلَى الْبِرِّ وَيُهْمِلُونَهُ!



والدَّعوةُ إلى البرِّ والمُخالفةُ عنه في سلوكِ الدَّاعِينَ إليه هي الآفةُ الَّتِي تُصِيبُ النُّفُوسَ بِالشَّكِّ لا في الدُّعاةِ وحدهم، ولكن في الدَّعواتِ ذاتِها، وهي الَّتِي تُبْلِلُ قُلُوبَ النَّاسِ وأفكارَهُمْ لأنَّهم يَسْمَعُونَ قَوْلًا جَمِيلاً، وَيَشْهَدُونَ فِعْلاً قَبِيحاً، فَتَتَمَلَّكُهُم الحِيرَةُ بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَتَخْبُو فِي أرواحِهِم الشُّعْلَةُ الَّتِي تُوقِدُهَا العَقِيدَةُ، وَيَنْطَفِئُ فِي قُلُوبِهِم النُّورُ الَّذِي يُشْعُهُ الإِيمَانُ وَلَا يَعُودُونَ يَتَّقُونَ فِي الدِّينِ بَعْدَ مَا فَقَدُوا ثِقَتَهُم بِرجالِ الدِّينِ.

إنَّ الكَلِمَةَ لَتَنْبَعِثُ مَيِّتَةً، وَتَصِلُ هَامِدَةً مَهْمَا تَكُنْ طَنَانَةً رَنَانَةً مُتَحَمِّسَةً، إِذَا هِيَ لَمْ تَنْبَعِثْ مِنْ قَلْبٍ يُؤْمِنُ بِهَا، وَلَنْ يُؤْمِنَ إِنْسَانٌ بِمَا يَقُولُ حَقًّا إِلَّا أَنْ يَسْتَحِيلَ هُوَ تَرْجَمَةً حَيَّةً لِمَا يَقُولُ وَتَجْسِيماً واقِعِيّاً لِمَا يَنْطِقُ ...



عندئذٍ يُؤْمِنُ النَّاسُ وَيُثْقُونَ، ولو لم يكن في تلك الكلمة طنينٌ أو بريقٌ ... إنها حينئذٍ تستمدُّ قوتها من واقعها لا من رنينها، وتستمدُّ جمالها من صدقها لا من بريقها، إنها تستحيلُ يوماً دفعاً حياةٍ لأنها مُنبِثَةٌ من حياةٍ.

خطيبٌ في النار!

رَوَى الشَّيْخَان -واللفظُ للبُخاري- عن أسامة بن زيدٍ (٣٢٦٧) أنه قال:

سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ:

"يُجاءُ بالرجلِ يومَ القيامةِ فيلقى في النارِ، فتندلقُ أقتابُهُ في النارِ فيدورُ كما يدورُ الحِمَارُ بِرِحاءِهِ، فيجتمعُ أهلُ النارِ عليه فيقولون:

أي فلانُ ما شأنُكَ؟ ألسْتَ كُنْتَ تأمرُنَا بالمَعروفِ وتنهانا عن المُنكَرِ؟

قال: كُنْتُ أَمُرُكُمْ بالمَعروفِ ولا آتِيهِ، وَأَنهاكُم عن المُنكَرِ وآتِيهِ."

أقول: و كَم سَمِعْتُ خُطباءَ يَتحدَّثونَ عن الغِيبَةِ ثم لا يَتَحاشَوْنَ عنها.

و كَم سَمِعْتُ خُطباءَ يَدعونَ لِلإِنفاقِ ثم لا تَخْرُجُ من جِيبِهِم خَمسونَ ليرةً. وكَم سَمِعْتُ عن خُطباءَ يَتحدَّثونَ عن الظُّلْمِ ثم تَراهُم يَأْكُلونَ على موائدِ الظَّالِمينَ وَيَسِيرُونَ في رِكابِ الظَّالِمينَ ... وَحَسْبُهُم هذا الحديثُ.

وصفةٌ مُجَرَّبَةٌ:

يقولُ صاحِبُ الظِّلَالِ (٦٨/١) والمُطابَقَةُ بينَ القَوْلِ والفِعْلِ وبينَ العقيدةِ والسُّلوكِ ليستُ أمراً هَيَّئاً، ولا طَرِيقاً مُعَبَّداً، إِنَّها بِحاجةٍ إلى رِياضَةٍ وَجُهدٍ ومحاوَلَةٍ وإلى صِلَةٍ باللهِ واستِمداً مِنْهُ واستِعاذَةٍ بِهِدِيهِ، فَمُلابَساتُ الحِياةِ وَضُرُوراتُها واضْطِرارُها كَثِيراً ما تَنأى بِالْفَرْدِ في واقِعِهِ عَمَّا يَفْتَقِدُهُ في ضَميرِهِ، أو عَمَّا يَدْعُو إِلَيْهِ غَيْرَهُ.



والفردُ النَّائِي ما لم يتَّصل بالله ضعيفٌ مهما كانت قوّته، لأنَّ قوى الشرِّ والطُّغيان والإغواء أكبرُ منه، وقد يُغالبُها مرّةً ومرّةً ومرّةً، ولكنَّ لحظةً ضعفٍ تنتابُه فيتخاذلُ ويتهاوى، ويخسرُ ماضيه و حاضره ومستقبله.

فأما وهو يركنُ إلى الله فهو قويٌّ قويٌّ قويٌّ، أقوى من كلِّ قويٍّ، قويٌّ على شهوته وضعفه، قويٌّ على ضروراته واضطراراته، قويٌّ على ذوي القوّة الذين يواجهونه.

النَّاسُ وَالْخَطِيبُ:

ليكن في معلوم الخطيبُ خصوصاً والدُّعاةُ عموماً أنَّ العيونَ ترمقُهم أكثرَ من الأذانِ التي تُصغي إليهم وتترقبُ منهم عثرةً أو كبوّةً أو غلطةً.

- فيا أيُّها الخطيبُ إن أردتَ أن تأمرَ بمعروفٍ فكنْ أسبقَ النَّاسِ إليه.
- ويا أيُّها الخطيبُ إن أردتَ أن تنهى عن منكرٍ فكنْ أبعدَ النَّاسِ عنه أنتَ ومن لك سلطنةٌ عليه من أهلك.
- ويا أيُّها الخطيبُ تعهّد زوجتك وأولادك وأصدقاءك وأقرباءك أيضاً لأنَّ النَّاسَ يرونك في سلوكهم.
- واعلم أنَّ النَّاسَ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ إن رأوا خيراً سكتوا عنه، وإن رأوا شراً أذاعوه وأعلنوه، وما شيءٌ أحبُّ إلى بعضِ النَّاسِ من زلِّ الدُّعاةِ.
- وممّا زاد الطَّينَ بلةً الوسائلُ الحديثةُ التي باتت ترقبُ حركاتِ الدُّعاةِ وسكّاتهم وتذيعُها وتنشرُها هنا وهناك، بل وصارَ هناك من إذا سمعَ من الخطيبِ أمراً، أو رآه تصرّف تصرّفاً عرضَه على كلامٍ له أو تصرّف قيلَ في زمنٍ سابقٍ ليبينَ للناسِ مدى التعارضِ بين ما قيلَ في الأمسِ، وما يُقالُ اليومَ.



٢٩- الأجر والأجرة

إِنَّ الدُّعَاةَ مِنْ خُطَبَاءٍ وَغَيْرِ خُطَبَاءٍ كَغَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ، يَحْتَاجُونَ إِلَى مَوْرِدٍ مَالِيٍّ يَقْضُونَ بِهِ حَوَائِجَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ بِهِ مَاءَ وَجُوهِهِمْ، وَلَكِنْ مِنْ أَيْنَ يَحْصُلُ هَؤُلَاءِ عَلَى الْمَالِ؟



- إِنَّ بَعْضَ الدُّعَاةِ مِنْ خُطَبَاءٍ وَغَيْرِ خُطَبَاءٍ - وَهُمْ قَلَّةٌ - لَهُمْ مَوَارِدُهُمْ الْخَاصَّةُ بِهِمْ كَأَنْ يَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ الثَّرْوَةِ، وَهَؤُلَاءِ بِلا شَكٍّ مُسْتَغْنُونَ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ، بَلْ رُبَّمَا تَبَرَّعُوا بِأَمْوَالِهِمْ فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ!



- وَأَمَّا الْكَثْرَةُ الْكَائِثَةُ مِنَ الدُّعَاةِ خُطَبَاءً كَانُوا أَمْ غَيْرَ خُطَبَاءٍ فَلَيْسُوا مِنْ أَرْبَابِ الثَّرَوَاتِ، فَهُمْ يَعْتَمِدُونَ عَلَى مَا يَتَقَاضُونَ مِنْ مُرْتَبَاتٍ حُكُومِيَّةٍ أَوْ غَيْرِ حُكُومِيَّةٍ.

وَلَعَلَّ مِمَّا لَا يَعْلَمُهُ الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ أَنَّ مُرْتَبَاتِ الْعَامِلِينَ فِي الْمَوْسَسَةِ الدِّينِيَّةِ مِنْ خُطَبَاءٍ وَأُئَمَّةٍ وَمُؤَدِّينَ ... هِيَ أَقْلُ الْمُرْتَبَاتِ عَلَى الْإِطْلَاقِ بَيْنَ مُرْتَبَاتِ الْمُوظَّفِينَ فِي سُلُوكِ الدَّوْلَةِ، وَكَأَنَّ الْحُكُومَةَ تَرَى فِيهِمْ زَاهِدِينَ فِي حُطَامِ هَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، أَوْ يَخَافُونَ أَنْ يَفْتِنَهُمُ الْمَالُ، أَوْ لَا يُحِبُّونَ أَنْ يَجْتَمَعَ لَهُمُ الْأَجْرُ مِنَ اللَّهِ، وَالْأَجْرَةُ مِنَ الْحُكُومَةِ، وَلَعَلَّ الْأَمْرَ غَيْرُ ذَلِكَ!

يَحْدُثُ هَذَا فِي حِينٍ نَجْدُ جُيُوبَ وَخَزَائِنَ عُلَمَاءِ الْأَدْيَانِ مِنْ يَهُودٍ وَنَصَارَى ... وَالطَّوَائِفِ مِنْ شِيعَةٍ وَقَادِيَانِيِّينَ وَ... مُتَرَعَةً بِالْمَالِ، وَلَهُمُ الْجَاهُ وَالْحِظْوَةُ، وَلَهُمْ حَرِّيَّةُ الْحَرَكَةِ وَالْكَلِمَةِ!

وَإِنْ دَلَّ هَذَا عَلَى شَيْءٍ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الْاِسْتِهَانَةِ بِهِمْ وَالتَّضْيِيقِ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ مَاذَا يَفْعَلُ الدُّعَاةُ حِيَالَ هَذَا الْأَمْرِ؟

إِنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ يَتْرَكَ الدَّعْوَةَ وَيَلْتَفِتُ إِلَى لُقْمَةِ الْعَيْشِ، فَيَخْسِرُ الْحَقْلَ الدِّينِيَّ مَوَاهِبَهُ وَجُهْدَهُ .

وَإِنْ بَعْضُهُمْ قَدْ يَصْبِرُ عَلَى لَأَوَاءِ الْحَيَاةِ وَيُصْبِرُ زَوْجَتَهُ وَمَنْ يَعُولُ لَوْ صَبَرُوا.

وإنَّ بعضَهم يلجأ إلى أهلِ اليَسَارِ والثَّرْوَةِ ،فِيَتَمَلَّقُهُم لِيُصِيبَ مِمَّا عِنْدَهُم
وَهُم زَاهِدُونَ بِمَا عِنْدَهُ.



وبعضُهم - وأنا مِنْهم - يَبْحِثُ عَن أَعْمَالٍ
إِضَافِيَّةٍ تَسْتَنْزِفُ وَقْتَهُ، وَتُرْهِقُ جَسَدَهُ وَ لَكُمْ -
وَمَا زِلْتُ - أَعْمَلُ فِي التَّحْقِيقِ الْعِلْمِيِّ، وَمُرَاجَعَةِ
الْكَتُبِ قَبْلَ دَفْعِهَا إِلَى الْمَطْبَعَةِ، وَتَدْرِيسِ الْعَرَبِيَّةِ
لِطُلَّابِ الْمَدَارِسِ الْإِعْدَادِيَّةِ وَالثَّانَوِيَّةِ وَطُلَّابِ
الْجَامِعَةِ أَيْضاً، بَلْ إِنِّي فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ كُنْتُ اضْطَرُّ إِلَى بَيْعِ مَا نَمْلِكُهُ مِنْ
ذَهَبٍ قَلِيلٍ، أَوْ مَا يَحْوِيهِ مَنْزِلُنَا مِنْ أَثَاثٍ مُتَوَاضِعٍ.
وإنَّ الْأُمَّةَ الَّتِي لَا تَرَعَى عُلَمَاءَهَا وَالنَّابِغِينَ النَّابِهِينَ فِيهَا سَيَأْتِي يَوْمٌ
تَفْقِدُهُمْ فَلَا تَجِدُهُمْ وَمَا ذَاكَ الْيَوْمُ بَبْعِيدٍ.

يقول الشاعر :

سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جَدُّهُمْ وَفِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ الْبَدْرُ

- ٣ -



الخطبة

إعدادها - إلقاءها

ما هي الخطبة؟



ما هي الخُطبةُ؟

إنَّها تلك الرِّسالةُ النَّبيلةُ الَّتِي يُريدُ الخَطيبُ -خطيبُ المنابرِ والمُحافلِ- أن يوصلها إلى جُمهوره.

إنَّها للتَّعريفِ باللهِ للجَاهِلينَ به!

إنَّها لتوثيقِ الصِّلَةِ باللهِ للعارفينَ به

إنَّها لبيانِ ما أحلَّ اللهُ، ولماذا أحلَّه؟

إنَّها لبيانِ ما حرَّم اللهُ، ولماذا حرَّمه؟

إنَّها لتزكيةِ الضَّميرِ والشُّعورِ والعملِ والسلوكِ

إنَّها امتدادُ طيِّبٍ لتلك الخُطبةِ الَّتِي وقفَ فيها سيِّدُ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ

على الصِّفا

يَدْعُو النَّاسَ لِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ



— أ —

إعدادُ الخطبةِ

اصطيادُها — تحضيرُها

مقدّمُها — أفكارُها — خاتمتُها

الدُّعاء

١- ماذا سَأَقُولُ؟

• اصطِيَادُ المَوْضُوعِ:



ينتَابُ الكَثِيرَ مِنَ الخُطَبَاءِ سُؤَالُ مُلَحٍّ وَمُتَكَرِّرٌ: ماذا سَأَقُولُ فِي الأسبُوعِ القَادِمِ؟

وماذا سَأَقُولُ فيما لو قُدِّمْتُ للكَلَامِ فِي مَحْفَلٍ خَاصٍّ أَوْ عَامٍّ؟

وهل - يا ثَرَى - بَقِيَ ما يُقَالُ؟

• حَدَثُ السَّاعَةِ:



مع إِشْرَاقَةِ شَمْسِ كُلِّ يَوْمٍ جَدِيدٍ وَمَغِيبِهَا تُطَالِعُنَا وَسَائِلُ الإِعْلَامِ المُخْتَلِفَةِ بِكُلِّ نَبَأٍ جَدِيدٍ فِي مَجَالِ الاكْتِشَافَاتِ والاختِرَاعَاتِ والابتِكَاراتِ فِي شَتَّى المَجَالَاتِ المَدَنِيَّةِ كَالطَّبِيبَةِ والفَلَكِيَّةِ ... والعَسْكَرِيَّةِ، كما وتحدَّثْنَا عن الحُرُوبِ والصِّرَاعَاتِ فِي الدُّوَلِ وَبَيْنَ الدُّوَلِ، وعن الأَزْمَاتِ الاقْتِصَادِيَّةِ، والكَوَارِثِ الطَّبِيعِيَّةِ مِنَ التَّسُونَامِي والزَّلَازِلِ والصَّوَاعِقِ ... والأُوبئةِ العَابِرَةِ للقَارَاتِ وما وبَاءُ (الكُورُونَا) مِنَّا بِبَعِيدٍ، وما يَطْرَأُ عَلَى السَّاحَةِ مِنْ مَذَاهِبٍ فِكْرِيَّةٍ وَتِيَّارَاتٍ سِيَاسِيَّةٍ ... ووفاةٍ مَشَاهِيرَ مِنْ نُجُومِ العَالَمِ وَ... الخ

ولا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الأَحْدَاثَ المُخْتَلِفَةَ والمُتَنَوِّعَةَ تُشَكِّلُ للخطيبِ -خطيبِ المَنَابِرِ والمَحَافِلِ- بَحْرًا واسِعًا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصْطَادَ مِنْهُ مَوْضُوعَهُ طَارِجًا، وَيَقْدِمَهُ لِجُمْهُورِهِ نَضِيجًا، وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ قَدْ تَوَثَّقَ مِنْ مَصْدَرِ المَعْلُومَاتِ، وَتَوَضَّحَتِ الصُّورَةُ عِنْدَهُ، وَأَحْسَنَ الفَهِمَ لِلحَدَثِ، وَالتَّحْلِيلَ لَهُ، والاسْتِنْبَاطَ مِنْهُ، وَإِلَّا فليَتَرَيَّبْ قَلِيلًا فَمَا أَكْثَرَ المَعْلُومَاتِ الكَاذِبَةَ، وَالتَّحْلِيلَاتِ المُضِلَّةَ، وَالتَّعْلِيقَاتِ المُرِيبةَ.

• المُناسَبَات:

إن لم يكن ثَمَّة حَدَثٌ مُهمٌّ، أو كانَ وَلَكِنْ صورته لم تتَّضح بعدُ فليُنظر الخَطيْبُ هل ثَمَّةُ مُناسِبَةٍ قادمةٍ دينيَّةٍ كانت أم سياسيَّةٍ أم تاريخيَّةٍ ... فليجعلها مَوْضوعاً لَخُطْبَتِهِ وكلمته.



فالمُناسَبَاتُ الدِّينيَّةُ مثلُ: اقترابِ دخولِ شهرِ رمضانَ، أو عيدِ الفطر، أو الأضحى، أو مُناسِبَةِ الهَجْرَةِ، أو ذِكْرَى ميلادِ سيِّدِ الوُجودِ، أو ذِكْرَى الإسراء... الخ



والمُناسَبَاتُ التَّاريخيَّةُ: مثلُ انتصارِ المُسلمينَ في بدرٍ، وفتحِ مَكَّةَ، وبيتِ المقدسِ، ثمَّ تحريره على يدِ صلاحِ الدينِ النَّاصرِ، وضياعه زَمَنَ جمالِ عبدِ النَّاصرِ، وسُقُوطِ الأندلسِ، وفتحِ القِسطنطينيَّةِ ...

والمُناسَبَاتُ السِّياسيَّةُ مثلُ: عيدِ الجَلَاءِ ...

وألفتُ انتباهَ الخَطيْبِ هنا إلى ضرورةِ أن يُقدِّمَ الخَطيْبُ في كُلِّ مَرَّةٍ جَدِيداً لجمُهوره، ولا يُكرِّرَ ما قاله في اللِّقاءِ السَّابقِ، ولن يَسْتَطِيعَ ذلكَ حتَّى يُكثِرَ من القراءةِ والتَّفكيرِ.

• حَقائِقُ الإسلامِ الكُبرى:

إذا لم يكن ثَمَّة حَدَثٌ يَسْتَدعي طَرَحَهُ من على المِنبرِ، ولم تكن ثَمَّةُ مُناسِبَةٍ سَتُطلُّ برأسِها، فَحَسَبُ الخَطيْبِ أن يُذَكِّرَ جُمهورَه بِحقائِقِ الإسلامِ الكُبرى في المَجالِ العَقديِّ أو التَّشريعيِّ أو الأخلاقيِّ وفي تَقديرِ أنْ اقتِصارَ الكثرةِ الكاثِرةِ من الخُطباءِ على مَواضيعَ مُحدَّدةٍ في مَجالِ العقيدةِ أو الشَّريعةِ أو الأخلاقِ جعلَ خَياراتِهِ ضيقَةً، وقد أَفضنا في هذه النُّقطةِ في مبحثِ

" عِلْمانيونَ وَلَكِنْ لا يَشْعرونَ ".

• الوادي الآخر:

لبعض الخطباء مسلكٌ غريبٌ في اختياره لخطبته فهو مقطوع الصلة عما يجري في العالم من أحداثٍ، ولعله لم ينتبه إلى أن مناسبة مهمة قد أطلت برأسها أو ستطل برأسها عما قريب فيأتي الناس بخطبة تكشف عن أن صاحبها في وادٍ، والجمهور في وادٍ آخر.

يقول الدكتور عماد الدين الرشيد في كتابه "ثقافة الخطيب" ص/ ٣:

" فهذا خطيبٌ يعتلي المنبرَ وذهنه خالٍ من فكرة يُقدّمها للناس!

وهذا تشغله مسألة شرعيةً تجاوزها الزمانُ فيعزم على أن يطرحها على الناس وكأنهم يُشاركونه همّة المُنذر!

وهذا يعيش وعيه في زاوية مهجورة من المجتمع وحتى التاريخ، فيطرح على الناس أبعد الموضوعات عن أحداث الساعة التي تمرُّ بالأمّة، فبينما يموت إخوانه في أرض الإسلام ينشغل هو بالحديث عن الزهد والفضيلة والعفو!

ويقول في موضع آخر ص/ ٢١ " إن الخطيب البائس الذي يخرج على الناس، ويتكلّم بكلام جامدٍ بينما يُقتل المسلمون في بقاع شتى ... هذا خطيبٌ بعيدٌ عن الواقع، خطيبٌ لا يعرف شيئاً عن الحياة، خطيبٌ معزولٌ في برج عاجيّ ."

• من الواقع:

دُعيت ذات مرّة إلى حفلٍ بمناسبة افتتاح سوقٍ تجاريٍّ جديدٍ، وبعد الإنشاد، قدّم أحد الحاضرين ليتكلّم فتكلّم بموضوع لا صلة له بالبتّة بالمناسبة التي دُعينا من أجلها، ولكم وددت أن أقدم للكلام فأتحدّث عن أهميّة السوق في حياة الناس، وأهميّة انضباط الأسواق بالضوابط الشرعيّة، وأذكر الأغنياء من الحاضرين

بالفقراء الغائبين وأن يكونَ في السوقِ متاجرٌ خاصةٌ للفقراء ... ولكني لم أقدم، ولم يُغن من قُدِّم شيئاً وهكذا ضاعت هذه الفرصة!



وقف أحدهم خطيباً على منبره يوم الجمعة وكانت الدنيا تهوُّج وتَموجُ بأخبار تلك الصور المسيئة لحضرة الرسول ﷺ وللمسلمين وللإسلام كله! غير أن فضيلته خاض في وادٍ آخر، فإذا بشابٍ ينتفضُ ويثورُ في وجهه مُتَعَجِّباً من تصرُّفه وخطبته وطالبه أن ينصُرَ الرسول ﷺ ولو بكلمة، ولكنَّ الخطيبَ البائسَ التَّعَسَّ تابعَ موضوعه الفذَّ كأن شيئاً لم يكن!

• حُجَّةٌ واهية!

قلتُ لأحدهم: لماذا لا تتحدَّثَ عن الموضوع الفُلاني؟ فقال لي بكلِّ شفافيةٍ ووضوح: لم يَأْتِنِي تكليفٌ بذلك؟

فقلتُ له: اعلم يا هذا أنَّكَ مكلفٌ من الله، وليس عليك أن تنتظر تكليف وزارة الأوقاف، وبئس الخطيبُ ذاك الذي ينتظر التوجيهات والتعميمات ... ولكنَّ صاحبنا كما قال المثلُّ :

"أذن من طين وأذن من عجين".



٢- ما تُريدُ أن تقولَ



قد تتزاحمُ المواضيعُ أمامَ الخطيبِ، فهذا حَدَثٌ عالميٌّ أو محليٌّ، وتلكُ مُناسبةٌ تُوشِكُ أن تُطلَّ برأسها ... وكلُّ موضوعٍ يتطلَّعُ لأن يكونَ هو الموضوعُ الَّذي سيُقدَّمُ للجُمهورِ.

فعلى الخطيبِ - لزوماً - أن يختارَ موضوعاً واحداً يراه الأنسبَ لجُمهوره، والأبرأ لِدِمَّتِه عندَ رَبِّه الَّذي أصعدَهُ المنابرَ، وصدَّرَه في المحافلِ.

من نصائحِ خطيبٍ مُجربٍ:



يقولُ مُحَمَّدُ الغزالي في مُقدِّمةِ خُطْبِه (١٩/١): يَحْسُنُ أن يكونَ لُخْطَبَةِ الجُمعةِ مَوْضوعٌ واحدٌ غيرُ مُتَشعِّبِ الأطرافِ، ولا مُتَعَدِّدِ القَضَايا.

فإنَّ الخطيبَ الَّذي يَخوضُ في أحاديثٍ كَثيرةٍ يُشَتِّتُ الأذهانَ، وينتَقِلُ بالسَّامعينَ في أوديةٍ تتخلَّلُها فَجَواتُ نَفْسِيَّةٍ وفِكْرِيَّةٍ بَعيدةٍ، ومَهما كانت عِبَارَتُهُ بليغةً، ومَهما كانَ مُسترسِلاً مُتَدَقِّقاً فإنَّه لن ينجَحَ في تَكوينِ صُورةٍ عَقْلِيَّةٍ واضِحَةٍ لتعاليمِ الإسلامِ.

أخطاء وعثرات:

خَطَبْتُ ذاتَ مرَّةٍ فلمْ أَقْتَصِرْ على مَوْضوعٍ واحدٍ، وما إنْ انتهتِ الخُطبةُ حتَّى جاءني مَنْ لَفَتَ نظري لذلك، وَ حَسَنًا ما فَعَلَ، فالْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ نَصِحةٌ.

وَ خَطَبْتُ ذاتَ مرَّةٍ عن السِّحر، ودَعاني إلى ذلك سَاحِرٌ دَجَّالٌ كَذَّابٌ حَلَّ في القَريَةِ الَّتِي كُنْتُ أَخْطُبُ فيها، ولكِنِّي أَطَلْتُ وَشَعَرْتُ بِذلك، وَبَعْدَ الخُطبةِ دَنَا مِنِّي صَدِيقٌ أَتَقُّ بِهِ وَبِرَأْيِهِ، فَقَالَ: لا أَجْمَلُ مِمَّا قُلْتَ وَلَكِنَّكَ أَطَلْتَ وَحَبَّذا لو قَسَمْتَ مَوْضوعَكَ على خُطبتَيْنِ، فَاسْتَمَعْتُ لَهُ وَصِرْتُ – إِذا ما اسْتَشَعَرْتُ أَنَّ المَوْضُوعَ أَوْسَعُ مِنْ خُطبةٍ – أَجْزئُهُ على خُطبتَيْنِ أو أَكْثَرَ.



٣- تَحْضِيرُ الْمَوْضُوعِ

إِحْذَرْ هَذَا الْمَسْلَكَ:



لِبَعْضِ الْخُطَبَاءِ مَسْلَكٌ مُزِرٌّ، وَطَرِيقَةٌ مُنْكَرَةٌ فِي تَحْضِيرِهِ لِمَوَاضِيْعِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا مَا وَقَعَ اخْتِيَارُهُ عَلَى مَوْضُوعٍ مَا، وَلِنَفَرٍ ض - هُنَا - أَنَّهُ مُنَاسِبٌ، فَإِنَّهُ يَبْدَأُ بِالْبَحْثِ عَمَّنْ كَتَبَ خُطْبَةً، أَوْ خَطَبَ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ، فَيَسْعَى لِلْحُصُولِ عَلَى نُسخَةٍ مِنْهُ، ثُمَّ يُلقِيهَا مِنْ عَلَى مِنْبَرِهِ أَوْ فِي مَحْفَلِهِ كَمَا هِيَ، أَوْ بَعْدَ أَنْ يُجْرِي عَلَيْهَا بَعْضًا مِنَ التَّعْدِيلَاتِ كَتَعْدِيلِ اسْمِ السُّلْطَانِ !

إِنَّ هَذَا الْمَسْلَكَ مَسْلَكٌ يَدُلُّ عَلَى خُمُولِ صَاحِبِهِ، وَقَلَّةِ عَزِيمَتِهِ، وَلَا يُؤْمَلَنَّ مِنْ كَانَ هَذَا حَالُهُ أَنْ يُؤَثَّرَ فِي جُمْهُورِهِ، أَوْ أَنْ يَتَأَثَّرَ جُمْهُورُهُ بِهِ!

مَا قَبْلَ التَّحْضِيرِ!

عَلَى الْخَطِيبِ - وَ نَذَرُ مَنْ يَفْعَلُ هَذَا - قَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ بِتَحْضِيرِ مَوْضُوعِهِ الَّذِي وَقَعَ اخْتِيَارُهُ عَلَيْهِ، أَنْ يَطْرَحَ عَلَى نَفْسِهِ مَجْمُوعَةً مِنَ الْأَسْئَلَةِ:



١- هل لديه القُدرةُ على تَنَاوُلِ مِثْلِ هَذَا الْمَوْضُوعِ؟ أم أَنَّهُ فَوْقَ قُدْرَتِهِ؟

٢- هل هو على قَنَاعَةٍ تَامَةٍ بِكُلِّ مَا سَيُقَدِّمُهُ لِجُمْهُورِهِ؟

٣- هل لِلْجُمْهُورِ رَغْبَةٌ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ؟ وَحَاجَةٌ إِلَيْهِ؟ وَقُدرةٌ عَلَى اسْتِيعَابِهِ؟

فَإِذَا كَانَ الْجَوَابُ بِالْإِيجَابِ فَلْيَبْدَأْ إِذَا بِتَحْضِيرِ مَوْضُوعِهِ تَمْهِيدًا لِلِإِلْقَائِهِ، وَإِنْ كَانَ بِالنَّفْيِ فَلْيَخْتَرْ غَيْرَهُ.

وَمِنَ الْمُؤَسِفِ أَنَّ الْكَثِيرَ مِنَ الْخُطَبَاءِ لَا يَخْطُرُ لَهُمْ مَا سَبَقَ عَلَى بَالٍ، مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى عَدَمِ الْإِسْتِفَادَةِ مِنْ خُطْبِهِمْ ، وَتَضْيِيعُ أَوْقَاتِ الْجُمْهُورِ بِلَا فَائِدَةٍ .

التَّحْضِيرُ الصَّحِيحُ:

إِنَّ التَّحْضِيرَ الصَّحِيحَ الْمُعْتَمَدَ عَلَى خُطَوَاتٍ مَدْرُوسَةٍ ، وَأُسُسٍ صَحِيحَةٍ مِنْ أَسْرَارِ نَجَاحِ الْخُطْبَةِ، كَيْفَ لَا وَالْخُطْبَةُ لَا تَعْدُو أَنْ تَكُونَ تَحْضِيرًا مَدْرُوسًا، وَإِلْقَاءً قَوِيًّا وَقَوَامُهُ أَمْرَانِ:

١- جَمْعُ الْمَادَّةِ الْعِلْمِيَّةِ.

٢- التَّفْكِيرُ.

جَمْعُ الْمَادَّةِ الْعِلْمِيَّةِ (الْمَادَّةُ الْخَامُ):



إِنَّ الْخُطْوَةَ الْأُولَى فِي مَرَحَلَةِ التَّحْضِيرِ هِيَ جَمْعُ الْمَادَّةِ الْعِلْمِيَّةِ، وَتَعْنِي أَنْ يَقْرَأَ الْخَطِيبُ كُلَّ مَا يَقَعُ تَحْتَ يَدِهِ مِمَّا لَهُ صِلَةٌ بِمَوْضُوعِهِ الَّذِي يَعْتَزُّمُ تَقْدِيمَهُ وَإِلْقَاءَهُ عَلَى جُمْهُورِهِ.

فَعَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ إِذَا أَرَادَ الْخَطِيبُ أَنْ يَخْطُبَ عَنِ السِّحْرِ، أَوِ الْأَبْرَاجِ، أَوِ الرَّبَا ... فَعَلَيْهِ أَنْ يَقْرَأَ كُلَّ مَا لَهُ صِلَةٌ بِمَوْضُوعِ السِّحْرِ أَوِ الْأَبْرَاجِ أَوِ الرَّبَا ... مِمَّا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ ، وَالحَدِيثِ ، وَكُتُبِ الْفِقْهِ ، وَالكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ ... وَلَكِنْ هَلْ تُعَدُّ هَذِهِ الْخُطْوَةُ كَافِيَةً لِوَحْدِهَا؟



يُجِيبُ عَنْ ذَلِكَ صَاحِبُ " فَنِّ الْخُطَابَةِ " قَائِلًا: إِنَّ الْإِكْتِفَاءَ بِالْقِرَاءَةِ مَا هُوَ إِلَّا نَوْعٌ مِنَ التَّحْضِيرِ، لَكِنَّهُ لَيْسَ بِالنَّوْعِ الْأَفْضَلِ، فَالْقِرَاءَةُ رُبَّمَا تُسَاعِدُ، لَكِنْ إِذَا حَاولَ أَنْ يَأْخُذَ أَفْكَارَهُ مِنَ الْكُتُبِ، وَيُورِدَهَا كَمَا هِيَ فَسَتَأْتِي خُطْبَتُهُ هَزِيلَةً وَنَاقِصَةً.

وَرُبَّمَا لَا يَعْرِفُ الْجُمْهُورُ مَا الَّذِي يَنْقُصُ، إِلَّا أَنَّهُ لَنْ يَنْجَذِبَ إِلَى الْخَطِيبِ.

أقول: لقد وَضَعَ الرَّجُلُ يَدَهُ عَلَى سِرٍّ مِنْ أَسْرَارِ إِخْفَاقِ كَثِيرٍ مِنَ الْخُطَبَاءِ
حَيْثُ تَحَوَّلَتْ خُطْبُهُمْ إِلَى مَا يُسَمَّى بِـ " قِصِّ وَلِصْقٍ " مِثْلَ كَثِيرٍ مِنْ رَسَائِلِنَا
الْجَامِعِيَّةِ!

لماذا كلُّ هذا الجُهدِ:

?

صَحِيحٌ أَنَّ الْخَطِيبَ لَنْ يُقَدِّمَ إِلَى جُمُهورِهِ كُلِّ وَلَا أَكْثَرَ مَا قَرَأَ، بَلْ بَعْضاً
يَسِيرَاً مِمَّا قَرَأَ، وَلَكِنْ يَبْقَى لِلْإِحَاطَةِ بِأكْبَرِ قَدْرِ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ حَوْلَ الْمَوْضُوعِ
قَوَائِدُ مَهْمَةٌ جَدّاً:



١- التَّأَكُّدُ مِنْ صِحَّةِ الْمَعْلُومَاتِ الَّتِي سَيُقَدِّمُهَا الْخَطِيبُ
لِجُمُهورِهِ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ مُقَابَلَةِ الْمَعْلُومَاتِ بَعْضُهَا مَعَ
بَعْضٍ.

يَقُولُ أَحَدُ الْخُطَبَاءِ الْمَشْهُورِينَ: يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْخَطِيبُ سَيِّدَ مَوْضُوعِهِ،
وَيَعْنِي هَذَا أَنْ تَجْمَعَ الْحَقَائِقَ، وَتُنَسِّقَهَا، وَتَدْرُسَهَا، وَتَفْهَمَهَا وَلَيْسَ مِنْ نَاحِيَةٍ
وَاحِدَةٍ بَلْ مِنْ جَمِيعِ النَّوَاحِي، كَمَا يَجِبُ التَّأَكُّدُ مِنْ أَنَّهَا حَقَائِقُ، وَلَيْسَتْ مُجَرَّدَ
افْتِرَاضَاتٍ غَيْرِ مُبْرَهَنٍ عَلَيْهَا.



٢- التَّأثيرُ الإيجابيُّ على الْخَطِيبِ:

يَقُولُ صَاحِبُ " فَنِّ الْخُطَابَةِ ": اِجْمَعْ الْمَزِيدَ مِنَ الْمَوَادِّ
وَالْمَعْلُومَاتِ أَكْثَرَ مِمَّا يُمَكِّنُ اسْتِخْدَامَهُ:

١- مِنْ أَجْلِ التَّأَكُّدِ مِنْ صِحَّةِ مَا لَدَيْكَ.

٢- وَفِي سَبِيلِ التَّأثيرِ الَّذِي سَتُخَلِّفُهُ فِي عَقْلِكَ وَقَلْبِكَ وَأُسْلُوبِكَ فِي
إِلْقَاءِ الْخُطْبَةِ.

فهذا عاملٌ أساسيٌّ مُهمٌّ فِي التَّحْضِيرِ.



٣- للإجابة عن التساؤلات والاستفسارات:



كثيراً ما تُثيرُ خُطبةُ الخُطباءِ المُتميّزينَ أسئلةً واستفساراتٍ من الجُمهورِ، يَطرحونها على الخُطيبِ بعدَ الانتهاءِ من خُطبتهِ، فيُقبلونَ نَحْوَهُ، ويَحلقونَ حَوالَيْهِ، يَسألونَهُ، وَيستفسرونَ عَمَّا أَشكَلُ لَدِيهِمْ، أو أثارَهُ في أَذهانِهِمْ ما قالَهُ، ولا شكَّ أَنَّ سَعَةَ الاطِّلاعِ على المَوضوعِ ستَكُونُ مَلجأَ الخُطيبِ أمامَ جُمهورِهِ.

٤- الرَّد على المُشكِكين:

نحنُ في عَصْرِ لم يَعُدِ الجُمهورُ يُسلِّمونَ بكلِ كلامِ الخُطيبِ، فعلى الخُطيبِ وهو يُعدُّ خُطبتهِ أن يَضَعَ هذا الأمرَ بعينِ الاعتبارِ، ولَقَدْ حَدَثَ هذا مَعِيَ كَثيراً جَدًّا، ولَولا أَنِّي كُنْتُ عِنْدَ التَّحضيرِ أَكثَرَ من القِراءةِ والمُطالعةِ لأُحَرِّجَتَنِي الكَثِيرُ من الاعتِراضاتِ، وسأورِدُ بَعْضاً مِنْها في مَحَلِّها.

• التَّفكيرُ:

بعدَ أن يُنهيَ الخُطيبُ جَولتهِ بَينَ المَصادرِ والمَراجِعِ – العالِمةِ مِنْها والخاصَّةِ – باحثاً ومُنقِياً وجامِعاً لأَكْبَرِ كَميَّةٍ من المَعلُوماتِ ممَّا لهُ صِلَةٌ بمَوضوعِهِ الَّذي يَعتَزمُ تَقديمَهُ لَجمهورِهِ ... فَعليه أن يَخطُو خُطوتَهُ الثَّانيةَ وهي مَرحَلَةُ التَّفكيرِ.

ومن خِلالِ التَّفكيرِ المُركَّزِ والهادِفِ يُحصِلُ الخُطيبُ الثَّمراتِ الآتيةَ:

١- يَنتَقِي من خِلالِ الكَثِيرِ الَّذي اطَّلَعَ عليه أَجودَ وأنفَسَ ما سَيَقْدِمُهُ للجُمهورِ، ففي اختِيارِ المرءِ ما يَدُلُّ على عَقَلِهِ.

٢- يَقومُ بِتنسيقِ وترتيبِ ما وَقَعَ اختِيارُهُ عليه تَرتيباً مَنطِقيّاً:



مُقَدِّمَةٌ - عَرَضٌ - خَاتِمَةٌ.



وذلك ليعلم من أين يبدأ ، وإلى أين سيسيرُ ، وكيف سينتهي ، وإلا صار حاله كمن يكتب رسالة حب - كما يقول روسو - " بدأ من دون أن يعرف ما الذي سيقوله ، وانتهى من دون أن يعرف بما نطق "

يقول صاحبُ كتاب " فن الخطابة " إنَّ الخطابَ هو رحلة ذات هدفٍ ، ويجب أن تكون ذات امتيازٍ ، والإنسان الذي يبدأ بمكان غير مُحدَّدٍ ، ينتهي عادةً هناك .

ويُتابع قائلاً: ووَدِدْتُ لو أستطيعُ رسمَ قولِ نابليون فوق كلِّ بابٍ في الأرض ، حيثُ يتجمّع طُلابُ فنِّ الخطابة " إنَّ فنَّ الحربِ هو علمٌ حيثُ لا ينجحُ الأمرُ الذي لم يُحسبَ له أو يُفكَّرَ به "

والأمرُ صحيحٌ في الخطابة تماماً كما في القتالِ ، ولكن هل يُدركُ الخطباءُ ذلك ، أو إن هم فعلوا فهل يستخدمونه دائماً؟



كلاً ، فمعظمهم لا يفعلُ ذلكَ وغالباً ما يكونُ الخطابُ أقلَّ تنسيقاً من طبقِ سمكٍ .

٣- يُضيفُ من خلالِ تفكيره جديداً على الموضوع الذي سيطرّحه على

جمهوره من خلال:

١- استنتاجاته .

٢- ملاحظاته .

٣- إبداء رأيه الخاص ، وموقفه من بعض نقاطِ موضوعه أو منه كُله .



يقولُ صاحبُ كتابِ فنِّ الخطابة: إنَّ تحضيرَ الخطابِ لا يعني جمعَ بعضِ العباراتِ الصَّحيحة ، إنَّه يعني جمعَ أفكارك وأرائك .

إنَّ التَّحضيرَ يعني التَّفكيرَ ، والاستنتاجَ ، واختيارَ ما يُعجبُك ، وصقله ، وجمعه في وحدةٍ فنيّةٍ من صنْعِكَ الخاصِّ .

إنَّه يحتاجُ - فقط - إلى القليلِ من التَّركيزِ والتَّفكيرِ الهادفِ .

أقول: وهذا سرٌّ آخرٌ من أسرار إخفاق الغالبية العظمى من خطبائنا، وهو غياب ذاتية الخطيب، فكثيرٌ من خطبائنا لا يعدُّون أن يكون ناقلًا لما قرأه مع التنسيق أو من غير تنسيق، ولعلَّه لم يتنبَّه إلى أنَّ أكثرَ ما يجذب الجمهورَ إلى خطيبه هو ظهورُ ذاتيةِ ذاك الخطيب، وأكثرُ ما يتجلَّى ذلك في جديد ما يُقدِّمه الخطيبُ على موضوعه من استنتاجاته، أو نقده، أو إبداء رأيه، ومُشارَكَته للجماهير في تجربته الذاتية.

فيا أيُّها الخطيبُ احرصْ على أن تسكِّب من نفسك في موضوعك، وسترى الفرقَ عندَ أوَّلِ خطبةٍ تُقدِّمها على هذا النحو.

مثال رائع:



يقولُ صاحبُ كتابٍ "فن الخطابة": "منذُ مُدَّةٍ قامَ الكاتبُ - يعني نفسه - بتدريس فنِّ الخطابة لمجموعةٍ من رؤساءِ المصارفِ في مدينةِ "نيويورك" ومن الطبيعي أنَّه لم يكنْ لدى هذه المجموعة الوقتُ الكافي لتحصير الخطب بشكلٍ دائمٍ.

كانت هذه المجموعة تلتقي كلَّ يومٍ جمعةٍ من الساعة الخامسة حتَّى السابعة، وفي يومٍ من أيام الجمعة، وجدَ أحدُ السادة - سندعوه بالسيد جاكسون لأسبابٍ خاصَّةٍ - أنَّ الساعة أصبحت الرابعة والنصف. فما الذي سيحدثُ بشأنه؟

أخرجَ من مكتبه نسخةً من مجلةٍ "فوربس" وفي طريقه إلى "بنكِ الموارِدِ الفيدرالي" حيثُ تجتمعُ المجموعة، قرأَ مقالةً عنوانها "لديكَ عشرُ سنواتٍ فقط للنَّجاح". قرأها، ليسَ لأنَّه مُعجبٌ بالمقالة، ولكنَّ لأنَّ عليه أن يخطبَ حولَ شيءٍ ما، ليملاً وقته.

وبعدَ ساعةٍ، وقفَ السيد جاكسون وحاولَ أن يتحدثَ بشكلٍ مُقنعٍ ومُثيرٍ عن محتوياتِ تلكِ المقالة، فما كانت النتيجة؟

لم يفهم أو يُستَسعَ ما حاولَ قوله.

إنَّ محاولته كانت التعبيرَ الدقيقَ، لأنَّه ليسَ لديه أيَّةُ رسالةٍ حقيقيَّةٍ يسعى إلى إبلاغها، وقد عبَّرَ عن ذلك أسلوبه ونبرته. فكيف يتوقَّع من الجمهور أن يتأثَّرَ أكثرَ ممَّا فعلَ هو؟

كان جاكسون يعودُ إلى المقالة قائلاً:



إنَّ المؤلِّفَ قالَ كذا وكذا، كانَ لديه الشَّيْءُ الكَثِيرُ في مَقالةٍ مَجَلَّةٍ " فوريس " لكنَّ القليلَ من السيِّد جاكسون الذي قاله أيُّ أنَّه لم يُضِفْ شَيْئاً ذا قيمةٍ تُذكرُ. وهكذا خاطبَه الكاتبُ كارينجي بما يُشبه التَّالي:

" يا سيِّد جاكسون، نحنُ لا نَهْتُمُ بالشَّخصيَّةِ الخياليَّةِ الَّتِي كَتَبْتَ المَقالةَ، فهي ليستُ موجودةً بيننا، كما لا نَسْتَطِيعُ أن نراها، لكنَّنا نَهْتُمُ بِكَ وبأرائِكَ. أخبرنا بما تُفَكِّرُ بِهِ شَخْصِيّاً، وليسَ بما قاله إنسانٌ آخرُ، ضع المَزِيدَ من أفكارِ السيِّد جاكسون، لِمَ لا تَتَنَاولُ المَوْضوعَ في الأسبوعِ المُقبِلِ؟

لِمَ لا تَقْرَأَ المَقالةَ ثَانيَةً وتَتَساءَلُ عَمَّا إذا كُنْتَ تَتَّفِقُ مع المؤلِّفِ أم لا؟ إن كُنْتَ كذلكَ، فَكِّرْ بِمُقْتَرَحَاتِهِ وزوِّدْها بِمُلاحَظَاتٍ مَأخوذةٍ من تَجربَتِكَ الخاصَّةِ.

وإن لم تَتَّفِقْ معه، أخبرنا بِذلكَ و قدِّمَ لنا الأسبابَ، دَعِ هذه المَقالةَ تَكونُ مُجرَّدَ نُقطةٍ انْطِلاقٍ تَبْدَأُ مِنْها خِطابَكَ.

قَبْلَ السيِّد جاكسون هذا الاقتِراحَ، وأعادَ قِراءةَ المَقالةِ فاستنتَجَ أنَّه لا يَتَّفِقُ بَتَاتاً مع المؤلِّفِ، وازدادَ مَوْضِعُ المَقالةِ عُمقاً لديه عِنْدَما فَكَّرَ بِهِ في لَحَظَاتِ الفَراغِ خِلالَ الأيَّامِ القادِمةِ.

وعِنْدَما تَحَدَّثَ السيِّدُ جاكسونُ حَوْلَ المَوْضوعِ، وكانَ لديه شَيْءٌ خاصٌّ بِهِ، لديه المَوادُّ الخامُ الَّتِي اسْتَخَرَجَها من أَفكارِهِ، وَقَدْ تَحَدَّثَ بِشَكلٍ أَفضَلَ لأنَّه لم يَتَّفِقْ في الرَّأيِ مع مُؤلِّفِ المَقالةِ.

فليسَ هُناكَ من دافعٍ لِلإثارةِ كَقَلِيلٍ مِنَ المُعارِضةِ، وهكذا نَلْمِسُ الفَرقَ بَينَ الخِطابَينِ اللَّذَينِ ألقاهُما شَخْصٌ واحِدٌ حَوْلَ مَوْضوعٍ واحدٍ، والفَرقُ هو في التَّحْضيرِ الصَّحيحِ.

-المقدمة-

للخطباء -خطباء المنابر والمحافل- في صياغة مُقدماتهم وصناعتها مذهبان مُرضيان:

١- فبعضهم يلتزم بمقدمة واحدة يستهل بها خطبه من على منبره، أو في محافله، وحتى في دروسه حتى بات يُعرف بها، غير أنه يُراعي في خطبة الجمعة والعِيدين ما عدّه بعض الفقهاء من أركان خطبة الجمعة والعِيدين وهي بالتحديد ثلاثة:

١ - حمدُ الله تعالى.

٢ - والصلاة على رسول الله ﷺ.

٣ - والوصية بالتقوى ... وهي واجبة في كل من الخطبتين. ويُضم إلى ما ذُكر الشهادتان، وضمُّهما سنة.

وهذا المسلك هو مسلك غالب الخطباء، وهو مسلك سليم ولا غبار عليه.

٢- وبعضهم - وأنا منهم - يجعل لكل خطبة مقدمة خاصة بها تتناسب مع موضوعها، وتدل عليه، أو تُشير إليه من طرف جلي أو خفي، يُدركه الجمهور الذكي مع مراعاة ما سبق طبعاً.

يقول ابن المقفع: " وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته".

و يُعلّق الجاحظ في بيانه على هذا الكلام (١ / ٧٦) فيقول: كأنه يقول: فرق بين صدر (مقدمة) خطبة النكاح، وبين صدر خطبة العيد، وخطبة الصلح، وخطبة المواهب حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه، فإنه لا خير في كلام لا يدل على معنأك، ولا يُشير إلى مغزأك، وإلى العمود الذي إليه قصدت، والغرض الذي إليه نزلت.



نماذج رائعة :



مقدمة خطبة عن الذكر:

" الحمد لله الشَّامِلَةُ رَأْفَتُهُ، العَامَّةِ رَحْمَتُهُ، الَّذِي جازَى عِبَادَهُ عن ذِكْرِهِم بِذِكْرِهِ فَقَالَ ﴿ فَادْكُرُونِي ﴾ ﴿ اذْكُرْكُمْ ﴾ ورَغَّبَهُم في السُّؤالِ والدُّعاءِ بأمرِهِ فَقَالَ ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ فَأَطَمَعَ الْمُطِيعَ والعَاصِيَ، والدَّانِيَ والقَاصِيَ، في الانبِساطِ إلى حَضْرَةِ جَلالِهِ، برفع الحاجاتِ والأمانِي بِقَوْلِهِ ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ والصَّلَاةُ على مُحَمَّدٍ ﷺ سيِّدِ أنبيائه وسلَّم تسليماً كثيراً ...



مقدمة خطبة عن الزواج:

" الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي من بدائعِ ألطافِهِ أن خَلَقَ من الماءِ بَشَرًا، فَجَعَلَهُ نَسَبًا وصِهرًا، وسلَّطَ على الخَلْقِ شَهْوَةً اضْطَرَّهم بها إلى الحِراثةِ جَبْرًا، واستَبَقَى بها نَسْلَهُم إقهارًا وقَسْرًا، ثُمَّ عَظَّمَ أَمْرَ الأنسابِ، وجَعَلَ لها قَدْرًا فحَرَّمَ بسببِها السِّفَاحَ، وبالغَ في تَقْيِيحِهِ رَدْعًا وزَجْرًا، وجَعَلَ اقْتِحامَهُ جَرِيمَةً فاحِشَةً وأَمْرًا إِمْرًا، وَنَدَبَ إلى النِّكاحِ، وَحَثَّ عليه اسْتِحبابًا وأَمْرًا، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على مُحَمَّدٍ المَبْعُوثِ بالإنذارِ والبُشرى.



مُقَدِّمَةُ خُطْبَةٍ عَنِ الْمَوْتِ:



" الحمدُ لله الذي قصَمَ بالموتِ رقابَ الجبابرةِ،
وكسَرَ به ظهورَ الأكاسرةِ، وقصَّرَ به آمالَ القياصرةِ،
الَّذِينَ لَمْ تَزَلْ قُلُوبُهُمْ عَنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ نَافِرَةً، حَتَّى جَاءَهُمُ
الْوَعْدُ الْحَقُّ فَأَرَادَهُمْ فِي الْحَافِرَةِ، فَنُقِلُوا مِنَ الْقُصُورِ
إِلَى الْقُبُورِ، وَمِنْ ضِيَاءِ الْمُهَوِّدِ إِلَى ظُلْمَةِ اللَّحُودِ، وَمِنْ مُلَاعِبَةِ النِّسَاءِ إِلَى
مُقَاسَاةِ الدِّيدَانِ، وَمِنْ التَّمَتُّعِ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَى التَّمَرُّغِ فِي التُّرَابِ، وَمِنْ
أُنْسِ الْعِشْرَةِ إِلَى وَحْشَةِ الْوَحْدَةِ، وَمِنْ الْمَضْجَعِ الْوَثِيرِ إِلَى الْمَصْرَعِ الْوَبِيلِ،
فَانْظُرْ هَلْ وَجَدُوا مِنَ الْمَوْتِ حِصْنًا وَعِزًّا، وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ حِجَابًا وَحِرْزًا
وَانْظُرْ ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ فسُبْحَانَ مَنْ انْفَرَدَ
بِالْقَهْرِ وَالْإِسْتِيلَاءِ، وَاسْتَأْثَرَ بِاسْتِحْقَاقِ الْبَقَاءِ، وَأَذَلَّ أَصْنَافَ الْخَلْقِ بِمَا كَتَبَ
عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَنَاءِ، ثُمَّ جَعَلَ الْمَوْتَ مُخْلِصًا لِلْآتِقِيَاءِ، وَمَوْعِدًا فِي حَقِّهِمُ لِلْقَاءِ.
وَالصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ ذِي الْمُعْجَزَاتِ الظَّاهِرَةِ، وَالْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ...



٥- أَمَّا بَعْدُ

أَمَّا بَعْدُ:

بعد أن يُقدِّم الخطيب - خطيب المنابر والمحافل - بين يدي خطبته بمقدمة تُوجي بموضوعه من طرفٍ جليٍّ أو خفيٍّ ، فإنه يأتي بهذه العبارة أعني عبارة "أَمَّا بَعْدُ" لتكون جسرَ الانتقال من مُقدِّمته إلى موضوعه.

قال ابن حجر (٢/ ٤٠٤) إنها اللفظ الذي وُضِعَ للفصل بينه وبين ما بعده من موعدة ونحوها.

ونقل عن الزجاج قوله: إذا كان الرجل في حديثٍ فأراد أن يأتي بغيره قال: أَمَّا بَعْدُ.

حُكْمُهَا:

يقول العلامة ابن حجر: بعد شرحه لأحاديث ساقها البخاري تحت باب " من قال في الخطبة بعد النشاء أَمَّا بَعْدُ " وعليه فينبغي للخطباء أن يستعملوها تأسيساً واتباعاً.

من تلك الأحاديث:

- روى البخاري في كتاب "الحج" باب من قال في الخطبة بعد النشاء أَمَّا بَعْدُ ، عن عمرو بن تغلب (٩٢٣) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى بِمَالٍ أَوْ سَبِي فَقَسَمَهُ فَأَعْطَى رَجُلًا وَتَرَكَ رَجُلًا فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا، فَحَمَدَ اللَّهُ ثُمَّ أَشْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدْعُ الرَّجُلَ ... الحديث.
- وروى البخاري في ذات الكتاب والباب ، عن ابن عباس (٩٢٧) أَنَّهُ قَالَ: " صَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِنْبَرُ ، ... ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَشْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِلَيَّ ، فَتَابُوا إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ ... الحديث."

٦- كيف تَفْتَحُ خُطْبَتَكَ أو كَلِمَتَكَ؟؟؟

من ثقافة الشرق:



يقول صاحب "الصناعتين" (١ / ٤٣١) سئل بعضهم عن أحذق الشعراء، فقال: من يتفقد الابتداء.

وينقل عن بعض الكتاب قوله: أحسنوا معاشر الكتاب الابتداءات، فإنهن دلائل البيان.

وبالمقابل يحذر صاحب الكتاب من مغبة مخالفة ذلك فيقول: وقالوا ينبغي للشاعر أن يحترز في أشعاره، ومفتتح أقواله مما يتطير منه، ويستجفى من الكلام والمخاطبة والبكاء ... ولا سيما في القصائد التي تتضمن المدائح والتّهاني، ويستعمل في المراثي

وقد أنكر الفضل بن يحيى البرمكي على أبي نواس ابتداءه بقوله:

أربع البلى إن الخشوع لبادي عليك وإني لم أخنك ودادي

من ثقافة الغرب:



يقول صاحب كتاب "فن الخطابة" (ص / ١٠٩) سألت مرة الدكتور هاف عن أهم ما علّمته تجربته كخطيب فأجاب " أن تفتتح بمقدمة مثيرة، وبشيء يأسر الانتباه في الحال ."

ويضيف صاحب الكتاب قائلاً: إن كل خطيب يتمتع بالذكاء والتجربة يفعل ذلك، وأما الخطيب المبتدئ فإنه نادراً ما يفعل ذلك.

التقاء الثقافات:

وهكذا نجد أن الثقافات جميعاً التفت على ضرورة اعتناء الخطيب- خطيب المنابر والمحافل- وكذا كل متكلم بجملته أو جملة الأولى التي يستهل بها كلامه، ويفتح بها خطابه، ولا شك أن هذا يحتاج إلى تفكير عميق

وتخطيطٍ مُسبقٍ ودقيقٍ، وتلعبُ الموهبةُ والخبرةُ والاطِّلاعُ على تجاربِ الآخرين دوراً مُهمّاً في هذا.



يقولُ صاحبُ فنِّ الخطابةِ "ص/ ١١٥" إنّ لحظةَ بُروزك أمامَ الجمهورِ تستحوذُ على انتباهه بشكلٍ طبيعيٍّ ومُحتَمٍّ، فليس من الصَّعبِ أن تستحوذَ عليه في اللّحظاتِ الخمسةِ الأولى، لكن من الصَّعبِ أن تستحوذَ عليه في الخمسِ دقائقِ التَّاليةِ، فإن فقدته مرّةً فإنَّ صعوبةَ استرجاعه ستتضاعفُ.

فابدأ بشيءٍ مثيرٍ منذُ الجملةِ الأولى، وليس منذُ الثَّانيةِ أو الثَّالثةِ بل الأولى. أقول: وبهذا نضعُ يَدنا على سرِّ إخفاقِ الغالبيةِ العظمى من خُطبائنا في منابرهم ومحافلهم، وذلك أنَّهم يفقدون الاتِّصالَ مع جمهورهم منذُ الدَّقائقِ الأولى بسببِ رداءةِ مُقدِّماتهم الافتتاحيةِ.

صفاتُ الافتتاحيةِ النّاجحةِ:

إنّها ثلاثُ صفاتٍ لا أكثر ولكن لا بدّ منها مُجمعةً:

الإثارةُ

الإيجازُ
والاختصارُ

المُناسبةُ

١- المُناسبةُ:

لا بدّ في الافتتاحيةِ أن تكونَ مُناسبةً تامّةً المُناسبةِ لموضوعِ الخطبةِ أو الكلمةِ، وهذا أمرٌ بدهيٌّ، وفي المثلِّ السائر " المكتوبُ يُعلّمُ من عنوانه ".

٢- الإيجاز والاختصار:



فإذا أردت أيها الخطيب أن تستخدم مقدّمةً، فيجب أن تكون قصيرةً، كلائحة الإعلان؛ لأنّ ذلك يتطابق مع مزاج المستمع المعاصر، الذي لسان حاله يقول: هل لديك ما تقوله؟ حسنًا، لنستمع إليك بسرعة، لا تتأنّق في الخطاب، أعطنا الحقائق بسرعة واجلس". كارنيجي

٣- الإشارة:

وهذه أبرز صفة من صفات الافتتاحية الناجحة، ونذكر ما قاله الدكتور هاف عندما سُئل عن أهم ما علّمته تجربته كخطيب، حيث أجاب بقوله " أن تفتّح بمقدّمة مثيرة، وبشيء يأسر الانتباه في الحال ". وإليك بعضاً من طرق الافتتاح الناجحة.

• أثر الفضول^١:

خطبت ذات مرّة فقلت بعد الحمد والتّناء المناسبين لما أريد أن أقول هذه العبارة: "سبعون قتيلًا وسبعون أسيرًا"

ثم سكّت قليلاً، فإذا بالجمهور يرمؤني بأبصارهم، ويميلون نحوي بأسماعهم، وفي نفس كلّ واحدٍ منهم سبعون! قتيلًا! أسيرًا! ما القصة يا ترى؟ ومن هم أولئك القتلى وأولئك الأسرى؟



لقد استطعت بهذه الافتتاحية التي لا تتجاوز خمس كلمات مع حساب حرف العطف أن أستحوذ على انتباه جمهوري بشكلٍ كاملٍ وفوريٍّ، ولمّا أن تأكّدت من ذلك تابعت قائلاً: إنّها حيلة غزوة

^١ - إنّ الفضول هو الرّغبة المفرطة في معرفة أمر ما، حيث تتحرك رغبة العقل البشري بشكلٍ طبيعيٍّ لاستكشاف الأمر الذي حرّك فضوله، وتستمرّ عملية التفكير حتّى يقرّر الشخص أنّ الأمر لا يستحقّ عناء التفكير، أو حتّى يحصل على الإجابات والأدلة الكافية لفهمه اهـ.

بدر الكُبرى ، تلك الغزوة التي جَمَعَ الله فيها بينَ الحقِّ لِنِصْرِهِ، والباطلِ لِيُزْهِقَهُ ... إلخ.

وأحسِبُ لو أَنِّي استفتحتُ خطبتي قائلاً: أيُّها الإخوةُ حديثُنا اليومَ عن غزوة بدرِ الكُبرى ... لَمَّا رأيتُ رَأْساً سَيرتُفَعُ، ولا أَدْنَا سَتُصْغِي، ولَمَّا حصدتُ شَيْئاً من اهتمامِ الجمهورِ، بل لعلَّ قائلُهم يقولُ: بدر!! أنا أعرفُ كلَّ شيءٍ عن بدرٍ، ثمَّ يُسَلِّمُ نفسَه إلى نومٍ عميقٍ، أو تفكُّرٍ بأمرٍ ما من أمورِ حياتِه، لا يُخرِجُه منه إلَّا إقامةُ الصَّلَاةِ، ومِثْلُ هذا الافتتاحِ هو أَفضلُ طريقةٍ لفقدِ الاتِّصالِ مع الجمهورِ منذُ اللَّحظَاتِ الأولى.

يقولُ صاحبُ " فنِّ الخطابة " ص/ ١١٧ " أثرُ فضولِ جمهورِكَ منذُ أوَّلِ جُملةٍ، تحُزُّ على انتباههم واهتمامهم ".



إبدأ بقصة:

لَطالَما أولَعَ النَّاسُ كلُّ النَّاسِ كباراً وصِغاراً، رجالاً ونِساءً، مُتَقَفِّينَ وغيرَ مُتَقَفِّينَ ... لَطالَما أولِغُوا بالقِصصِ، وعلى الخَطيِّبِ أن يَستَغِلَّ هذا الولعَ فيستَفْتِحَ خِطابَه أو كلمتَه بقِصةٍ مِن قِصصِ القرآنِ أو السُّنَّةِ أو الصَّحابةِ أو التَّاريخِ ... أو قِصةٍ جَرَتْ مع الخَطيِّبِ شَخْصِيّاً، ولهذه القِصصِ إثارةٌ فوقَ كلِّ ما سَبَقَ.



يقولُ صاحبُ كتابِ " فنِّ الخطابة " إنَّ هذا النُّوعَ من الافتتاحياتِ لا يَفشلُ أبداً، بل إنَّه يَمضي قُدُماً ونحنُ نتابعُه لأنَّنا نريدُ أن نَعرِفَ ما الَّذي سيحدثُ.

ويمكن أن تبدأ بسؤالٍ تطرحه على جمهورك!

ومن الافتتاحياتِ النَّاجحةِ أن يَستَهِلَّ الخَطيِّبُ خطيبُ المنابرِ والمحافلِ خُطْبَتَه أو كلمتَه بسؤالٍ يَطرحُه على جمهورِه، ومن شأنِ السَّؤالِ أَنَّهُ يَستدرِجُ الجمهورَ إلى التَّفكيرِ، للوصولِ إلى الإجابةِ، وقد استَخدمَ رسولُنا ﷺ هذا السَّؤالَ في خطابٍ من أَهمِّ خِطابَاتِه، وأمامَ جمهورٍ لم يجتمعَ له مثله قطَّ.



• روى البخاري في كتاب الجمعة باب " الطَّيِّبُ لِلْجُمُعَةِ "
عن أبي بكرة (١٧٤١) أَنَّهُ قَالَ: **خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ**
قَالَ: أَتَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ هَذَا؟
قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ... الحديث.

وأذكرُ أَنِّي قُدِّمْتُ لِإِلْقَاءِ كَلِمَةٍ بِمُنَاسَبَةٍ زَفَافِ صَدِيقٍ لَنَا وَكَانَ طَبِيبًا
فَاسْتَفْتَحْتُ كَلِمَتِي بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ.

كَيْفَ الصِّحَّةُ؟



وَسَكَتُ وَسَطَ اسْتِغْرَابِ الْحَاضِرِينَ ، وَهَذَا مَا أُرِيدُ، ثُمَّ
قُلْتُ: إِنَّهُ ذَاكَ السُّؤَالُ الَّذِي يَتَبَادَلُهُ النَّاسُ عِنْدَمَا يَلْتَقِي
بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَهْمِيَّةِ الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ عِنْدَ
النَّاسِ ... الْخَ مَا قُلْتُ.

اربطُ موضوعَكَ بمصالحِ مستمِيعِكَ الحَيَوِيَّةِ:

هذا ويمكنُ للخطيبِ -خطيبِ المنابرِ والمُحَافِلِ- أَنْ يَسْتَهْلَ خُطْبَتَهُ أَوْ
كَلِمَتَهُ بِبَعْضِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تُشَخِّصُ أَوْ تُعَالِجُ مَصَالِحَ جُمُهورِهِ الشَّخْصِيَّةِ
بشكْلِ مُبَاشِرٍ.



يقولُ صاحبُ "فَنِّ الْخُطَابَةِ" وهذه من أَفْضَلِ الْوَسَائِلِ الْمُمكنَةِ لِلْبَدْءِ
بِالْخُطَابِ، مِنْ الْمُؤَكِّدِ أَنْ تَسْتَحُوذَ عَلَى الْإِنْتِبَاهِ، فَنَحْنُ نَهْتَمُّ دَائِمًا
بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي تَمَسُّنَا مُبَاشَرَةً .

وقد كنتُ وما أزالُ أستخدمُ هذا النوعَ مِنَ الْإِفْتِتَاحِيَّاتِ وَ أَجِدُ لَهُ
تَأْثِيرَهُ الْخَاصَّ.

لا تُجرب هذه الافتتاحيات:

قد يستهّل الخطيب -خطيب المنابر والمحافل- خطبته أو كلمته بما لا يُثير انتباه جمهوره، وهذا خطأ، ولكن ثمة افتتاحيات تزيد الأمور سوءاً، وقد رأيت الكثير من الخطباء يتورطون بها من حيث لا يشعرون.

لا تبدأ بالاعتذار!

من الأخطاء القاتلة أن يستهّل الخطيب كلامه بالاعتذار لجمهوره، ولكن ما الخطأ في ذلك؟ يتساءل البعض.



يقول صاحب " فن الخطابة " (ص/ ١١٥) إنّ من الخطأ الفادح الذي يقترفه المبتدئ في المُقَدِّمة هو الاعتذار " أنا لست بخطيب ... لست مهياً للخطابة ... ليس لديّ ما أقوله ... "

وعلى أيّ حال إذا لم تكن مهياً لذلك فإنّ بعض جمهورك سيكتشف ذلك دون مساعدتك، وآخرون لن يفعلوا، فلم تُلَفِتْ انتباههم؟

لماذا تُهين جمهورك وكأنّك تقول لهم: إنّهم لا يستحقّون أن تُحضّر من أجلهم، وإنّ أيّ شيء قديم في ذاكرتك يكفي لخدمتهم.

ولسان حال الجمهور يقول: كلّاً، نحن لا نريد الاستماع إلى أذارك، نحن هناك لتُخبرنا وتُثيرنا وأن نُثار فنذكر ذلك.

٧- قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ

هذه هي الخطبة:

إنَّ الخطبة أَيْةٌ خُطِبَتْ كَانَتْ - بقطع النَّظَرِ عن موضوعها - إنَّما تتألَّفُ من ثلاثة أجزاءٍ رئيسيةٍ وهي:

- ١ - **مقدمة** ويُفضَّلُ أن تكونَ مُناسبةً للموضوع.
- ٢ - **موضوع** ويجبُ أن يكونَ مُناسباً لما يتطلَّبه الواقعُ، ولما تُملِّيه الظروفُ.
- ٣ - **وخاتمة** تُلخِّصُ ما سبقَ وتُوجِّزه، وتُرسِّخه في أذهانِ الجمهورِ. إذن فالخطبة: مقدمةٌ وقلبٌ وخاتمةٌ.

موضوع الخطبة:

إنَّ موضوعَ الخطبة هو بيتُ القصيدِ من الخطبة، وما المقدِّمةُ والخاتمةُ إلا من حُدِّمَتْ، ذاكَ يبشِّرُ به ويُعلنُ عنه، والآخرُ يوجِّزه ويلخِّصُه ويُرسِّخُه في أذهانِ الجمهورِ.

ولكن ما هو الموضوع؟

إنَّه مجموعةٌ من العناصرِ أو الأفكارِ الجزئيةِ المترابطةِ فيما بينها، والمتسلسلةِ من أولها وحتى آخرها، شريطةُ أن يكونَ ذاكَ الترابطُ والتسلسلُ مدروساً ومنطقياً.



يقولُ الشيخُ الغزاليُّ في مقدِّمةِ خطبه (١)

(٢٠) "عناصرُ الخطبة يجبُ أن يُسلمَ أحدها إلى

الآخر في تسلسلٍ منطقيٍّ مقبولٍ كما تُسلمُ درجةُ

السُّلَمِ إلى ما بعدها دونَ عَناءٍ بحيثُ إذا ما انتهى

الخطيبُ من إلقاءِ كلمته كانَ السَّامعونَ قد وصلوا معه إلى النتيجةِ

التي يريدُ بلوغها، وعليه أن ينتقيَ من النُّصوصِ والآثارِ ما يُمهِّدُ

طريقه إلى هذه الغاية".

قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ!

هذا ولا بدّ للخطيب -خطيب المنابر والمحافل- لا بدّ له، من أن يؤيّد كلّ فكرة جزئية من أفكار خطبته بما يشدّ من أزرها، ويقوّي من أمرها، ويثبت مصداقيّتها، ولا سيّما في الأفكار الحسّاسة والخلافية وإلاّ كان كلامه ادّعاء لا يؤبه به، ولا يلتفت إليه.

فنّ الاستشهاد:

إنّ الجمهور - ولا سيّما في زماننا - كالقاضي لا يقبلون دعوى إلاّ إذا شُفّعت بما يشهد بصحّتها فللقاضي الشهود، وللجمهور الشواهد.
هذا ولا بدّ في شواهد الخطبة من مُراعاة بعض الاعتبارات من حيث انتقاؤها وإلقاؤها:

الضبط

التوثيق

عدم
الإكثار من
الشواهد

المناسبة

حُسْنُ
الإلقاء

بيان وجه
الشاهد

الشرح
والتوضيح

١- المناسبة:

ونعني بها أن يكون الشَّاهد مُناسباً للفكرة المطروحة تمامَ المناسبةِ وإلا كان حالُ الخطيبِ كما قال القائل:

سارت مُشْرِقةً وسِرتُ مُعْرِباً شَتَّانَ بَيْنَ مُشْرِقٍ وَمُعْرِبٍ

وإذا كان أمامَ الخطيبِ مجموعةٌ من الشَّواهدِ، فليختَرُ أصحَّها وأصرَحَها وأوجزَها:

أصحَّها من حيثُ الثُّبوتُ.

وأصرَحُها من حيثُ الدَّلالةُ.

وأوجزَها وأكثرَها اختصاراً.



٢- عدم الإكثار من الشَّواهد:

حسبُ الخطيبِ أن يُؤيِّدَ فكرته بشاهدٍ أو بشاهدين، وليحذرَ من الإكثارِ من الاستشهادِ إلا عندَ الضَّرورةِ القصوى، وقديماً قالوا: حسبك من السَّوارِ ما أحاطَ بالمِعصمِ.



٣- التَّوثيقُ:

وهذه نقطةٌ مهمَّةٌ جدًّا، من لم يُراعِها عرَّضَ نفسه للنَّقدِ، فعلى الخطيبِ أن يعزوَ شواهدَه إلى مصادرها التي استقَّاهَا منها، ويبينَ درجةَ ثبوتها.



١- فإن كانت آيةٌ من القرآنِ ذكرَ اسمَ السُّورةِ ورقمَ الآيةِ.

٢- وإن كانت حديثاً نبوياً ذكرَ مصدره الحديثيَّ ودرجته مُتَحاشياً ما لا يصحُّ الاستشهادُ به.

٣- وإن كانت قولاً لصاحبٍ أو تابعٍ أو غيرهما من سلفِ الأُمَّةِ أو خلفها ذكرَ اسمَه وعزاهُ إليه.

٤- وإن كانت مسألةً فقهيةً عزاهَا إلى مذهبها.

٥- وإن كانت حادثةً تاريخيةً عزاهَا إلى مصدرها وبينَ درجةَ ثبوتها ... وهكذا.

٤- الضبط:



على الخطيب وهو ينقل الشاهد من مصدره أن يراعي ضبطه، وإن كان غير مضبوط في مصدره، وهذا يحدث كثيراً في النسخ غير المحققة أو المحققة تحقيقاً تجارياً، فعليه أن يضبط النص من المصادر والمراجع، مثل شروح الحديث التي تكفلت بضبط كلمات الحديث، وكتب التراجم التي ضبطت لنا أسماء الأعلام والمشاهير، وكتب اللغة التي ضبطت الكلمات ... وإن التهاون في هذا - وهذا ما نراه عند ٩٠٪ من الخطباء - يُخلّ بمكانة الخطيب ويُعرضه للنقد.

٥- الشرح والتوضيح:

ومحلّ هذا إذا كان الشاهد غامضاً ويجب ألا يكون الشاهد كذلك ، وليحذر الخطيب من الإسهاب في الشرح والتوضيح والتعليق على الشاهد، لأنّ هذا من شأنه أن يخرج الخطيب عن موضوعه الذي عقد الخطبة من أجله، وكم يحدث هذا؟!



كان الشيخ عليّ الطنطاوي يتكلّم في محفلٍ فأتى بفكرةٍ وجعل يعلّق عليها، فأطاب ولكنه أطلّ حتّى نسيَ الفكرة التي بدأ منها، وجاء كلامه تعليقاً عليها، وحاول أن يتذكرها ولكنه لم يستطع حتى كاد أن يغادر المكان لولا أنّ أحدهم أخبره عن الفكرة التي كادت تسبّب أزمةً بين الطنطاوي وجُمهوره، فأكمل الشيخ كلمته!

٦- بيان وجه الشاهد:

وذلك إذا ما كَانَ الشَّاهِدُ خَفِيَ الدَّلَالَةُ عَلَى الفكرة التي سيقَ لتأييدها ونصرها، على أَنَّهُ يَحْسُنُ بِالْخَطِيبِ أَلَّا يَتَعَامَلَ مع هذا النَّوعِ مِنَ الشَّوَاهِدِ إِلَّا أَن يُضْطَرَّ لذلك.

وعلى الْخَطِيبِ أَلَّا يَعْوَّلَ فِي فَهْمِ الشَّاهِدِ وشرحه وبيانِ ارتباطه بفكرته على فَهْمِ الْجُمْهُورِ، فأكثرُ الْجُمْهُورِ اليومَ لَا يَعْلَمُونَ!

٧-حُسْنُ الْإِلْقَاءِ:



ولم أرَ من يُراعِي هذه النُّقْطَةَ فيسوقُ الشَّاهِدَ كما يسوقُ سائرَ عباراتِ خُطْبَتِهِ، والأفضلُ تخصيصُ الشَّاهِدِ بأداءٍ خاصٍّ كرفعِ الصَّوْتِ مثلاً أو تغييرِ سُرْعَةِ الخُطْبَةِ ... وللحديثِ بَقِيَّةً.

لا بأسَ بهذا:

قد يلجأُ بعضُ الْخُطَبَاءِ إِلَى كِتَابَةِ الشَّوَاهِدِ عَلَى ورقةٍ صغيرةٍ يجعلُها أو يخفيها في يده، ولا حرجَ في هذا فلطالما خانَ الحِفْظُ صاحِبَهُ أحوَجَ ما يكونُ إليه، ممَّا قد يُوَدِّي إلى ارتباكِ الْخَطِيبِ كُلِّ الارتباكِ.

٨- كيف تختتم خطابك؟

الجزء الأصعب:

لقد وجدت من خلال تجربتي الخطابية أن الخاتمة هي الجزء الأصعب والأهم من أجزاء الخطبة أو الكلمة، ولكن لماذا؟



أما الصعوبة فإن الخطيب -خطيب المنابر والمحافل- يستطيع أن يستهل خطبته أو كلمته بعد الحمد والثناء بآية أو حديث ... ولكن الخاتمة ليست بهذه السهولة أبداً، وكم من خطيب أو متكلم قال ما عليه أن يقوله، ولكنه لم يدر كيف يختتم خطابه، ويصبح كما قال أحدهم: كمن أمسك بالثور من قرنيه فهو يريد التخلص منه، ولكنه برغم كل محاولاته لن يستطيع الإفلات منه والتعلق بسياج أو شجرة، وهكذا يبقى ضمن الدائرة يكرّر نفسه ويخلق انطباعاً سيئاً.

وأما الأهمية فلأن آخر جملة أو آخر جمل الخطبة أو الكلمة هي وحدها ما تبقى عالقة في أذهان الجمهور، وترن في أذهانهم، ولقد كان بعض الخطباء العالميين يكتبون ويحفظون خاتمة خطابهم!



يقول صاحب "فن الخطابة"، ص/ ١٢٧ " هل تؤد أن تعلم في أي جزء من خطابك يظهر عدم تجربتك ومهارتك وبراعتك؟ ويجب قائلًا: في الافتتاحية وفي الخاتمة.

قال: وهناك قول قديم عن ممثلي المسرح يقول " تعرفهم من خلال دخولهم وخروجهم "

أقول: وبهذا نضع أيدينا على سر جديد من أسرار إخفاق كثير من الخطباء والمتكلمين، وهو عجزهم عن اختتام كلمتهم بشكل مناسب.

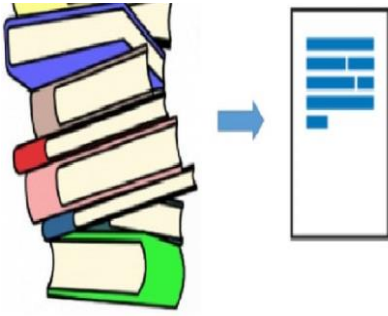
كيف أختتم خطابي؟ 🤔

لعلّ فينا من يقول قد لفتّ انتباهنا إلى أهميّة الخاتمة، فكيف نأتي بخاتمة ناجحة؟

وللإجابة عن هذا نقول: يجب على كلّ خطيب أن يُخطِّط لخاتمة كلامه مُسبقاً، إذ ليس من الحكمة أن يحاول إنشاءها وهو يواجهُ الناس، وما أدراك ما مواجهةُ الناس!

وإليك أيّها الخطيبُ بعضاً من الاختتماتِ الناجحةِ والمُجربةِ، والبابُ مفتوحٌ للإبداع.

لخص أفكارك:



إنّ الخطيبَ -خطيبَ المنابر والمحافل- يتناولُ الكثيرَ الكثيرَ من الأفكار، ولوضوحها في ذهنه كونه أَعَدّها، يظنُّ أنّها بهذا الوضوح في أذهان جمهوره وليس كذلك فيأتي التلخيصُ كخاتمةٍ توجزُ ما سلفَ ويختتمُ بها الخطيبُ كلمته كأن يقول: **وختامُ الأمرِ ...** وليحذرُ من الإطالة أو الشرح أو التعليق على الخاتمة.

اختتم بقصة:

للجمهور ولعُ باستماعِ القصصِ، ويستطيعُ الخطيبُ أن يختتمَ خطبته بقصةً على أن تكونَ: مُناسبةً وقصيرةً.

فلا يحسنُ أن تكونَ القصةُ الختاميةُ غيرَ مناسبةٍ أو طويلةً.

الخاتمة المرحّة:

ويحسنُ استخدامها في ختام كلمات المحافل أكثر من ختام الخطب، كالجمعة والعيدين وتحتاج هذه الخاتمة إلى براعة وثقة بالنفس ومعرفة بالجمهور.

يقول أحدهم – كما ينقله عنه صاحب فن الخطابة - : " اتركهم دائماً يضحكون عندما تقول وداعاً ".

الاختتام بمقتطفات شعرية:

وهي من صور الاختتام الناجحة جداً.

يقول صاحب فن الخطابة " ليس هناك خاتمة أكثر استحساناً من تلك التي تأتي مَرَحَةً أو شِعْرِيَّةً، وفي الحقيقة إذا استطعت الحصول على قطعة شعرية ملائمة لنهاية كلمتك يكون الأمر مثالياً فهي تمنحك النكهة المطلوبة، والوقار والتفرد والجمال.

● احذر من هذين:

أيها الخطيب -خطيب المنابر والمحافل- احذر من هذين النوعين من الاختتام وهما:

١- التوقف فجأة وقطع الكلام:

يتوقف الكثير من المبتدئين فجأةً، وطريقتهم في الاختتام تنقصها السلاسة واللمسة الأخيرة، وبكلمات أوضح " ليست لديهم أية خاتمة " بل هم يتوقفون فجأةً وبسرعة، فتأتي النتيجة غير سارة وغير متقنة.



٢-الإطالة في الخاتمة:

إنَّ الخاتمةَ كالقطرةِ الأخيرةِ من زِقِّ العسلِ وليست زِقاً جديداً.
جلستُ يوماً أحضرُ خطبةَ خطيبٍ فأطالَ ثم أطالَ ثم أطالَ – وليتَّه أطابَ
– ثم قال: وأخيراً فتنفسَ القومُ الصُّعداءَ، وأحسُّوا بقربِ الفرجِ، ولكنَّه جلدنا

بخطبةٍ أخرى بعدَ " وأخيراً " ثم قال " وأخيراً " للمرَّةِ الثانيةِ وأيُّ خطبةٍ لها
أكثرُ من " أخيراً " واحدةً؟



٩-الدُّعَاءُ

موقع الدُّعَاءِ في خُطبة الجمعة والعِيدَيْن:

اختلفَ الفقهاءُ في أركانِ خُطبةِ الجمعة:

- ١- فذهب أبو حنيفةً إلى أنَّ رُكنَ الخُطبةِ تحميدةٌ، أو تهليلةٌ، أو تسبيحةٌ.
- ٢- وقال أصحاباه (أبو يوسف و محمد): لا بُدَّ من ذكرٍ طويلٍ يُسمَّى خُطبةً. وأما المالكيةُ: فيرون أنَّ رُكنها هو أقلُّ ما يُسمَّى خُطبةً عندَ العربِ ولو سَجَعَتَيْنِ نحو: اتَّقُوا اللهَ فيما أَمَرَ، وانتهوا عما عنه نَهَى و زَجَرَ...

٣- و ذهب الشَّافعيةُ إلى أنَّ لها خمسةَ أركانٍ وهي:

- ١- حمدُ اللهِ وَيتَعَيَّنُ لَفْظُ " اللهُ " وَلَفْظُ " الْحَمْدِ " .
- ٢- والصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.
- ٣- وَالْوَصِيَّةُ بِالتَّقْوَى وَلَا يَتَعَيَّنُ لَفْظُهَا.
- ٤- والدُّعَاءُ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْخُطْبَةِ الثَّانِيَةِ.
- ٥- وقراءةُ آيةٍ مُفهِمةٍ ولو في إحداهُما، وَيُسْنُّ جَعْلُهَا فِي الْخُطْبَةِ الْأُولَى.

٢- وأما أركانها عندَ الحنابلةِ فأربعةٌ وهي:

- ١- حمدُ اللهِ بلفظِ الحمدِ.
- ٢- والصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بصيغةِ الصَّلَاةِ.
- ٣- والمَوْعِظَةُ وَهِيَ الْقَصْدُ مِنَ الْخُطْبَةِ.
- ٤- وقراءةُ آيةٍ كاملةٍ...

أقولُ: نقلتُ هذا النَّصَّ على طُولِهِ مِنَ الْمَوْسُوعَةِ الْكُوَيْتِيَّةِ لِأُبَيِّنَ مَوْقِفَ الْفُقَهَاءِ مِنَ الدُّعَاءِ أَثْنَاءَ خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ وَأَنْهَمَا فَرِيقَانِ:

١- الْجُمْهُورُ: لَا يَعْتَبِرُونَ الدُّعَاءَ مِنْ أَرْكَانِ الْخُطْبَةِ.



٢- الشَّافِعِيَّةُ: يَرَوْنَهُ رُكْنًا، وَمَحَلُّهُ عِنْدَهُم الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ
جاءَ في الحَاوِي الكَبِيرِ (١٠٠٧ / ٢) " وَأَمَّا الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ
فَتَجْمَعُ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءٍ: حَمْدَ اللَّهِ، وَالصَّلَاةَ عَلَى نَبِيِّهِ، وَالْوَصِيَّةَ
بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالدُّعَاءَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ "



الدُّعَاءُ لِلسُّلْطَانِ:

ما سَبَقَ هُوَ الدُّعَاءُ لِعُمُومِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَإِذَا اكْتَفَى بِهِ
الْخَطِيبُ دَخَلَ فِيهِ السُّلْطَانُ وَأَعْوَانُهُ إِنْ كَانُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَإِلَّا
فَأَبْعَدَهُمُ اللَّهُ، وَلَكِنْ مَا هُوَ حُكْمُ الدُّعَاءِ لِلسُّلْطَانِ (أَمِيرًا كَانَ أَمْ مَلِكًا أَمْ رَئِيسًا)؟

جاءَ في المَجْمُوعِ شَرْحِ المِهْذَبِ لِلوَلِيِّ الصَّالِحِ
النَّوَوِيِّ (٥٢١ / ٤) مَا نَصَّهُ " وَأَمَّا الدُّعَاءُ
لِلسُّلْطَانِ فَاتَّفَقَ أَصْحَابُنَا عَلَى أَنَّهُ لَا يَجِبُ وَلَا
يُسْتَحَبُّ "



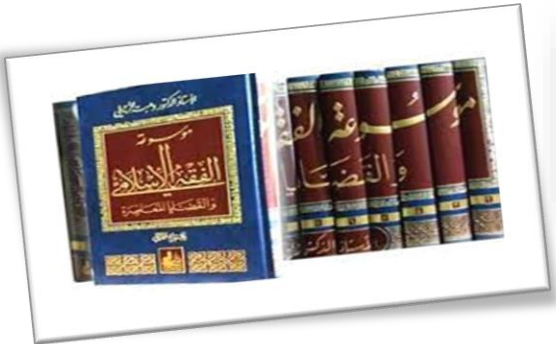
وظَاهِرُ كَلَامِ الْمُصَنِّفِ وَغَيْرِهِ أَنَّهُ بِدْعَةٌ إِمَّا
مَكْرُوهَةٌ، وَإِمَّا خِلَافُ الْأَوَّلَى، هَذَا إِذَا دَعَا لِلسُّلْطَانِ بِعَيْنِهِ،
فَأَمَّا الدُّعَاءُ لِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَوُلَاةِ أُمُورِهِمُ بِالصَّلَاحِ وَالْإِعَانَةِ عَلَى الْحَقِّ
وَالْقِيَامِ بِالْعَدْلِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَلِجِيوشِ الْإِسْلَامِ فَمُسْتَحَبٌّ بِالِاتِّفَاقِ، وَالْمُخْتَارُ أَنَّهُ
لَا بَأْسَ بِالدُّعَاءِ لِلسُّلْطَانِ بِعَيْنِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ مُجَازِفَةً فِي وَصْفِهِ وَنَحْوِهَا، وَاللَّهُ
أَعْلَمُ.

ويقول أستاذنا الرَّحِيلِي فِي
موسوعَتِهِ الفَدَّةِ (٤٤٢ / ٢)
وَيُنْدَبُ ذِكْرُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ
وَالْعَمَمِينَ وَلَا يُنْدَبُ الدُّعَاءُ
لِلسُّلْطَانِ، وَجَوَّزَهُ بَعْضُهُمْ، فَقَدْ
ثَبَّتَ أَنَّ أَبَا مُوسَى أَمِيرَ الْكُوفَةِ دَعَا لِعُمَرَ.



وَيُكْرَهُ تَحْرِيمًا وَصْفُهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ أَهـ.

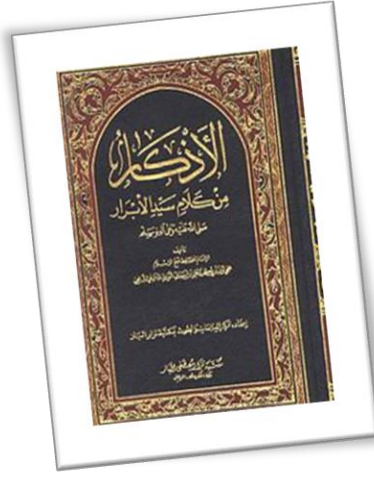
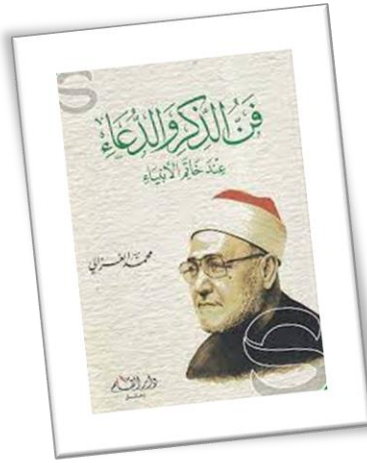
أَقُولُ: بَلْ يَحْرُمُ لِأَنَّهَا شَهَادَةُ زُورٍ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ وَمِنَ الْكَبَائِرِ
أَهـ.



الدُّعَاءُ الرَّاقِي المُرْتَقِي:

وَلِكِي يَكُونُ الدُّعَاءُ مُثْمِراً وَمُؤَثِّراً فَعَلَى الْخَطِيبِ مُرَاعَاةُ مَا يَلِي:

- ١- عَدَمُ الإِطَالَةِ بِالدُّعَاءِ لِئَلَّا يُمَلَّ النَّاسُ.
- ٢- أَصَالَةُ الدُّعَاءِ وَنَعْنِي بِالأَصَالَةِ أَنْ يَعُولَ الْخَطِيبُ عَلَى الأَدْعِيَةِ الْوَارِدَةِ فِي الْقُرْآنِ وَالأَدْعِيَةِ الَّتِي فَاهَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَيَدْعُو بِهَا أَوْ يَسْتَوْحِي مِنْهَا، وَمَنْ خَيْرٌ مَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْخَطِيبُ فِي ذَلِكَ الْأَنْكَارُ لِلنَّوْوي، وَفَنَ الذِّكْرُ وَالدُّعَاءُ لِمُحَمَّدٍ الْغَزَالِيِّ.



- ٣- المُنَاسِبَةُ : وَنَعْنِي بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الدُّعَاءُ مُتَنَاسِيباً مَعَ الْمَوْضُوعِ فَتَكُونَ الْخُطْبَةُ كُلُّهَا كَأَنَّمَا خَرَجْتَ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، اسْتِهْلَأُهَا، وَمُقَدِّمَتُهَا، وَمَوْضُوعُهَا، وَخَاتِمَتُهَا، وَدُعَاؤُهَا.
- ٤- الْوَاقِعِيَّةُ: بِمَعْنَى أَنْ يَدْعُوَ بِمَا يَتَنَاسَبُ مَعَ الْحَوَادِثِ وَالْوَقَائِعِ، فَيَدْعُو لِلْمُسْلِمِينَ إِنْ كَانُوا يُحَارِبُونَ هُنَا أَوْ هُنَاكَ بِالنَّصْرِ، أَوْ أَلَمَّتْ كَارِثَةٌ طَبِيعِيَّةٌ، أَوْ ظُرُوفٌ صَعْبَةٌ بِالْفَرَجِ الْعَاجِلِ، أَوْ يَدْعُو لِلطُّلَابِ بِالنَّجَاحِ إِنْ كَانَ وَقْتُ امْتِحَانٍ وَهَكَذَا.
- ٥- الدُّعَاءُ الإِيجَابِيُّ كَالدُّعَاءِ بِالْهِدَايَةِ وَالرِّزْقِ وَالْعَافِيَةِ ... لَا الْمَسْخِ وَالْحَرْقِ وَالْعَضْبِ، وَفِي تَقْدِيرِي أَنَّ الدُّعَاءَ لِلْعَرَبِ أَنْ يَهْدِيَهُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ، وَيُشْرِخَ صَدْرَهُ لَهُ، خَيْرٌ مِنَ الدُّعَاءِ عَلَيْهِ بِالْهَلَاكِ، فَنَحْنُ الدُّعَاءُ هِدَاةً لَا جَزَارُونَ، وَلَمَّا طُلِبَ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ أَنْ يَدْعُوَ عَلَى دَوْسٍ قَالَ: "اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأَنْتَ بِهِمْ" رواه البخاري .



يقول العلامة ابن حجر في شرحه على صحيح البخاري (١ / ٣٥٢) تعليقا على حديث السبعة الذين ألقوا على الرسول ﷺ الأذى وهو يُصلي " وفيه جواز الدعاء على الظالم، لكن قال بعضهم محله إذا كان كافرا، فأما المسلم فيستحب الاستغفار له، والدعاء بالتوبة ... والأولى أن يدعى لكل حي بالهداية ".

● إلاً بالاسم الصريح:

من المفروض - أمنياً لا شرعياً - على الخطباء أن يدعوا في خطبهم للرئيس وبالاسم الصريح.

والدعاء للرئيس خصوصاً وللباقي ولاة الأمر من الوزراء والقضاة والقادة العسكريين ... عموماً بالتوفيق والسداد والصلاح ... أمر مطلوب إذ في صلاحهم صلاح المجتمع، ولكن على ألا يكون مفروضاً بالجبر والإكراه، وإلاً أصبح مرفوضاً.

وكنتم كغيري أدعو ولكن بهذه الصيغة:

- اللهم وفق رئيس البلاد لما فيه خير البلاد والعباد.

- اللهم كن معه ما كان معك.

- اللهم عامله كما يُعامل شعبه ورعيته.

وكان الناس يستحسنون هذا الدعاء جداً، غاية ما في الأمر أنني لم أكن أُصرخ باسمه على المنبر، والحق أقول، لأنني كنتُ أجدُ هذا ثقيلاً على نفسي ولِساني معاً؟!!

وقد حدثتُ أنني استدعيتُ ذات مرةً إلى أحد الفروع الأمنية -وما أكثرها في بلادنا- وبالتحديد إلى فرع أمن الدولة - وكأني فعلتُ ما يهدد أمن الدولة بتركي التصريح أو حتى الدعاء - وكانت التهمة أنني لا أدعو للرئيس.

حَضَرْتُ لِلتَّحْقِيقِ وَمَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيِ الْمُحَقِّقِ بَعْدَ أَنْ تَمَّ تَفْتِيشِي ، وَاجْتَزْتُ
لِلْوُصُولِ إِلَيْهِ طَوَائِقَ وَطَوَائِقَ ، فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا عَشْرَاتُ الْغُرَفِ الْمَوْزَّعَةِ
يَمِينًا وَشِمَالًا وَهِيَ مَشْحُونَةٌ بِالرِّجَالِ ، وَالْمُصَنَّفَاتِ ، وَالْمُحَقِّقِينَ ، وَالْمُرَاجِعِينَ

...

قَالَ: بَلَّغْنَا أَنَّكَ لَا تَدْعُو لِلرَّئِيسِ!

قُلْتُ: لَقَدْ أَخْطَأَ الَّذِي بَلَّغَكُمْ ، وَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَأَكَّدَ بِنَفْسِكَ مِنْ خِلَالِ سُؤَالِ النَّاسِ.

قَالَ – بَعْدَ أَنْ عَبَسَ وَبَسَرَ – حَسَنًا وَمَاذَا تَقُولُ؟

وَلَمَّا أَخْبَرْتُهُ بِصِيغَةِ الدُّعَاءِ لَمْ تُعْجِبْهُ ، وَلَمْ يَرْتَحِ إِلَيْهَا ، وَقَالَ: وَلِمَاذَا لَا تَدْعُو
بِالاسْمِ الصَّرِيحِ؟!

قُلْتُ: وَهَلْ يَوْجَدُ رَئِيسٌ آخَرُ لِلْبِلَادِ حَتَّى يَلْتَنِسَ الْأَمْرُ عَلَى الْعِبَادِ؟!

قَالَ: دَعَاكَ مِنْ هَذَا ، وَادْعُ لِسَيَادَتِهِ بِالاسْمِ الصَّرِيحِ ، هَذِهِ هِيَ التَّعْلِيمَاتُ ، وَمَا
عَلَيْكُمْ إِلَّا بِالْإِلْتِزَامِ بِهَا!

١٠- البدائل

عيد بعيد:

روى الإمام أبو داود في سننه في كتاب الصلاة
عن أنس (١١٣٤) أنه قال: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
المَدِينَةَ، وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا.

فَقَالَ: مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟

قَالُوا: كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ!

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمُ الْأَضْحَى وَيَوْمُ الْفِطْرِ ".

لماذا؟ وما هو البديل عن هذا!

من المعلوم - لدى كلِّ دارسٍ لشريعتنا الخالدة - أن الله عزَّ وجلَّ

ما حرَّم شيئاً من الأشياء إلا و قد راعى أمرين اثنين:

- ١- أنه إنما حرَّمه لما ينطوي عليه من خطرٍ عظيمٍ، و ضررٍ جسيمٍ على صاحبه في جسده، أو ماله، أو دينه، أو على المجتمع ...
- ٢- أنه عَوَّضَ عَنْهُ مِنَ الْحَلَالِ مَا يُغْنِي عَنْهُ، وَيَسُدُّ مَسَدَهُ ممَّا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ.

فعلى الخطيب وهو يُعِدُّ خُطْبَتَهُ أن يُراعي هذين الجانبين، فيكشف عن الحكمة من وراء التَّحريم، ويذكر البديل عن الشيء المحرَّم.

لماذا؟

ما حرَّم الله من شيءٍ إلا وكان وراء هذا التَّحريم حكمةٌ جليَّةٌ، - خفيةٌ كانت أو جليةً - كانت الباعث على تحريمه، فعلى الخطيب إذا ما تناول شيئاً محرَّماً أن يُبيِّن لجمهوره السرَّ والحكمة وراء هذا التَّحريم، فإنَّ ذلك أقوى لكلامه، وأدعى لقبوله والتَّجاوب معه، وحسن أن يستعين الخطيب بما كشف عنه العصر الحديث من أسرار تلك المحرَّماتِ مثل الخمر والمُخدراتِ،

والزَّنا واللَّواط، والمَيْسر والقمار، والخنزير، والمَيْتة، والدِّم، والرِّبا، والعُقود
الفاَسِدة ...



البَدِيلُ عن هذا:

وِثْمَةٌ أَمْرٌ آخِرٌ لَا يَقِلُّ أَهْمِيَّةً عَنِ الْأَمْرِ السَّابِقِ، بَلْ قَدْ يَكُونُ أَكْثَرَ أَهْمِيَّةً
مِنْهُ أَوْ هُوَ الْبَدِيلُ وَلَا سِيَّما فِيمَا تَمَسُّ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ.

فَعَلَى الْخَطِيبِ بَعْدَ أَنْ يَكْشِفَ لْجُمْهُورِهِ عَنِ الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَرَاءَ تَحْرِيمِ
أَمْرِ مَا، أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمُ بِالْبَدِيلِ عَنْهُ لَيْسَهُلَّ انْتِقَالُهُمْ إِلَيْهِ وَتَعَاظِيهِمْ مَعَهُ.

نماذجُ ممَّا خطبْتُ:



الزَّنا والزَّواج:

لَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ الزَّنا، بَلْ حَرَّمَ تَعَاظِي مُقَدِّمَاتِهِ الَّتِي تُغْري بِهِ، وَتُوصِلُ إِلَيْهِ،
مِنَ النَّظَرِ، وَالْإِنْبِساطِ فِي الْكَلَامِ، وَالْخُلُوةِ ... وَلِلْقُرْآنِ تَعْبِيرٌ فَذُّ عَنْ الْحِكْمَةِ
مِنْ ذَلِكَ ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء : ٣٢]



فَالْإِسْلَامُ لَمْ يَحْرَمْ الزَّنا وَيَكْتَفِي بِالْوُقُوفِ عِنْدَ هَذَا
الْحَدِّ بَلْ رَغِبَ فِي الزَّواجِ بِوَاحِدَةٍ أَوْ أَكْثَرَ كِبَدِيلِ
عَنْهُ، وَفِي هَذَا إِرَواءٌ لِلْغَرِيزَةِ الْجِنْسِيَّةِ، وَتَصْرِيفٌ
لَهَا تَحْتَ مِظَلَّةِ الشَّرْعِ.

الرِّبَا والمُضَارَبَةُ:



لقد حرّم الله الرِّبَا على لسان كلّ نبيٍّ، وأنزلَ تحريمَه في كلّ كتابٍ، لما فيه من أضرارٍ هائلةٍ على المُجتمَعِ، من حيثُ الأفرادُ والأموالُ، وصدقَ الله :

﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ [البقرة: ٢٧٥]

وفي المُضَارَبَةِ -وهي صورةٌ من صور الشَّرَكَاتِ يكونُ رأسُ المالِ فيها من طَرَفٍ، والعملُ من طَرَفٍ آخرَ - ما يُغني عن إقراضِ المالِ مُقابلَ فائدةٍ!

إذن:

فليحذر الخطيبُ من الاكتفاءِ بذكرِ المُحرّماتِ، مع إغفالِ الحِكْمَةِ من تحريمِها.

وليكن أشدَّ حَذراً من ذكرِ المُحرّماتِ مع إغفالِ بدائلِها ممّا أحلّه الله عزَّ وجلَّ.



١١- الماضي والحاضر والمستقبل

يقولون:

يقولون: إنَّ الحاضرَ ما هوَ إلَّا امتدادٌ للماضي، وإنَّ المستقبلَ ما هوَ إلَّا امتدادٌ للحاضر.

وهذا الكلامُ صحيحٌ، غيرَ أنَّ لِعَاطِي الخُطباءِ مع هذه الأزمِنَةِ الثلاثة: المَاضِي والحاضرَ والمُستقبلَ مَذهبٌ، مِنها ما هو مَقبولٌ، ومِنها ما هو مَرفوضٌ، ومِنها ما هو مَشبوهٌ مُريبٌ.

أسرى المَاضِي:



بعضُ الخُطباءِ -خُطباءِ المنابرِ والمُحافلِ- لا يكادُ يتحدَّثُ إلَّا عن المَاضِي، ماضِي الأجدادِ والأُمجادِ، فتراهُ يتحدَّثُ عن زمنِ النُّبوةِ والخِلافةِ الرَّاشدةِ، والمعارِكِ الَّتِي انتَصَرَ فيها المُسلمونَ على الكُفَرَةِ، ويُذكِّرُ النَّاسَ بأَسْماءِ العُلَماءِ المُسلمينَ في مَجالِ الطِّبِّ والفِيزياءِ، والرياضيّاتِ والكِيمياءِ ... وكأَنَّ هذا الخُطيبَ كانَ يعيشُ مَعَهُم وبَيْنَهُم، غيرَ أَنَّهُ رَكِبَ عَرَبَةَ الزَّمنِ وجاءَ إلينا ليُحدِّثنا عن ذاكَ العَصْرِ، عَصْرِ الأجدادِ والأُمجادِ.

وهذا المَسْلَكُ مَرفوضٌ إنَّ لم يكنْ مُريباً لأنَّه يُوهِمُ النَّاسَ أَنَّ أُمَّةَ الإسلامِ قد قَدِّمَتْ كُلَّ ما لَدِيها، وليسَ عِنْدَها جَدِيدٌ تَقَدِّمُهُ وبِاللَّهجةِ العامِّيَّةِ " طَلَعَتْ على المَعاشِ ".

الْمُتَفَائِلُونَ:



وهؤلاء نوعٌ مختلفٌ عن النوعِ السابقِ تماماً فهو لا يتحدثُ إلّا عن المُستقبلِ الذي يحملُ معه انتصارَ الدِّينِ ، وهزيمةَ المُشركينَ ، وفتحَ روما ، وتحريرَ الأقصى من جديد .

وهذا المسلكُ مرفُوضٌ أيضاً إن لم يكنْ مُريباً ، فكأنّه يقولُ للنّاسِ اطمئنُّوا ولا تُبالوا بما ترونه الآن ، فالمُستقبلُ قادمٌ ، والمُستقبلُ أحلى .

ونحنُ نتفقُ معه على أنّ المُستقبلَ لهذا الدِّينِ ، ولكن لا بُدَّ من العملِ الدَّؤوبِ ، والجهدِ المُتَّصلِ ، والتَّخطيطِ السَّليمِ ، والإعدادِ والتَّحضيرِ لذلك المُستقبلِ !



لقد كان نورُ الدِّينِ زنكي واثقاً بِتحريرِ بَيْتِ المقدسِ ، حتّى أنّه صنَعَ له منبراً ، ولكنّه علِمَ أنّ الطَّريقَ إلى ذلك هو الجهادُ ، والجهادُ فقط ، وقد توفّاهُ اللهُ قُبَيْلَ ذلك ، وأكملَ مشواره خَرِيجهُ النّاصرُ صلاحُ الدِّينِ حتّى إنّهُ وضعَ المنبرَ بِنَفْسِهِ في مكانِهِ من المسجدِ الأقصى .



خيرُ الأمورِ أوسطُها:

والمذهبُ الحقُّ أنّ الخطيبَ ابنَ وَقتِه وزَمَنِه ، فعليه أن يتعاطى مع قضايا الأُمّةِ الحاضرةِ ، ومشاكلِها الرّاهنةِ ، مُشاركاً الأُمّةَ في آمالِها وآلامِها .

وعليه أن يأخذَ من الماضيِ ، وينقلَ من المُستقبلِ ما يخدمُ غرضَه من غيرِ أن يقعَ أسيراً لِلذِّكرياتِ ، أو حالِماً بالمُستقبلِ الَّذي قد لا يُدرِكُه ، لا هو ولا جُمهورُه من الحاضرين .

١٢- الخُطباءُ والأطباءُ

حِفْظُ الحَيَاةِ أَوَّلًا:



عندمَا يُنْقَلُ رَجُلٌ إِلَى مَشْفَى بَعْدَ حَادِثٍ
تَصَادِمٍ مُرَوِّعٍ فَإِنَّهُ يُبَدَأُ بِإِسْعَافِهِ بِمَا يَحْفَظُ
عَلَيْهِ حَيَاتُهُ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تُعَالَجُ بَاقِي الْأَضْرَارِ
كَالْكُسُورِ، وَالرُّضُوضِ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ
يَطْمَئِنَّ الْأَطِبَّاءُ إِلَى أَنَّ حَيَاةَ ذَاكَ الْمَرِيضِ لَمْ
تَعُدْ بِخَطَرٍ.

وَلَكِنْ

تَخِيلْ مَعِيَ أَنَّ مَجْمُوعَةً مِنَ الْأَطِبَّاءِ نُقِلَ إِلَى غُرْفَةٍ إِنْعَاشِهِمْ مَرِيضٌ عَلَى
مَا وَصَفْتُ لَكَ مِنَ الْحَالِ، أَوْ مُصَابٌ بِرِصَاصَةٍ اخْتَرَقَتْ قَلْبَهُ، أَوْ رِئْتِيهِ، أَوْ
أَصَابَتْهُ جُلْطَةٌ أَوْ سَكْتَةٌ، فَإِذَا بِهِؤُلَاءِ الْأَطِبَّاءِ يَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ قَلْبِهِ
الْمَتَّقُوبِ، أَوْ عَقْلِهِ الْمَجْلُوطِ مِنْ أَجْلِ اسْتِخْرَاجِ شَوْكَةٍ عَالِقَةٍ بِيَدِهِ أَوْ رِجْلِهِ، أَوْ
لِتَضْمِيدِ نَزيفٍ بَسِيطٍ! مَا تَقُولُ فِي هَؤُلَاءِ؟؟

أَنْتُمْ أَطِبَّاءُ الْأُمَّةِ:



إِنَّ الدُّعَاةَ وَمَنْهُمْ الْخُطَبَاءُ، هُمْ أَطِبَّاءُ هَذِهِ الْأُمَّةِ
يَرِصُدُونَ أَمْرَاضَهَا، وَيَصِفُونَ لَهَا الْعِلَاجَ النَّاجِحَ
وَالنَّاجِعَ بِإِدْنَيْنِ بِالْأَهَمِّ فَالْأَهَمِّ مِنْ أُمُورِهَا وَشُؤُونِهَا.

وَإِنَّ صَدَمَةً كُبْرَى وَخَبِيَّةَ أَمَلٍ عُظْمَى لَتُصَيِّبُنِي عِنْدَمَا أَسْتَمِعُ إِلَى خَطِيبٍ
يَتَحَدَّثُ فِي أُمُورٍ ثَانَوِيَّةٍ، أَوْ خِلَافَاتٍ قَدِيمَةٍ، أَوْ حَدِيثَةٍ أَمْرُهَا يَسِيرٌ، وَذَلِكَ
عَلَى حِسَابِ الْأُمُورِ الْأَكْثَرِ أَهَمِّيَّةً وَأَوْلَوِيَّةً.



- فالحديثُ عن فضائلِ قيامِ اللَّيْلِ في جُمهورٍ لم يَعدْ أَكثَرُهُ يَصِلِي فرائِضَ النَّهارِ، ولا فرائِضَ اللَّيْلِ، ضَرَبُ من العَبَثِ، وهو كَشَوَكَةِ المَجْلُوطِ.



- والحديثُ عن فضائلِ الصَّيَامِ التَّطَوُّعِيِّ في جُمهورٍ باتَ كثيرٌ من أَفرادِهِ يُفْطِرُونَ في رَمَضانَ جَهَاراً نَهَاراً، ضَرَبُ من العَبَثِ، وهو يُعَدُّ كَشَوَكَةِ المَجْلُوطِ.



- والحديثُ عن فَضِيلَةِ صَدَقَةِ التَّطَوُّعِ في جُمهورٍ أَمْسَكَ يَدَهُ عَنِ الزَّكَاةِ وهي فَرِيضَةٌ، وَرُكْنٌ أَساسِيٌّ مِنْ أركانِ الإسلامِ ضَرَبُ من العَبَثِ وهو يُعَدُّ كَشَوَكَةِ المَجْلُوطِ



- والحديثُ عن شُبُهاتِ المُوسَّساتِ المَالِيَّةِ في بِلَدٍ لَمْ يَكُنْ أَفرادُهُ يَتعاملُونَ إِلَّا بِالنِّظامِ الرَّبَوِيِّ ضَرَبُ من العَبَثِ، بَلْ وَيثيرُ الشُّكوكَ حَوْلَ عَقْلِ أو دِوافِعِ هذا المُتَكَلِّمِ.

-والحديثُ عن الأجدادِ والأَجدادِ أو عَمَّا سيجدُ في قِواديمِ الأَيَّامِ وتركِ الحَاضِرِ ضَرَبُ من العَبَثِ أيضاً.

إنَّ على الخَطيِّبِ أن يُمِيعَ النَّظَرَ في مُجتمَعِهِ الكَبيرِ أو الصَّغِيرِ ويرصُدَ مَشاكِلَهُ وَيُسجِّلَها ثُمَّ يَبدَأُ بِعِلاجِ الأَهمِّ فالأَهمِّ منها.

على أرض الواقع:



وأذْكرُ أَنِّي كُفِّتُ بِالخَطابَةِ في أَحَدِ المَساجِدِ فَسأَلْتُ بَعْضَ الإِخوةِ مِنْ أَهلِ تلكَ المَحَلَّةِ عَنِ أَكْثَرِ المُخالَفاتِ الشَّرِيعَةِ في هَذا الحَيِّ فَأخبرَني عَنها وَكانتْ كَثيرَةً وَكانَ مِنْ أَسوئِها شَتَمُ اللَّهِ، وَتَضْييعُ الصَّلواتِ، وَفَتْحُ المَحالِّ التِّجاريَّةِ أَثناءَ صَلاةِ الجُمُعَةِ، والأَعراسُ المُختَلِطَةُ،

والمشاكل مع الجيران، وإهمال تربية الأولاد، وانتشار الأمية أيضاً.
فما كان مني إلا أن دونت كل تلك المشاكل على حسب أهميتها، ثم بدأت بعلاجها واحدة واحدة وأحسبني وقفت في ذلك بعضاً من التوفيق.

وكان من أول ما بدأت به وعالجته ظاهرة شتم الله، والحلف بالطلاق التي شاعت على السنة الصغار قبل الكبار، والنساء قبل الرجال.
وخطبة بعد خطبة بدأت تلك الظاهرة بالاضمحلال والتلاشي شيئاً بعد شيء.



ثم تناولت ظاهرة تضييع الصلوات، وفتح المحال التجارية أثناء أداء صلاة الجمعة، ولطالما وقفت على منبري وأنا أرى المحال مفتحة أبوابها، والبيع فيها على قدم وساق، وعالجت هذه المشكلة بطريقة مختلفة وذلك أنني صرتُ آتي إلى أولئك الباعة واحداً بعد واحدٍ أسلم عليه وأقول له سنراك اليوم في الصف الأول يا جار المسجد، وهكذا حتى صارت جميع المحال تغلق أبوابها عندما تراني مُقبلاً نحو المسجد.



وما زلتُ على هذه الحال أطرح مشاكل الحي واحدة تلو الأخرى، ولو كنتُ أملك سلطةً أو مالاً لحللتُ لهم باقي المشاكل ولكن لا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

١٣- الوحدة والفرقة

نصيحة مُجَرَّبٍ:



يقول الشيخ الغزالي في مقدمة الكتاب الذي جمع بعضاً من خطبه (٢٠ / ١) " لا يجوز أن تتعرض الخطبة للأمور الخلافية، ولا أن تكون تعصباً لوجهة نظر إسلامية محدودة.

فإن المسجد يجمع ولا يُفرّق، ويلمّ شمل الأمة بشعب الإيمان التي يلتقي عندها الكلّ دون خوض في المسائل التي يتفاوت تقديرها، وما أكثر العزائم والفضائل التي تصلح موضوعاً لنصائح جديدة وخطب موفقة.

وقد شقي المسلمون بالفرقة أياماً طويلة، وجدير بهم أن يجدوا في المساجد ما يؤجّد الصُفوف ويُطفئ الخصومات ".

لا يستون:

من الخطباء والدعاة من هو بعيد النظر ثاقبه، سديد الرأي حكيمة، رحيم بعباد الله ...

ومنهم من هو على العكس من ذلك قصير النظر خائبه، ضعيف الرأي سقيم، ليس حكيماً ولا رحيماً ...

وعلامه ذلك أن الخطيب -خطيب المنابر والمحافل- إن كان ما يقوله يجمع الكلمة، ويؤجّد الصُفوف، ويُطفئ الخصومات، فهو من بعيد النظر ثاقبي الرأي ...

وإن كان ما يقوله يفرّق الصُفوف، ويُشعل الخصومات فهو من قصيري النظر، فاقد الرحمة والحكمة، وما أكثر هؤلاء في زماننا وفي ديارنا وغير ديارنا

وَكَمْ مِنْ فَرْقٍ بَيْنَ مَنْ يَقِفُ لِحَدِيثِ النَّاسِ عَنْ رَبِّهِمْ حَدِيثًا يُذَكِّرُ النَّاسِيَّ،
وَيَرُدُّ الْعَاصِيَّ، وَيَزِيدُ إِيْمَانَ الْمُؤْمِنِ، يُرِيكَ الْجَنَّةَ كَأَنَّكَ فِيهَا، وَيُرْغِبُكَ فِيهَا
وَيُشَوِّقُكَ إِلَيْهَا، وَيُرِيكَ النَّارَ كَأَنَّكَ مُطْلٌ عَلَيْهَا فَيُخَوِّفُكَ مِنْهَا وَيُحَذِّرُكَ مِنْهَا ...
وبينَ من يقفُ ليطرح القضايا الخلافية في العقيدة مثل التَّوَسُّلِ والكَرَامَاتِ،
وآياتِ الصِّفَاتِ ...

ويزداد الأمرُ سوءاً عندما يظنُّ البائسُ أنَّ خِلافيَّاته هي أساسُ الدِّينِ وأصلُّه
ومنبعُه.

ليسَ لهذا:

فالمنبرُ في الإسلام ليسَ لبثِ الفرقة، وفرضِ الرَّأي - في القضايا
المُختلفة فيها - بالقوَّة، وتصفيةِ الحساباتِ

ومتى؟

في زمنٍ اتَّحدَ فيه أعداؤنا وأبوا إلَّا القضاءَ علينا على هؤلاءِ وهؤلاءِ
جَمِيعاً!

فلتكنْ منابرُنا لِمَا اتَّفَقْنَا عَلَيْهِ وما أَكْثَرَهُ !

ولنجنبها ما اختلفنا فيه وما أَقَلَّهُ!

ولنتعاونُ فيما اتَّفَقْنَا عَلَيْهِ.

و ليعذرُ بعضُنا بعضاً فيما اختلفنا فيه.

١٤- بين التَّوْعِيَّةَ والتَّزْكِيَّةَ

لهذا ولذاك:

يقول الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ

يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ

وَيُزَكِّيهِمْ

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿ [الجمعة: ٢]

التَّوْعِيَّةُ:



ونعني بها شرح حقائق الدِّين في مجال العقيدة والحلال والحرام بأبسط طريقة وأكثرها تشويقاً وإقناعاً.

التَّزْكِيَّةُ:

قِيلَ فيها الكثير الكثير وهي على كُلِّ حالٍ: تطهيرٌ للنَّفْس من أدرانها وأوساخها، وزيادة ما فيها من محاسن الطَّبع ومكارم الأخلاق فهي إذن تخليةٌ وتحليةٌ.

تخليةٌ للنَّفْس عن ظاهر الإثم وباطنه.

وتحليةٌ لها بمظاهر خلق الانسان وباطنه.

بين هذا وذاك:

فعلى الخطيب وهو وارث نبويٍّ أن يُراوَحَ ويزاوج بين التَّوْعِيَّةِ والتَّزْكِيَّةِ، وعليه أن يبدأ بنفسه أولاً فيزكيها وينقيها ، فيجتمع فيه الصدق في المقال والأعمال.

— ب —

إِقَاءُ الْخُطْبَةِ

" إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَعْتَمِدُ عَلَى الْأُسْلُوبِ الَّذِي يَتَحَدَّثُ بِهِ
الْإِنْسَانُ وَ لَيْسَ عَلَى الْمَوْضُوعِ بَحْدِ ذَاتِهِ "
حِكْمَةٌ قَدِيمَةٌ

١- ما هو الإلقاء؟

- ✓ إنه أن تقدمَ لجمهورك ثمرةَ مجهودك.
- ✓ إنه أن تُقنعَ عقولهم بما أنتَ به مُقتنعٌ.
- ✓ إنه أن تعرّجَ بأرواحهم إلى السّماءِ.
- ✓ إنه أن تلهبَ حماسَتهم ليفعلوا ما تحثُّهم عليه.
- ✓ إنه أن تُدخلَ الرُّعبَ إلى قلوبهم ليجتنبوا ما تحذرهم منه.
- ✓ إنه أن تملكَ شفاههم فتجعلها تبتسمُ.
- ✓ إنه أن تملكَ عيونهم فتجعل دموعها تنهمرُ.
- ✓ إنه أن تُنسيَ جمهورك الزّمانَ، وتَنقلهم بِحديثك من مكانٍ إلى مكانٍ.
- ✓ إنه أن تجعلَ الدِّماءَ تغلي في عُروقهم حميَّةً للدينِ.
- ✓ إنه أن تضعَ قلبك في خطابك.



٢- قالوا عن الإلقاء

قال أحدهم:

إنَّ كلَّ شيءٍ يعتمدُ على الأسلوبِ الَّذي يتحدَّثُ به الإنسانُ، وليسَ على الموضوعِ بحدِّ ذاته.

وقال أحدهم:

هناك ثلاثة أشياء مُهمّة في الخطاب:

- ١- مَنْ يُلقِيهِ؟
- ٢- وكيف يُلقِيهِ؟
- ٣- وما الَّذي يَقُولُهُ؟

والشيء الأقلُّ أهميّةً من بين هذه الأشياء الثلاثة هي الأخيرة.

وقال أحدهم:

إنَّ الإلقاء الجيّد يجعلُ المادّة الهزيلة تمضي طويلاً.

قصة مُعبّرة:

يقولُ صاحبُ " فنّ الخطابة " بعدَ انتهاء الحربِ العالميّة الأولى، التقيتُ بشقيقتين في لندن... كانا أوّل من استقلّ طائرةً من لندن إلى أستراليا يصحبهما مُصوّر مشهورٌ التقطَ صوراً حيّةً لتساعدَهما على تجهيزِ خطابٍ مُمتعٍ عن رحلتَهما.

يقولُ المؤلّف: وجعلتُ أدربُهما على إلقائه مرّتين في اليوم وعلى مدار أربعة أشهر!

لقد قاما بتجربةٍ واحدةٍ، وألقيا الخطابَ ذاته تقريباً، ومع ذلك لم يكونا سواءً إذ أنَّهُنَّ هناك شيئاً ما إلى جانبِ الكلماتِ المُجرّدة في الخطاب.

إنَّه النكهةُ الّتي من خلالها يتمُّ الإلقاء، فالأمرُ لا يعتمدُ على ما تقولُ مثلاً يعتمدُ على طريقةِ إلقائه.



٣-وصعد على الصفا

رسالة الصفا:



• روى البخاري في صحيحه في كتاب التفسير عن ابن عباس (٤٧٧٠) أنه قال لما نزلت " وأندر عشيرتك الأقربين " صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر، يا بني عدي ...

فقال: أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن

تغير عليكم أكنتم مُصدقين؟

قالوا: نعم: ما جرّبنا عليك إلا صدقاً.

قال: فإني نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد ... الحديث.

• روى البخاري في صحيحه في كتاب المناقب عن ابن عمر (٣٥٨٣) أنه قال: كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه، فحنّ الجذع فأتاه فمسح يده عليه.



• روى البخاري في صحيحه في كتاب العلم عن أبي بكرة (٦٧) أنه ذكر النبي ﷺ قعد على بغيره ... قال: أي يوم هذا؟ الحديث

قال العلامة ابن حجر تعليقاً على الحديث الأخير (١ / ١٥٩) وفيه الخطبة على موضع عالٍ ليكون أبلغ في إسماعه للناس، ورؤيتهم إيّاه .

احذر من هذا : لا تخطب ولا تتكلّم – وأنت قاعدٌ – إلا من عُذر.





- روى البخاري في كتابه الصلاة عن ابن عباس (٤٦٧) أنه قال: **خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه، عاصباً رأسه بخرقه، فقعد على المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه.** الحديث.

وتأمل معي قول ابن حجر فقد شفى وكفى " ليكون أبلغ في إسماعه للناس، ورويتهم إياه "

وأضيف أيضاً بأنه بذلك يستحوذ على انتباههم واهتمامهم، وأما من يتكلم جالساً – مثل بعض خطباء المحافل – فإن الناس يسمعون صوته، ولا يرون شخصه، وكأنما هو هاتف من الجن، لا خطيب من الإنس.

ويحسن أيضاً بالخطيب أن يلتفت أثناء خطبته أو كلمته يمنة ويسرة ليرى جميع الحاضرين، ويراه جميع الحاضرين فيزدادوا إقبالا عليه، وفهماً لكلامه.

المنابر المهجورة:



قصدت يوماً أحد المساجد الذي يخطب فيه خطيب مشهور من خطباء دمشق، فوجدت باب المنبر مغلقاً، فقلت في نفسي لعله سيفتح قبيل مجيء الخطيب إليه، وصعوده عليه، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث، وذاك أن الخطيب قام إلى منصة، وخطب عليها واقفاً على قدميه

، وجُمهوره يحيط به، ولما لم أر استغراب الناس مما فعله ذاك الخطيب، علمت أن المنبر قد هجر منذ زمن بعيد، حتى بات هجرانه أمراً اعتيادياً.

ولست أعلم تفسيراً لما فعله هذا الرجل وأمثاله، وفي تقديرى أن الشيطان وسوس له ولأمثاله أن هذا أقرب للتواضع، وبئس التواضع ذاك الذي يخالف سنة الخطابة النبوية والبشرية، فالرسول ﷺ بدأ يخطب على الأرض مستنداً إلى جذع ثم هجره إلى منبره، وصاحبنا وأمثاله هجر منبره وصار يخطب على الأرض مستتراً ومستنداً إلى منصة على الأرض فأى انتكاسة هذه؟

٤- الخطباء الورقيون

مذاهب الإلقاء:

للخطباء ثلاثة مذاهب في إلقاء الخطبة بعد إعدادها:



١- فمنهم مَنْ يُلقِي خطبته أو كلمته على جمهوره من ورقة أو مجموعة من الأوراق كان قد أعدّها من قبل، أو أعدّت له لهذا الغرض، لا يزيّد على ما كتب أو كتب له، ولا يُنقص منه، وهؤلاء هم الذين أسميهم بالخطباء الورقيين.

٢- ومنهم من يكتفي من ورقته أو أوراقه بقراءة الشواهد القرآنية، أو الأحاديث ... وأمّا ما تبقى من الخطبة، فلا يُعول فيه على الورقة.

٣- ومنهم مَنْ يُلقِي خطبته من غير اعتماد على الأوراق أصلاً، بعد أن يكون قد أحسن تحضيرها، وأتقن حفظ شواهدا.

ترجيح لا تجريح:

ولا أشك أن أفضل هذه المذاهب هو المذهب الثالث، ودونه الثاني.

وأما المذهب الأول فإنّي - وهذا رأيي - لا أعدُّ صاحبه خطيباً أصلاً، فصاحبنا هذا و أمثاله قارئ ورقة، لا خاطب خطبة.

احذروا أيها الورقيون:



ثمّة أخطار ومصاعب ومصائب تتربّص بالخطباء الورقيين ومنها:

١- ماذا لو ضاعت الأوراق أو ضاع أحدها؟ ولم ينتبه الخطيب إلا وهو على المنبر؟



٢- ماذا لو سقطت الأوراق ،أو واحدة منها من يدي الخطيب ،أو ذهبت بها الريح، و ألقته في مكان بعيد؟ كما حدث مع بعضهم؟

٣- ماذا لو عجز الخطيب عن قراءة بعض الكلمات ،أو قرأها بشكل غير صحيح؟ وهذا يحدث مع أكثر الذين يقرؤون من الأوراق.



يروى أحدهم قصةً طريفةً عن خطيبٍ رقيّ كان يخطبُ من ورقة ،وكان ممّا قاله (البلاطم، والزناعم، واحدٌ وخمسون، واحدٌ وخمسون)!

وقد أثارت هذه الجملُ استغرابَ الناس، ولمّا سألوهُ بعد انتهاء الخطبة عادَ إلى ورقته فإذا فيها (البلاء طم، والزنا عم، آه، آه)

٤- ماذا لو اختلطت الأوراق أو تجاوز المتكلم أحدها؟

يقول أحدهم: حضرتُ خطبة الجمعة عند خطيبٍ رقيّ ،فإذا به بدلاً من أن يقلبَ ورقة قلبَ ورقتين ،وأكملَ خطبته والناس – من كان صاحياً منهم – في استغرابٍ وتعجبٍ وكأنهم قد شعروا أن في الخطبة خللاً.



٥- وهذا المحذورُ مهمٌّ جداً ،وهو أنْ نظرَ الخطيبُ سيظلُّ مشدوداً نحوَ الورقة، ولا يكادُ ينظرُ نحوَ جمهوره الذي سيتوقفُ بدوره عن النظرِ إلى خطيبه ،وبهذا ينقطعُ التّواصلُ بينَ الخطيبِ والجمهور، وهل الإلقاءُ شيءٌ غيرُ التّواصل؟

٦- وهذا المحذورُ أخطرُ من سابقه، وهو أنْ الخطيبَ -خطيب المنابر والمحافل- الذي اعتادَ الخطبة من ورقة، سيعجزُ تماماً عن التّكلم من غير ورقة، ولا سيّما في المحافل التي قد يُفاجأ فيها بدعوته إليها.

درس قاس من حدّاد:

كان عندي صديقٌ طيّبٌ، وكان يعملُ حدّاداً، وكان ممّن يُتّابعُ الدُّروسَ الشرعيّةَ، ويحضّرُ الدُّوراتِ الشرعيّةَ البسيطةَ، وذاتَ يومٍ أخبرني أنّه عرّضَ عليه أن يصيرَ خطيباً؟ فظننتُ أنّه يُمازِحُني، ولكنّه لم يكنْ كذلك بل تابع قائلاً: وما الخطابةُ؟ إنّها أن تكتبَ مجموعةً من الآياتِ والأحاديثِ على ورقةٍ ثمّ تقرأها من على المنبر!



٥-تقوية الذاكرة

اعتراض مرفوض:

يقول الكثير من الخطباء الورقيين: إنَّما نلجأ إلى إلقاء خُطبنا وكلماتنا من الأوراق خشية النسيان، وأولُّ ناسٍ أولُّ النَّاسِ!

ولأنَّ يُقالَ عَنَّا إنَّنا ورقِيُّونَ أهونُ عندنا من أن نخطُبَ فننسى جزءاً أو أجزاءً من الخُطبة.

ولأنَّ يُقالَ عَنَّا إنَّنا ورقِيُّونَ أهونُ عندنا من أن ننقِطِعَ عن الكلام، فنُحرِجَ كلَّ الحَرَجِ أمامَ جُمهورنا.

ولهؤلاء الورقيين أقول: بدلاً من أن تتذرَّعوا بضَعْفِ ذاكرتكم اعملوا بجِدٍّ على تقوية ذاكرتكم، وتذكَّروا قولَ الشَّاعر:

ولم أرَ في عيوبِ النَّاسِ عيباً كنقصِ القادرينَ على التَّمامِ

وصفةٌ مُجربةٌ لتقوية الذاكرة:

إنَّ للتَّذكُّرِ قوانينَ بسيطةً وهي ثلاثة فقط:

التَّكرارُ

ترابطُ
الأفكارِ

الانطباعُ

١-الانطباعُ:

يقول أحدهم: أَلقيتُ ذاتَ مرَّةٍ خُطبةً عن الإدمانِ وحُطوريته، وأثره على المُدمنِ وأسرته ومُجتمعه، مُعوَّلاً على قراءتي في المَصادرِ والمَراجعِ الطَبيَّةِ مُعتمداً على أوراقٍ أثبتَ عليها ما أريدُ قوله، فكانت خُطبةً بائِسةً رَغِمَ أَهميَّةِ المَوضوعِ.



ثمّ - وبعد حينٍ - أردتُ أن أخطبَ عن ذاتِ الموضوعِ للمرةِ الثَّانيةِ، وقد سَنَحَتْ لي فُرْصةٌ أن أزوّرَ المِصْحَةَ الَّتِي يُعالَجُ فيها المُدْمَنُونَ من الخُمُورِ والمُخَدِّراتِ فرأيتُهم، ورأيتُ مُعاناتَهُم، ورأيتُ معاناةَ أُسرِهِم، وجالستُهُم، واستمعتُ إلى قِصصِهِم، ثمّ علوتُ مِنبري - بعدَ أن رَتَبْتُ أفكارِي - وخطبتُ من غيرِ حاجةٍ إلى الورقةِ، وكانت خُطبةً رائعةً استحسَّنها جميعُ الحاضرينَ، ولكنْ لماذا؟ والخطيبُ واحدٌ والخُطبةُ واحدةٌ؟



إنَّ السِّرَّ في الانطباعِ، فالانطباعُ الَّذي تتركُه المُشاهدةُ والمُجالسةُ ينطبعُ في الذاكرةِ، وقَلَمًا يُنسى، وليسَ لما تَقْرؤه مثْلُ هذا الانطباعِ.

وتخيَّلْ مَعِي خَطيْباً أرادَ أن يخطُبَ عن غزوةٍ أُحدٍ مثلاً، فذهبَ إلى أرضِ المَعْرَكَةِ وقَرَأَ أحداثَها هُناكَ، وتخيَّلَها تحدثُ أمامَه، هل يحتاجُ إلى أوراقٍ وهو يخطُبُ؟ وهل سيكونُ أثرُه كَأَثَرِ مَنْ قَرَأَها من المَصادرِ والمَراجعِ فقط؟!



يقولُ صاحبُ كتابٍ " فنّ الخطابة " : إنَّ الشَّيْءَ المثاليَّ ليسَ في أن تَرى وتَسْمَعَ الشَّيْءَ الَّذي تَرغبُ في تذكُّرِه، لكنْ أيضاً في لمسِه وتذوُّقِه، ولكن وقبلَ كلِّ شيءٍ شاهِدُه، فإنَّنا نَميلُ إلى المُشاهدةِ وتلتصِقُ بأذهاننا الانطباعاتُ العينيةُ، وغالباً ما نستطيعُ أن نتذكَّرَ وجهَ الرَّجلِ، مع أنَّا لا نستطيعُ أن نتذكَّرَ اسمَه.

فالأعصابُ الَّتِي تُؤدِّي من العينِ ثمَّ إلى الدِّماغِ هي أضخَمُ ب ٢٥ ضعفاً من تلكَ الَّتِي تُؤدِّي من الأذنِ إلى الدِّماغِ.

أقولُ: وقديماً قالتِ العَرَبُ:

يا ابنَ الكِرامِ ألا تَدنو فتُبصرَ ما قد حَدَّثوكَ فما راءِ كَمَن سَمِعَا



وممَّا حَدَثَ مَعِي أَنِّي كُنْتُ كَثيراً ما أخطبُ عن الحجِّ والعُمرةِ والزَّيْارةِ للحبيبِ المُصطفى وصاحبِيهِ العَظيمينَ "أبي بَكْرٍ وعُمَرُ" ولكنْ بعدَ أن زُرْتُ مَكَّةَ فَطَفْتُ بكَعْبَتِها، وصَلَّيْتُ عِنْدَ مَقامِها، وَسَعَيْتُ بَيْنَ الصَّفا والمَروَةِ ... وَزُرْتُ الحَبِيبَ والصَّاحِبِينَ والبَقِيعَ، صارَ لخطْبِي نكهةٌ أُخرى فهل راءِ - بربِّكَ - كَمَن سَمِعَا؟

٢- ترابط الأفكار:



إنَّ ترابطَ الأفكار هو عملية ترتيب فقرات الخطبة أو الكلمة ترتيباً منطقيّاً، بحيثُ تدلُّ كلُّ فقرة على ما بعدها، فمن أين قد يأتي النّسيان للخطيب أو المتكلّم؟ وإن حدث هذا فلن يطول أبداً.



يقول الشيخ الغزالي في مقدّمة خطبته " من عناصر الخطبة النّاجحة أن يُسلم أحدها إلى الآخر في تسلسلٍ منطقيٍّ مقبولٍ ،كما تُسلم درجة السّلم إلى ما بعدها دون عناء".

ويقول خبير عالمي في الخطابة: يجب أن تنتظم الخطبة في تسلسلٍ منطقيٍّ ،بحيثُ تؤدّي النّقطة الأولى إلى النّقطة الثّانية، والثّانية إلى الثّالثة وهكذا بشكلٍ طبيعيٍّ مثلاً يؤدّي بابُ العُرفة الأولى إلى الثّانية.

٣- التكرار:

معنى التّكرار معروفٌ ،وهذه تجربة تُرشدُ إلى الطّريقة الأمثل للحفظ. أعطى أحدُ علماء النّفس طُلابه لائحةً من الكلمات التي لا معنى لها ليحفظوها مثل: ديوكس، كولي ...

فوجد أن هؤلاء الطُّلاب يحفظون تلك الكلمات بعد إعادتها ٣٨ مرّةً، وعلى مدى ثلاثة أيّام مثلاً استطاعوا حفظها بعد إعادتها ٦٨ مرّةً في جلسة واحدة!



قال صاحب فنّ الخطابة: إنّ هذا اكتشافٌ مهمٌّ جداً بشأن عمل ذاكرتنا، فهو يعني أنّ الإنسان الذي يجلس ويكرّر مراراً حتّى يُسيطر على ذاكرته ،فإنّه يستخدمُ ضِعفَ الوقت والطّاقة الضّروريّتين لتحقيق النّتائج ذاتها عندما تجري عملية التّكرار في فتراتٍ مُنفصلة.

ويتابع قائلاً: ومن المؤكّد الآن إزاء هذه الحقائق، أنّه ما من رجلٍ يتباهى
بذكائه يُؤخرُ تحضيرَ خطابه إلى ما قبلَ إلقائه بليلةٍ واحدةٍ، فإن فعلَ ذلكَ فإنَّ
ذاكرته - بسببِ الضّرورة - ستقومُ بالعملِ ضمنَ نصفِ مقدّرتها المُمكّنة!
وتأمّل معي قولَ الشّاعر:

اطلبْ ولا تضجِرْ من مطْلَبٍ فأفّة الطالب أن يضجِرا
أما ترى الحبلَ بتكراره في الصّخرة الصّماءِ قد أثرا

كيف نتذكّر التّواريخ:

يُعاني الكثيرُ من الخطباء - وأنا منهم - من صعوبةِ حفظِ التّواريخ، فإذا
ما اضطرَّ أن يُحدّدَ في خطابه تاريخاً محدّداً لمناسبةٍ ما كفتحِ مكة، أو تحرير
الأقصى زمنَ صلاح الدّين، أو ضياعِ الأندلس، أو احتلالِ الأقصى ... أو
... أو ... فإنّه يجدُ صعوبةً بالغةً في ذلك، ولسانُ حاله يقول: فهل إلى حفظِ
تاريخِ الأحداثِ المهمّةِ في سبيل؟

يُجيبنا عن ذلكَ صاحبُ " فنّ الخطابة " فيقول " إنّ أفضلَ طريقةٍ
لحفظِ التّواريخ هو ربطُها بتاريخٍ مهمّةٍ سبقَ أن ثبتتْ في الدّهن " .

ومعنى كلامه أنّ في ذاكرةٍ كلّ واحدٍ منها مجموعةً من الأرقامِ
مثلَ تاريخِ ميلاده وزواجه - وقلّ من يتذكّره من الرّجال - وبعضِ
المُناسباتِ فيستطيعُ أن يستفيدَ من تلكَ الأرقامِ، وهذه طريقةٌ ذكيّةٌ لحفظِ
التّواريخ.



٦- كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ

احمرّت عيناه وعلا صوته:

- روى مُسْلِمٌ في صحيحه عن جابر (٨٦٧) أَنَّهُ قَالَ:

" كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خُطِبَ

احمرّت عيناه وعلا صوته واشتدّ غضبه

حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: صَبِّحْكُمْ وَمَسَاءَكُمْ ... الحديث

قال النَّوَوِيُّ (١٥٥ / ٦) يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ
لِلخُطِيبِ أَنْ يُفَخِّمَ أَمْرَ الْخُطْبَةِ، وَيَرْفَعَ صَوْتَهُ، وَيَجْزَلَ
كَلَامَهُ، وَيَكُونَ مُطَابِقاً لِلْفَصْلِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيهِ مِنْ
تَرْغِيبٍ أَوْ تَرْهِيْبٍ.

ولعلَّ اشتدادَ غضبه كانَ عِنْدَ إِنْذَارِهِ أَمْرًا عَظِيمًا
وَتَحْدِيدِيَةً خُطْبًا جَسِيمًا.

وَقَالَ غَيْرُهُ: إِنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ الثَّلَاثَةَ مَجْمُوعَةً تَدُلُّ عَلَى الْحَمَاسِ وَعَلَى
الْإِنْفِعَالِ مَعَ مَوْضُوعِ الْخُطْبَةِ، وَبِدُونِهَا يَقُلُّ الْحَمَاسُ وَيَقُلُّ الْإِنْفِعَالُ، وَكَمَا
قِيلَ: كُلَّمَا كَانَ الْخُطِيبُ مُتَفَاعِلًا مَعَ مَوْضُوعِهِ كَانَ ذَلِكَ أَدْعَى لَانْتِبَاهِ السَّامِعِ
فِيَتَفَاعَلُ مَعَهُ.

لا هذا ولا ذاك:

حضرت ذات مرّة - ولم أعدها - خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ عِنْدَ
عَالِمٍ سَارَتْ بِذِكْرِهِ الرُّكْبَانُ، وَذَاعَ صَيْتُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ،
وَكَانَ الْمَوْضُوعُ الَّذِي طَرَحَهُ مِنْ عَلَى مَنبَرِهِ حَدِيثُ السَّاعَةِ،
وَقَدْ عَالَجَهُ مُعَالَجَةً رَائِعَةً، وَلَكِنِّي وَأَنَا أَسْتَمِعُ إِلَى خُطْبَتِهِ خُيِّلَ
إِلَيَّ أَنِّي فِي مُحَاضَرَةٍ جَامِعِيَّةٍ لَا فِي مَسْجِدٍ جَامِعٍ!

فَقَدْ كَانَ صَوْتُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ وَغَفَرَ لَهُ - يَسِيرُ مِنْ أَوَّلِ
خُطْبَتِهِ وَحَتَّى آخِرِهَا هَادئًا رَقْرَاقًا سِيرَ الْأَنْهَارِ فِي جَدَائِلِهَا، وَلَمْ
يَكُنْ يُزْمَجِرُ زَمْجَرَةُ الْأَعَاصِيرِ عِنْدَ اشْتِدَادِهَا.

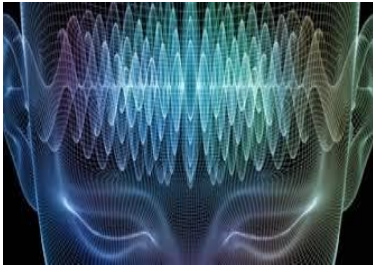




وكان عندي صديقٌ من خُطباءِ القرى وكان إذا صعدَ المنبرَ خُيِّلَ إليك أنه مُصارِعُ صعدَ الحَلَبَةَ لا خطيبٌ صعد المنبر، ويظلُّ على ذلك حتَّى آخرِ خُطبتِه، ولا ينتهي منها إلَّا قد أصابنا الصُّداغُ ودُوارُ المَنابرِ.

بين ذلك:

إنَّ جَهارةَ الصَّوتِ ممَّا يُميِّزُ الخُطيبَ عن سائرِ الدُّعاةِ الآخرين من المُدرِّسينَ والمُحاضرينَ...



على أنَّ جَهارةَ الصَّوتِ لا تعني أن يرفعَ صوته من أوَّلِ خُطبتِه حتَّى آخرها فيُتعبُ حَنجرتَه ويثقُبُ آذاننا، بل معناه أن يرفعَ صوته عندما يقتضي الأمرُ ذلك ثمَّ يخفضه وهكذا.

ومنَ المَعْلومِ أنَّ الخُطبةَ الهادئةَ تدعو لنومِ الإنسان، والخُطبةُ الصَّاخبةُ تكادُ تنقُبُ الأذنان، وخيرُ الأمورِ أوسطُها.

خُطباءٌ وخُطباء:

منَ المُلَاحَظِ أنَّ كَثيراً من خُطباءِ القرى ما يَزَالونَ على جَهارةِ الصَّوتِ مع إتقانٍ ذلك، أو مع غيرِ إتقانه في حين أن الكثيرَ من خُطباءِ المُدنِ باتَ صَوْتُهُم هادِئاً جداً، وقلَّما يرفعُ أحدهمُ صوته من فوقِ منبرِه أو في مَحْفَلِه، ولو فعلَ لصارَ الأمرُ مُستَغْرَباً، وهذا من الغرائب!

٧-كُن واضحاً

لماذا نتكلم؟

إنَّ الخِطَابَ أيَّ خِطَابٍ كَانَ - عِلْمَ الخَطِيبِ أو المُتَكَلِّمِ ذاك أم لم يعلم - لا بُدَّ أن يُحَقِّقَ ثلاثة أهدافٍ وإلا كان مُجَرَّدَ ثرثرةٍ ومَضِيعَةٍ للوقتِ وهذه الأهدافُ هي:



- ١- إيضاحُ شيءٍ ما.
- ٢- والإقناعُ والتأثيرُ بذلك الشيء.
- ٣- والحثُّ على التَّحرُّكِ.

فإذا ما خطبَ خطيبٌ أو تكلمَ مُتَكَلِّمٌ عن الرِّبَا مثلاً، فلا بُدَّ من تحقيقِ ثلاثة أهدافٍ مُجتمعةٍ وهي:



- ١- توضيحُ معنى الرِّبَا لِجُمُهوره بشكلٍ لا لبسَ فيه.
- ٢- إقناعُ الجُمُهورِ بخطورةِ الرِّبَا، وحرُمته حتَّى تنفِرَ نفوسُهم منه.
- ٣- حثُّ النَّاسِ على تركِهِ ، والبحثِ عن بدائلٍ شرعيَّةٍ لحفظِ المالِ واستثماره.

فإذا كان كلامُه غامِضاً، أو خلا من الإقناع، وعَرِيَ عن التأثير، أو لم يدعُ من خلاله لفعلٍ شيءٍ فأَيُّ قيمةٍ لكلامه حينها؟

وهذا سرُّ يُضافُ إلى أسرارِ إخفاقِ الغالبيةِ العظمى في خُطبائنا و مُتَكَلِّميننا في عالمنا الإسلامي!

ليكن خطابك واضحاً!

يقول أحد المُدَرِّبين العَالَمِيِّين للخطابة: وبالنسبة للإيضاح فإياك أن تستخفَّ بأهميّته.

استمعتُ - يقول - مرّةً إلى شاعرٍ أثناءُ أمسيّةٍ قرأ خلالها عدّة قصائد فلم يفهم ما قاله من الحاضرين سوى (١٪)، وهناك الكثيرون من الخطباء هم مثله.



ويتابع قائلاً: ولأهميّة الوُضوح في الخطاب والكلام كان أحدُ القادة العسكريّين يقولُ لجنوده " تذكّروا أيّها السّادة أنّ أيّ أمرٍ لا يفهم، فإنّه لن يُحقّق جيداً "

وكان نابليون - وقد أدرك خطر الغموض - يقول لمعاونيه:
" كونوا واضحين، كونوا واضحين ".

ومن طريف ما قرأتُ أنّ بعض المُبشِّرين بالنّصرانيّة في إفريقيا - ودعوة عيسى لم تكن يوماً دعوةً عالميّةً - غيّر نصّ الإنجيل بُغية الإيضاح وذلك أنّه غيّر كلمة " الثلج " من عبارة "ومع أنّ خطاياك تكون قُرْمُزِيّةً فإنّها ستصبحُ بيضاء كالثلج" غيّرَها إلى عبارة " لُبّ جَوَرِ الهند " لأنّ الأفارقة لا يعرفون ما هو الثلج، فانظر كيف تنبّه هذا الدّجال إلى أهميّة الوُضوح حتّى وصلَ به الأمرُ إلى تحريف الإنجيل المُحرّف أصلاً!



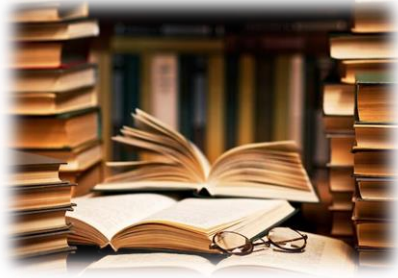
منابع الغموض:

وبعد استقراءٍ وتتبّعٍ وجدتُ أنّ الغموض يرجعُ إلى واحدٍ من أربعة أسبابٍ وهي:

- ١- عدم وضوح الموضوع في ذهن الخطيب أو المتكلّم أصلاً.
- ٢- استخدام بعض المفردات الغامضة.
- ٣- استخدام التعبيرات التقنيّة والمُصطلحات العلميّة.
- ٤- سوء ترتيب الأفكار.

فَاقِدُ الشَّيْءِ لَا يُعْطِيهِ:

لِبَعْضِ الْمُبْتَدئينَ مَسالِكُ غريبةٌ حيثُ يلجأ بعضهم إلى طرح مواضيع من على منبره من تلك التي يطرحها كبار الخطباء المتمكنين من ناصية العلم والكلام، فكيف سيكون خطابه؟!



إنَّ الخطباء الكبار أخرجوا لجمهورهم بعض ما لديهم، بل عَصارة ما لديهم، وهذه العَصارة جاءت من قراءاتٍ ومُطالعاتٍ ومُحاوراتٍ في هذا الموضوع، فهل للمبتدي تلك القراءات والمُطالعات والمُحاورات؟

وتخيّل معي مُبتدئاً يريد أن يحارب العلمانيّة أو يُطرق بعض المسائل السياسيّة فكيف سيكون حاله؟

لا تَسْتخدِمُ أَلْفاظاً أو عِبَاراتٍ غامِضةً:

يظنُّ بعضُ الخطباء أنَّه إذا ما شَحَنَ خُطْبَتَهُ أو كَلِمَتَهُ بالألفاظِ الغامِضةِ التي لا يعرفُ مَعناها إلاَّ أَهْلُ اللُّغَةِ، أو بعضُ المُتَقَفِّينَ ... يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ يَدُلُّ على قوَّتِهِ، وأنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُعْلي من شأنِهِ، ويرفَعُ من مكانَتِهِ، وهذا جَهْلٌ بلا ريب، فالوضوحُ مَطْلَبٌ لا يُمْكِنُ التَّنَازُلُ عنه، أو التَّهاوُنُ فيه، وإلاَّ انقَطَعَت الصِّلَةُ والتَّواصلُ بينَ الخطيبِ وبينَ جُمهورِهِ!

وأذكُرُ الخطيبَ والمُتَكَلِّمَ بما أسلفته من قبلُ أنَّه إذا ساقَ نَصّاً من آيةٍ أو حديثٍ، وفيه كلماتٌ غامِضةٌ على الجُمهورِ، فعليه أن يفسِّرَها ولا يتكَلَّ على فُهمِ النَّاسِ لها فأكثرُ النَّاسِ لا يفهمون!

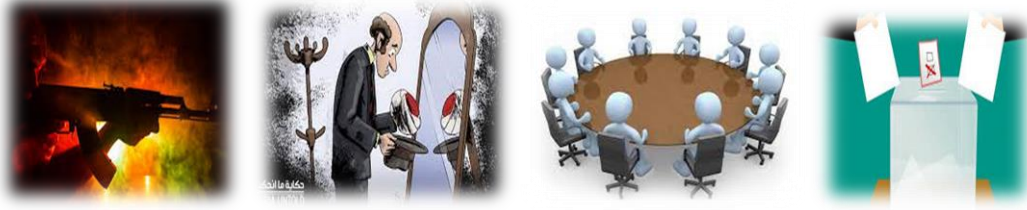
تَجَنَّبِ التَّعابِيرَ التَّقْنِيَّةَ:

حضرتُ خُطبةَ الجمعةِ، وكان موضوعُها عن الرَّبِّ فإذا بالخطيبِ العَبْقَرِيِّ يقولُ للنَّاسِ: إِنَّ الرَّبَّ نَوْعَانِ: رَبُّ الفَضْلِ وَرَبُّ النِّسِيئةِ، ثُمَّ مضى يُكْمِلُ موضوعَهُ، فهل فُهمَ النَّاسُ معنى رَبِّ الفَضْلِ، و معنى رَبِّ النِّسِيئةِ؟

ولشِدَّةِ جُبْنِهِ لَمْ يَسْتَطِعْ أن يقولَ: إِنَّ ما تَفَعَّلَهُ البُنوكُ من اقتراضِ مالِ النَّاسِ مقابلَ مَبْلَغٍ ثابتٍ يُعْطونه لهم، وإقراضِ النَّاسِ مقابلَ مَبْلَغٍ ثابتٍ يأخذونه

منهم ،وَيُسْمَوْنَ زُوراً فائدة ... لم يستطع أن يقول إنه من الربا ،بل عين الربا الذي حرّمه الله في كلّ كتبه ،وبعث على ذلك كلّ رسله!

إننا في عصر المصطلحات وكثير منها غامض أو يحمل عدّة معانٍ، أو يفهمه الناس على غير معناه العلميّ الصحيح فإذا ساق الخطيبُ مُصطلحاً منها مثل (الديمقراطية، الشورى، العلمانية، الإرهاب ...)



وجبّ عليه أن يفسّره بمعناه الصحيح، ثمّ إذا ما اطمأنّ إلى أن جمهوره قد فهم مراده من هذا المصطلح ،أكمل خطبته وكلمته باطمئنان.

التكرار البارِع من طرق الإيضاح:

إنّ التكرار البارِع من أبرز وسائل الإيضاح، وكثيراً ما كان رسولنا ﷺ يلجأ إلى التكرار بُغية الإيضاح والتأكيد.

ولكي يكون تكرارك بارِعاً كرّر فكرتك ولكنّ بعباراتٍ جديدةٍ مختلفةٍ إلى حدّ أن المستمعين لن يعتبروها تكراراً أصلاً.



وهذا مثالٌ من كتاب **فن الخطابة**: قال أحدهم " لن تستطيع أن تجعل الناس يفهمون موضوعاً إلاّ عندما تفهمه أنت، وكلّما اتّضح الموضوع في ذهنك، استطعت تقديمه بوضوح في أذهان الآخرين "

لاحظ تجد أنّ آخر جملةٍ هنا هي مُجرّد تكرارٍ للفكرة التي أتت في الجملة الأولى، ولكنّ عندما تذكر هاتين الجملتين فإنّه لن يُتاح للذهن أن يدرك أنّها مُجرّد تكرار، بل إنّّه يشعر أنّ الموضوع قد زاد وضوحاً.

اعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه:

من يُتَابِعُ بعضَ البرامِجِ التِّلْفِزيونِيَّةِ الحِواريَّةِ تلكَ الَّتِي يَجْمَعُ فيها المُذيعُ
بَيْنَ شَخْصَيْنِ يَتَنَاقِشَانِ أو قُلْ يَتَصَارِعَانِ، فما الذي يحدثُ؟



يبدأُ هذا بفكرةٍ وقَبْلَ أن يُتِمَّها
يَقاطِعُه الآخرُ وَيَقطَعُ عليه فِكْرَتَه، ثُمَّ
إنَّ ذلكَ الآخرَ يَطْرَحُ فِكْرَةً وقَبْلَ أن
يُتِمَّها يحدثُ مَعَه ما حَدَثَ مَعَ خَصْمِهِ
وهكذا! فما الَّذي نُحْصِلُه نحنُ
المُشاهِدِينَ من مِثْلِ هذه الحِواريَّاتِ
سِوَى أَفكارٍ مَبْتُورَةٍ وصُدَاعٍ في
الرَّأْسِ!

إنَّ لِبعضِ الخُطباءِ مَسْلَكاً كهذا المَسْلَكِ حيثُ يبدأُ بفكرةٍ وقَبْلَ أن يُوفِّيها
حقَّها يُغادِرُها بِرِشاقَةٍ إلى أُخرى كأنَّما هُوَ نَحْلَةٌ يَنْتَقِلُ من زَهْرَةٍ إلى أُخرى
لا خُطيبٌ يَنْتَقِلُ من فِكْرَةٍ إلى فِكْرَةٍ.

وفي تَقديرِي: أن يَخْرُجَ الجُمهورُ بفِكْرَةٍ واحدةٍ واضِحَةٍ خَيْرٌ من أن
يَخْرُجوا بَعْدَ أَفكارٍ خِداجٍ غيرِ تامَّةٍ.

وَضَرَبَ أَحَدُهُم مِثْلاً لِهذه الخُطْبِ فقال: إنَّه كالدَّلِيلِ الَّذي يُطْلَعُ السُّيَّاحُ
على بَاريسَ كُلِّها في يَومٍ واحدٍ!



٨- كُنْ مؤثراً

المَهْزَمُونَ لَا يُؤَثِّرُونَ:

إِنَّ الْكَثْرَةَ الْكَاثِرَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ وَفِيهِمْ عَدَدٌ لَيْسَ بِالْقَلِيلِ مِنَ الْخُطَبَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالِدُّعَاةِ ... مُهْزَمُونَ فِكْرِيًّا أَمَامَ أَمْرَيْنِ:



١- أَمَامَ حَضَارَةِ الْغَرْبِ مِنْ جِهَةٍ



٢- وَأَمَامَ الْوَاقِعِ الْمُزْرِي الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ حَالُ الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ مِنْ تَشَرُّدِهَا، وَتَسَلُّطِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ، وَتَسَلُّطِ أَعْدَائِهَا عَلَيْهَا، وَتَوَلَّى أَرَادِلَهَا إِدَارَةَ شُؤُونِهَا ... مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى.

وَبِثْقَةٍ أَقُولُ: إِنَّ أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ عِنْدَمَا يَقِفُونَ عَلَى مَنَابِرِهِمْ أَوْ فِي مَحَافِلِهِمْ وَهُمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ كَيْفَ سَيُقْنِعُونَ عُقُولَ جَمَاهِيرِهِمْ؟ وَكَيْفَ سَيُؤَثِّرُونَ بِهَا؟

إِنَّ شَيْئاً مِنْ هَذَا أَوْ ذَلِكَ لَنْ يَحْدُثَ، فَعَلَى هَؤُلَاءِ أَنْ يَسْتَعِيدُوا ثِقَتَهُمْ بِالْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ أَوَّلًا ثُمَّ يَقْدِمُوهُ لِلْجُمْهُورِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَهَذَا هُوَ سِرُّ الْحَمَاسَةِ الَّتِي تَجْعَلُ الْكَلَامَ يَخْرُجُ مِنَ الْقَلْبِ وَمِنَ الرُّوحِ، لِيَقَعَ فِي الْقُلُوبِ وَتَتَلَقَّاهَا الْأَرْوَاحُ.

وَإِنَّمَا بَدَأْتُ بِهَذِهِ النُّقْطَةِ لِأَهْمِيَّتِهَا الْقُصْوَى، وَفِي تَقْدِيرِي إِنَّ الْحَمَاسَةَ تَكَادُ تَكُونُ كَافِيَةً لِنَجَاحِ الْخِطَابِ، إِذَا مَا أُعْطِيَ حَقُّهُ مِنَ الْإِعْدَادِ وَالتَّحْضِيرِ، وَلَكِنْ مَعَ ذَلِكَ سَنَذَكُرُ بَعْضَ الْمُلَاحَظَاتِ الْمُهْمَةِ فِي مَيْدَانِ الْإِلْقَاءِ الْمُؤَثِّرِ.

لا تُقلِّد غيرك:



لبعض الخطباء من المُبتدئين وَلَعُ في تقليد الخطباء النّابهين، وهذا أكبرُ خطأ قد يقع فيه الخطيبُ أو المُتكلِّمُ فأسلوبُ الإنسان في الكلام هو بالأساس جزءٌ من شخصيّته تماماً مثلما الحال بالنسبة للحِيتِه ورأسِه الأصلع مثلاً.

ويكفي أن تعلم أيُّها الخطيبُ أن التقليد يقتل الإبداع فلا تقتل نفسك.

لا تتكلف:

ومما يقع فيه بعض الخطباء آفة التّكلف والتّصنع بالكلام والحركات..



يقول أحدُ المُدرّبين: إنّ مشكلة تعليم أو تدريب النّاس على الإلقاء ليست من المسائل الصّعبة، بل إنّها مسألة إزالة العوائق وتحريرها، واستدراجهم للتحدّث بشكلٍ طبيعيٍّ، مثلما يفعلون إذا ما صارَ عنهم أحدٌ.

يقولُ: أوقفتُ الخطباءَ مئات المرات في مُنتصفِ خطابهم، ورجوئهم أن يتكلّموا كبشرٍ، ومئات اللّيالي عُدْتُ إلى المنزل وقد أصبتُ بإرهاقٍ ذهنيٍّ وعصبيٍّ من جرّاءِ مُحاولتي توجيه وإجبار النّاس على التحدّث بشكلٍ طبيعيٍّ.

صدّقني إنّ الأمرَ ليس سهلاً كما يبدو لك، والطّريقة الوحيدة لاكتساب هذه الطّبيعة هي التّدريبُ، وفيما أنت تتدرّبُ إذا وجدتَ نفسك تتحدّثُ بأسلوبٍ متكلفٍ، توقّف وقُلْ بحدّة لنفسك " ما الأمرُ؟ انتبه! كُن إنسانياً ...

مِمَّا يُسَاعِدُ عَلَى التَّلْقَائِيَّةِ:



أَثْبَتَتِ التَّجَرُّبَةُ أَنَّ الْإِخْلَاصَ وَالْحِمَاسَ وَالصِّدْقَ مِمَّا يُسَاعِدُ عَلَى التَّلْقَائِيَّةِ.

فَالْإِنْسَانُ عِنْدَمَا يَكُونُ تَحْتَ تَأْثِيرِ مَشَاعِرِهِ فَإِنَّ ذَاتَهُ الْحَقِيقِيَّةَ تَبْرُزُ، وَتُزَالُ أَمَامَهَا جَمِيعُ الْعَقَبَاتِ إِذْ أَنَّ حَرَارَةَ عَوَاطِفِهِ تَحْرِقُ كُلَّ الْحَوَاجِزِ، فَيَتَصَرَّفُ تَلْقَائِيًّا وَيَتَحَدَّثُ بِتَلْقَائِيَّةٍ فَيَكُونُ طَبِيعِيًّا.

لَا تَتَكَلَّمْ عَلَى طَبَقَةٍ وَاحِدَةٍ:

يَرْتَكِبُ الْكَثِيرُ مِنَ الْخُطَبَاءِ خَطَأً جَسِيماً عِنْدَمَا تَجْرِي خُطْبُهُمْ عَلَى نَسْقٍ وَاحِدٍ مِنْ حَيْثُ طَبَقَةُ الصَّوْتِ، فَهَذَا هَادِيٌّ يَكَادُ النَّاسُ يَنَامُونَ وَهُوَ يَحْدِثُهُمْ مِنْ عَلَى مَنْبَرِهِ أَوْ فِي مُحْفَلِهِ، وَذَلِكَ مَا يَفْتَأُ يَصِيحُ حَتَّى تَكَادُ الْأَذَانُ تُصَابُ بِالصَّمَمِ، فَعَلَى الْخَطِيبِ أَنْ يُغَيِّرَ طَبَقَةَ صَوْتِهِ وَأَنْ يَجْعَلَهَا مُتَنَاسِبَةً تَمَاماً مَعَ الْمَعْنَى، فَيَعْلُو صَوْتُهُ وَيَشْتَدُّ عِنْدَمَا يَقْتَضِي الْمَقَامُ الْعُلُوَّ وَالشِّدَّةَ، ثُمَّ يَرِقُّ وَيَلِينُ عِنْدَمَا يَقْتَضِي الْمَقَامُ ذَلِكَ
فَعِبَارَةٌ مِثْلُ:

يَا أَيُّهَا الشَّبَابُ غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ

هَلْ يَحْسُنُ أَنْ تُؤَدَّى بِشَكْلِ رَفِيقٍ رَفِيقٍ؟

وَعِبَارَةٌ مِثْلُ:

كُنْ مُتَوَاضِعاً مَعَ عِبَادِ اللَّهِ

هَلْ يَحْسُنُ أَنْ تُؤَدَّى بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ؟

شِدِّد على الكلماتِ المُهمَّةِ:



عندما يحضرُ النَّاسُ حَفْلاً أو مُناسبةً فإنَّ لِلرَّجَالِ المُهمِّينَ أَمَاكِنَهُم المُتميِّزةَ ،والتي تختلفُ عن أَمَاكِنِ سائِرِ الحُضُورِ، وكذلكِ الكلماتُ فما كان منها مُهماً فشدِّدْ عليه، وما ليسَ كذلكَ فلا تُعامله كما عاملتَ المُهمَّ من الكلماتِ، والتَّكرارُ للكلمةِ أو الجُملةِ يدخلُ في هذا البابِ ولطالما استعملَ سيِّدُ الخُطباءِ هذه الطَّريقةَ.

وخلصةُ القولِ: أنزلوا الكلماتِ منازلَها كما تنزلون النَّاسَ منازلَهم.

غَيِّرْ مُعدَّلَ سُرْعَةِ صَوْتِكَ:

إنَّ الخَطيْبَ كراكِبِ السَّيَّارةِ ومَقوِّدُها في يَدِهِ، يُسرِّعُ تارةً ويُبْطِئُ تارةً أُخرى.



يقولُ أحدُ المُدْرِبينَ: عندما نكلِّمُ الطِّفْلَ الصَّغِيرَ أو عندما نتحدَّثُ خِلالَ مُحادثةٍ عاديَّةٍ فإنَّنا نُغيِّرُ عادةً مُعدَّلَ سُرْعَةِ كلامِنا لأنَّ ذلكَ يبعثُ على السُّرُورِ وهو أمرٌ طَبِيعِيٌّ يحدثُ من دونِ وعيٍ، وهو في الحَقِيقَةِ من أَفضَلِ الوَسائِلِ لإيضاحِ الفِكرةِ.

وكانَ أحدُ الخُطباءِ المَشهورينَ يقولُ عدَّةَ كلماتٍ بِسرْعَةٍ عَظيمةٍ، وعندما يصلُ إلى الكلمةِ أو الجُملةِ الَّتِي يَرغبُ في التَّشديدِ عليها يَرفعُ صَوْتَهُ ببطءٍ ثم يندفعُ إلى آخرِ جُمْلَتِهِ كالبرقِ، فكانَ بهذا يُكرِّسُ وقتاً لكلمةٍ أو كلمتين يَربِغُ في التَّأكيدِ عليهما أكثرَ ممَّا يُكرِّسُهُ لستَّةِ كلماتٍ تكونُ أَقلَّ أَهميَّةٍ منها.

تَوَقَّفْ قَبْلَ وَبَعْدَ الْأَفْكَارِ الْمُهْمَّةِ:



عندما يذهب الإنسان في نزهة ما فإنه يتوقف بين الحين والحين ،ولكن أين ؟عند الأماكن التي تستحق أن يتوقف عندها، وكذلك الكلام.

كَانَ أَحَدُ الْخُطَبَاءِ الْمَشْهُورِينَ يَتَوَقَّفُ أَثْنَاءَ إِقَاءِ خُطْبَتِهِ ،فَعِنْدَمَا يَمُرُّ بِفِكْرَةٍ عَظِيمَةٍ يَرُغَبُ فِي تَرْسِخِهَا بِأَذْهَانِ مُسْتَمْعِيهِ فَإِنَّهُ يَتَوَقَّفُ ثُمَّ يَنْحَنِي إِلَى الْأَمَامِ وَيُحَدِّقُ بَعْيُونِ جُمُهورِهِ بِشَكْلِ مُبَاشِرٍ لِلْحِظَةِ ، مِنْ دُونِ أَنْ يَقُولَ شَيْئاً ، ثُمَّ يَقُولُ مَا يَرِيدُ أَنْ يَقُولَهُ ثُمَّ يَتَوَقَّفُ مُجَدِّداً .
إِنَّ هَذَا الصَّمْتَ قَبْلَ وَبَعْدَ الْجُمْلِ الْمُهْمَّةِ لَهُ نَتِيجَةُ الضَّجَّةِ .

يقول أحدهم: من خلال صمتك تتكلم ... وهذا الصمت بهذه الطريقة أداة قوية ومهمة لا ينبغي إغفالها، ومع ذلك فهي مهمة دائماً من قبل الخطيب المبتدئ.

استفد من علم البلاغة:

عُرِفَ عِلْمُ الْبَلَاغَةِ بِأَنَّهُ الْقُدْرَةُ عَلَى الْإِقْنَاعِ وَالتَّأْثِيرِ فِي الْآخَرِينَ مِنْ خِلَالِ سِحْرِ الْكَلِمَاتِ ،وذلك:
إِمَّا بِاسْتِخْدَامِ الصُّورِ الْبَيَانِيَّةِ .
وإِمَّا بِمُطَابَقَةِ الْكَلَامِ لِمَا يَقْتَضِيهِ الْحَالُ .

وإِمَّا بِتَزْيِينِ الْكَلَامِ بِالْمُزَيِّنَاتِ اللَّفْظِيَّةِ تَارَةً ، وَالْمَعْنَوِيَّةِ تَارَةً أُخْرَى ، وَقَدْ تَحَدَّثْنَا عَنْ عِلْمِ الْبَلَاغَةِ فِيمَا مَضَى .



• رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَمَرَ (٥٧٦٧) أَنَّهُ قَالَ:

قَدِمَ رَجُلَانِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَخُطَبَا ، فَعَجِبَ النَّاسُ لِبَيَانِهِمَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا .

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: وَالْبَيَانُ هُنَا: تَحْسِينُ اللَّفْظِ حَتَّى يَسْتَمِيلَ قُلُوبَ السَّامِعِينَ ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُشَبَّهُ السِّحْرَ ، لِأَنَّ السِّحْرَ صَرَفُ الشَّيْءِ عَنْ حَقِيقَتِهِ .

٩- العبارة والإشارة

لغة الجسد!



إنَّ التَّوَاصُلَ بَيْنَ الْخَطِيبِ وَجُمْهُورِهِ لَا يَقِفُ عِنْدَ حُدُودِ التَّوَاصُلِ اللَّغَوِيِّ مِنْ حَيْثُ الْفَصَاحَةُ الَّتِي تَعْنِي التَّعْبِيرَ بوضوحٍ، وَمِنْ حَيْثُ الْبَلَاغَةُ الَّتِي تَعْنِي التَّأْثِيرَ عَلَى السَّامِعِينَ، بَلْ يَتَعَدَّى ذَلِكَ إِلَى نَوْعٍ آخَرَ مِنَ التَّوَاصُلِ، لَا يَقُلُّ أَهْمِيَّةً بَلْ يَزِيدُ عَنِ التَّوَاصُلِ اللَّغَوِيِّ، إِنَّهُ التَّوَاصُلُ عَنْ طَرِيقِ لُغَةِ الْجَسَدِ.

دراسة ذات شأن:

في دراسة قام بها علماء النفس توصلوا من خلالها إلى أن:

١- (٧٪) فقط من التأثير تتولّد من خلال التّواصل بالكلمات.

٢- و(٣٨٪) تتولّد من خلال نبرة الصّوت.

٣- و(٥٥٪) تتولّد من خلال لغة الجسد!

وأثبتت الدّراسة أنّ الدّكر أنّه إذا اختلفت الكلمات مع لغة الجسد، فإنّ المُستمع يميل إلى تصديق لغة الجسد.

ما هي لغة الجسد؟



إنّها تلك الحركات الّتي ينبغي للمتكلّم أن يأتي بها من أجل الحصول على تواصل أفضل مع جمهوره، ومن أهمّها وأبرزها حركات اليد (الإشارات)، ونظرات العيون.

العبارات والإشارات:

حضرت يوماً خطبةً خطيبٍ خيّلَ لي أنّه تمثالٌ قدّ من حجرٍ، لا خطيبٌ من بني البشر، فقد تجمّدَ في مكانه من أوّلِ الخطبة حتّى آخرها.

ثمّ حضرتُ خطبةً خطيبٍ آخرَ - و كنتُ يومها في مصرَ - فلمْ أكْذُ أفهمُ من كلامه شيئاً لانشغالِ فكري بتتبُّعِ حركاته وإشاراته والتفاتاته وما كان أكثرها!

وفي تقديرِي أنّ كُلاًّ من الخطيبين مُجانبٌ للصّوابِ، فالإشارةُ في الخطبة لها أصولها لكي تكونَ مُتعاونةً ومُتناغمةً مع الكلماتِ وإليّكها:

١- أن تكونَ الإشارةُ باليدِ مُناسبةً ومُلائمةً للعبارةِ بالقَم، حتّى تتحقّقَ مؤازرتها لها في الإيضاح والتبيين.

• روى البخاريُّ عن ابنِ عباسٍ (٨١٢) أنّه قال:

قالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أمرتُ أن أسجدَ على سبعةِ أعظمٍ على الجبهةِ وأُشارَ بيدهِ على أنفه ... الحديث."

• روى البخاريُّ عن أبي مسعودٍ (٤٣٨٧) أنّ النبيَّ ﷺ قال:

"الإيمانُ ههنا وأشارَ بيدهِ إلى قلبه ... الحديث."

• روى البخاريُّ عن سهلٍ (٥٣٠٤) أنّه قال:

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "أنا وكافلُ اليتيمِ في الجنةِ كهاتينِ" وأشارَ بالسَّبَّابةِ والوسطى، وفرَّجَ بينهما شيئاً.

• روى البخاريُّ عن أبي موسى (٤٨١) عن النبيِّ ﷺ أنّه قال:

"إنَّ المؤمنَ للمؤمنِ كالبُنيانِ يشدُّ بعضُهُ بعضاً، وشبكَ أصابعه."

فإذا لم تُوافق الإشارة العبارة، أو كانت مُخالفةً لها أوقعت الجمهور في سوء الفهم، كأن يقول الخطيب مثلاً: وكان فلان رجلاً طويلاً ويُشير بيده نحو الأسفل، أو بالعكس.

٢- أن تكون الإشارة مقارنةً للعبارة لا سابقةً عليها، ولا لاحقةً بها، وذلك من أجل تحقيق التزامن بين ما ينطق به اللسان وما تنطق به اليدين.

٣- ألا تكون الإشارة مُبالغاً فيها، ومن باب أولى ألا تكون عشوائيةً لأنها ستتحول إلى حركات مُخرجة للخطيب، وقد تجرّ عليه سُخرية الجمهور واستهجانهم... فهذا خطيبٌ كاد يُطيح بمكبر الصوت، وذلك خطيبٌ ألقى كأس الماء الذي أمامه، فأسقطه فوق رؤوس الناس... وآخر أسقط عمامته حتى إنني سمعتُ عن خطيبٍ جعل يقفز فوق المنبر ويُحطّم ما وراءه!

حذار من هذا:

على الخطيب أن يحذر كلّ الحذر من بعض الحركات الجسدية التي لا تخدم عباراته، ولا تواكبها، بل تدلّ على توتره واضطرابه، ونلمح هذا على الخطباء المبتدئين، أو الذين يرتقون المنبر، أو يُقدّمون للكلام و أذهانهم خالية تماماً ممّا سيقولونه.

يقول المبرّد في كامله (٣٠ / ١): ورُبّما تشاغل العيّ (العي): خلافُ البيان) بقتل إصبعه، ومسّ لحيته، وغير ذلك من بدنه، و ربّما تنحنح، وقد قال الشاعر يُعيبُ بعض الخطباء:

مليءٌ ببهرٍ والتفاتٍ وسَعلةٍ ومسحةٍ عُثونٍ وفتلٍ أصابعٍ



لُغَةُ الْعَيُونِ:



شَرَّفَنِي أَحَدُ الْأَصْدِقَاءِ عِنْدَمَا طَلَبَ مِنِّي أَنْ
أَخْطُبَ بَدَلًا مِنْهُ فِي مَسْجِدِهِ، فَاِمْتَلَأْتُ لِرَغْبَتِهِ، وَلَمَّا
أَنْ قَعَدْتُ عَلَى الْمِنْبَرِ أَثْنَاءَ الْأَذَانِ الثَّانِي، جَعَلْتُ
أَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ الَّذِينَ أَمَامِي، وَمَنْ عَنْ يَمِينِي تَارَةً
و شِمَالِي، وَكَذَلِكَ فَعَلْتُ فِي أَثْنَاءِ خُطْبَتِي، وَهَذِهِ
عَادَتِي أَثْنَاءَ خُطَابَتِي عَلَى الْمَنَابِرِ وَفِي الْمَحَافِلِ.

وَلَمَّا أَنْ انْفَرَدَ بِي صَدِيقِي ذَاكَ، فَاجَأَنِي بِأَنَّهُ مِمَّا أَعْجَبَهُ فِي خُطْبَتِي أَنَّنِي
أَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ أَثْنَاءَهَا، وَلَقَدْ كَانَ إِعْجَابُهُ هُوَ الَّذِي أَثَارَ تَعْجُبي فَكَيْفَ يَكُونُ
خَطِيبًا مَنْ لَا يَنْظُرُ إِلَى جُمُهورِهِ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ؟

إِنَّ نَظَرَ الْخَطِيبِ إِلَى جُمُهورِهِ، وَنَظَرَ هُمْ إِلَيْهِ أَثْنَاءَ إِلقَائِهِ الْخُطْبَةَ، أَوْ الْكَلِمَةَ
مِنْ أَهَمِّ جُسُورِ التَّوَاصلِ بَيْنَهُمَا.

وَيَفْقَدُ التَّوَاصلَ كُلُّ خَطِيبٍ يَنْظُرُ فِي وَرَقَتِهِ، أَوْ فِي السَّقْفِ أَوْ ... دُونَ
النَّظَرِ إِلَى جُمُهورِهِ، وَيُوحِي لَهُمْ بِأَنَّهُ فَاقِدٌ لِلثِّقَةِ بِنَفْسِهِ أَيْضًا.

يَقُولُ أَحَدُ الْبَاحِثِينَ: حَافِظٌ عَلَى الْإِِتْصَالِ بِالْعَيْنِ مَعَ الْآخَرِينَ بِالْقَدْرِ الَّذِي
يَشْعُرُ الْجَمِيعَ بِالْإِرْتِيَاكِ، فَإِنَّ مَنْ يَنْظُرُونَ لِلْآخَرِينَ يَكْتَسِبُونَ مِصْدَاقِيَّةً أَكْثَرَ
مَنْ الَّذِينَ لَا يَنْظُرُونَ.



١٠- المرونة

مفاتيح النجاح العشرة:

طُلبَ إليّ ذاتَ مرّةٍ أن أُلقيَ مُحاضراتٍ أمامَ زملائي من المُدرّسينَ فاحترتُ في أمرِي، وقلتُ لِنفسي: أيّ موضوعٍ أختارُ لأُلقِيَه أمامَ زملائي من المُدرّسينَ؟

وبعد تفكير طويل وقعَ اختياري على كتابٍ " مفاتيحُ النّجاحِ العشرة " للدُّكتور إبراهيم الفقي - رحمه الله - وكانت المُحاضرة مُفيدةً نافعةً جزي الله صاحبَ الكتابِ خيراً.
وأما المفاتيحُ فهي:



الفعلُ

التَّصوُّرُ

المَهارةُ

الطَّاقةُ

الدَّوافِعُ

الانضباطُ

الصَّبْرُ

المرونةُ

الالتزامُ

التَّوقُّعُ

المُرونةُ:



كَانَ هُنَاكَ ذُبَابَةٌ تَحاولُ الخُرُوجَ مِنْ نافذةٍ مُغلقةٍ، وظَلَّتْ تَحومُ وَتَدورُ مِنَ اليَمِينِ إِلَى اليَسَارِ، وَمِنْ أَعلى إِلَى أَسفلَ، إِلَى أَنْ نَفَدَتْ كُلَّ طاقَتِها وَماتَتْ، وَكانَ بِالقُرْبِ مِنْها بابٌ مُفتوحٌ، وَلَكِنَّها لَمْ تَحاولُ أَنْ تَبْحَثَ عَنْ طَريقَةٍ أُخْرى لِلخُرُوجِ غَيرَ النّافذةِ، وَأَصْرَتْ عَلَى

طريقة واحدة مرة وراء الأخرى إلى أن مانت، وكان في استطاعتها أن تخرج من هذا المأزق لو أنها فقط حاولت.



وهناك بحث تم إجراؤه على الفئران لمعرفة قدرتها على التصرف، فوضعوا فأراً في متاهة في آخرها قطعة من الجبن، وبدأ الفأر يبحث ويبحث، وفي كل مرة يجرب طريقاً مختلفاً إلى أن وصل أخيراً لقطعة الجبن وأكلها..

فالدبابة كانت تُصرُّ على الخروج من النافذة لكن لم تكن لديها المرونة الكافية لتبحث عن مخرج آخر، والفأر كان أيضاً مُصرّاً على إيجاد قطعة الجبن، ولكنه كان في غاية المرونة حيث إنه في كل مرة واجه فيها أي عقبة أو فئسَل كان يقف لعدة ثوانٍ ويُغيّر حُطَّته ويتصرّف بسرعة.

العوارض والطوارئ:

إنَّ من أسباب نجاح الخطيب -خطيب المنابر والمحافل- أن يتمنَّع بالمرونة: والتي تعني - كما يقول الفقي - تغيير الخطّة إذا ما اقتضت الظروف ذلك.



- روى البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة عن أنس بن مالك (٧٠٩) أن النبي ﷺ قال " **إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فاتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه** "

وفي رواية أخرى (٧٠٨) " **فيُخَفِّفُ مخافة أن تُفتن أمه** ".

تغيير الموضوع:



هيأت في نفسي خطبة ثم أملت المسجد حيث أخطب، وما إن علوت منبري ونظرت إلى جمهوري حتّى رأيت أن كثرة كاثرة من الشباب بين الحضور، فما كان مني إلّا أن غيّرت موضوع الخطبة بموضوع يتناسب مع الفئة الغالبة بين الحضور وهي فئة الشباب.

اختصار الموضوع:



علوتُ المنبرَ وبدأتُ خُطبتي، ولم أَمْضِ غيرَ قليلٍ حتّى أحسستُ بالرُّؤوسِ قد انحنَتْ وبِالْهَمَمِ قد فترتْ، وذلك أنَّ الحرَّ شديدٌ، والعَرَقُ يتصبَّبُ من أجسادِ المُصلِّين، والمَسجدُ مُكتظٌّ بروّاده، وكانَ حالُ الذين هم تحتَ سِيَاطِ الشَّمْسِ أشدَّ.

فلَمَّا أن رأيتُ ما رأيتُ، اختصرتُ الخُطبةَ بِحذفِ بعضِ أفكارِها ثمَّ اختصرتُ الدُّعاءَ والصَّلَاةَ كذلك.

وبينما كنتُ خارجاً من المَسجدِ استوقفتُني أحدُ الحُضورِ قائلاً: يا أستاذُ كَأَنَّ خُلاًّ أو نَقصاً في موضوعِكَ اليومَ، حتّى كَأَنَّ بَترًا أصابَه، فقلتُ له أحسنتَ المَلاحظةَ، وأصبتَ فيما قُلتَ، ثمَّ بيّنتُ له السَّببَ.

الأمّةُ أولى من الأمّ لو كانوا يعقلون:



وكم يُثيرُ غضبي خُطباءُ تُعساءٍ يخطُبُ أحدهم، والسَّماءُ فتحتْ أبوابها وبعضُ النَّاسِ تحتَ أمطارِها، أو الشَّمْسُ ترسلُ سِيَاطَها وتجلدُ بِها بعضَ المُصلِّين خارجَ المَسجدِ، أو يكونُ الحرُّ شديداً والكهرباءُ - كما هي العادةُ - مُنقطعةٌ ... أو ثَمّةُ جنازةٍ في المَسجدِ وأهلُها ينتظرونَ الصَّلَاةَ عليها ثمَّ المُسارعةَ إلى دَفنِها ...

وترى ذاكَ الخطيبُ يخطُبُ ويخطُبُ على عادتيه ورُبّما أطالَ غيرَ عابئٍ بالظُّروفِ المُستجدّةِ

إنَّ أمثالَ هؤلاءِ حَقِيقٌ أن يُنَحَّوا عن المنابرِ، بل عن الدَّعوةِ كُلِّها لأنَّهم مُنقَرُونَ وفَتَّانُونَ أوليسَ فِتْنَةُ الأمّةِ بأشدَّ من فِتْنَةِ الأمِّ؟

١١- إثارة على المنابر!

يوسف وامرأة العزيز:



لقد قصَّ القرآن الكريم علينا أكثر قصّة تحتوي على مَشاهدَ جنسيّةٍ مُثيرةٍ وهي قصّة يوسف الصّديق مع امرأة العزيز والنّسوة اللاتي كنّ معها. غير أنّه قدّمها لنا بطريقةٍ رائدةٍ جعلت من يوسف - وهو كذلك - قدوةً لجميع الشّباب والرجال الذين قد تضعّهم الأقدار أمام اختبارٍ كهذا الاختبار، ويا له من اختبار!

كما وجعلت من كلّ امرأةٍ تكادُ تَبصُقُ في وجهِ امرأة العزيز وعصابتها من النّسوة الفاجرات الماكرات وتحتقر فعلهنّ وتتعجّب من حالهنّ، وتربأً بنفسها أن تفعل مثل فعلهنّ.



كما وقصَّ علينا القرآن من نَبأ قوم لوط الذين كان لهم السّبق في اكتشاف رذيلةٍ ستبقى ما بقي البشر، وعليهم كفلٌ ووزرٌ وإنّهم كلّما مُورست تلك الرذيلة، ويشعر القارئ لقصّتهم في القرآن أنّه يرى مشهدَ هلاكهم حيّاً وها هي ذي قُراهم تُجتث من جذورها نحو السّماء ثمّ تُقلّب رأساً على عقب، وها هي ذي الجارة من سجيل تساقط فوقهم فتجمع عليهم العذاب من كلّ جانب، ولا شك أنّ الاشمئزاز سيصيب كلّ قارئٍ لقصّتهم في القرآن الكريم.

القضايا الجنسية والمنبر:

قد يضطرُّ الخطيبُ إلى عرض قضية جنسية على منبره تكون محورَ خطبته أو جزءاً منها، ولا بأس بذلك، فالمنبرُ لخدمة الأمة وتوعيتها وتركيتها وعليه أن يكون دقيقاً جداً في اختيار مفرداته، وتركيب جملته منها، وحسن عرضها لنلّا يثير الشهوات الكامنة، والرغبات الهاجعة الراقدة في أظھر بقاع الأرض وخيرها.

خطيبٌ مثيرٌ:



وأذكرُ أنّي سمعتُ - يوماً - خطيباً يتحدثُ عن ظاهرة تَهْتِكُ النِّسَاءَ فكان ممّا قاله: " ما بالِ النِّسَاءِ في زَمَانِنَا النُّكْدِ هذا؟ وقد خَرَجْنَ إلى الطُّرُقِ كاسياتٍ عارياتٍ، مُبْدِيَاتِ صُدُورِهِنَّ، وناشِراتِ شُعُورِهِنَّ، ومُظْهِراتِ لِسِيْقَانِهِنَّ، وكَأَنَّمَا هُنَّ على شَوَاطِئِ الْبَحْرِ، وَمَنْ لَيْسَتْ مِنْهُنَّ لَيْسَتْ ضَيِّقاً يَصِفُ ما وراءه، ويَحْجِمُ الصَّدْرَ، والعَجْزُ، ... إلخ ما قال.

فماذا فعلَ الخطيبُ سوى أَنَّهُ جعلَ جُمهورَه يتخيَّلُ تلكَ المرأةَ الَّتِي كأنَّها على شاطئِ البحرِ، أو تلكَ المرأةَ الَّتِي لَيْسَتْ الضَّيِّقَ من المَلابِيسِ ... ثمَّ يَسْرُخُ في خياله معها! أوليسَ هذا ما فعله؟



١٢- الاستخفاف بالخطبة هدرٌ لأوقات الأمة

الاستخفاف بالخطبة:

عندما يتهاون الخطيب في تحضير خطبته وإعدادها، ويخفق في إلقائها، فلا هو قدّم فائدةً لجمهوره من خلال موضوعه، ولا هو أمتع جمهوره من خلال إلقائه، إنّ هذا الخطيب أقل ما يُقال في حقّه أنّه مُستخفٌّ بالخطبة.

شابٌ وقحٌ ولكن!

ومما حدثَ معي أنّي كُلفتُ خطيباً في أحدِ المساجد، وقبلَ يومِ الجمعةِ بيومٍ أو يومين زارني شابٌ من روادِ ذلكَ المسجدِ كيما يتعرّفوا بي وحسناً فَعَلُوا.

غيرَ أنّ أحدهم قالَ - إمّا جاداً وإمّا هازلاً - هَلَّا قُمتَ الآنَ وخطبتَ بنا يا أستاذُ، فابتسمتُ وحملتُ كلامه على محمَلِ الهزلِ مع أنّه لم يَمضِ على تعرّفي به غيرُ قليلٍ.

وبعدَ أنْ سكْتُ قليلاً عاودني قائلاً: لو لم يُكَلِّفوكَ عِندنا لَكُنْتُ أنا الخطيبُ فقلتُ له حسناً، ولكنْ هل تملكُ مؤهلاتِ الخطابةِ من الدِّراسةِ الشرعيّةِ والخبرةِ الخطابيّةِ، فالخطيبُ إنّما يتكلّمُ باسمِ الإسلامِ، وكيف لأحدٍ يجهلُ بشيءٍ أن يكون داعيةً إليه؟

وظننتُ أنّ هذا الكلامَ سيردّعه، ولكنّه أردفَ قائلاً: يا أستاذُ إنّ الخطابةَ لا تحتاجُ إلى كُلِّ ما ذكرتَ بل ولا إلى بعضِه!

إذ يكفي الخطيبُ أن يكتبَ خطبته ثمَّ يقومُ ويلقيها على رؤوسِ الناسِ، وأين الصُّعوبةُ في هذا أو ذاك؟

حاولتُ أن أُغيّرَ مجرى الحديثِ وأفلحتُ في ذلكَ، وقد وقعَ في نفسي أنّ الخطيبَ قبلي كان من المُستخفينَ بالخطابةِ تحضيراً وإلقاءً، وهذا بعضُ نتائجه!

مضت الأسابيع وتوالت الأشهر وأنا فيها خطيب بينهم أُعطي الخطبة حقها على حسب ما أستطيع إعداداً وإلقاءً، وأردت أن أتغيب لأمر طرأ لي فخطر لي أن أستعين بذاك الشاب ولما طلبت منه أن يحل محلي جحظت عيناه، واصفرّ لونه وقال: لا لا أستطيع!، إن الخطابة تحتاج إلى مؤهلات علمية، ومقدرة بيانية، ولا أرى نفسي مؤهلاً لذلك، وكأن صاحبنا نسي تماماً ما كان قد قاله لي في اللقاء الأول بيننا.

إنّي - هنا - لا أضع الملامة على الحاضرين، بل على بعض الخطباء المتهاونين الذين لا يُعطون الخطبة حقها، وأقل ما يُقال في حقهم إنهم خطباء مُقصرون، وبسببهم علينا الناس يتجرؤون، فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

هدر أوقات الأمة:

يقول الدكتور عماد الدين الرشيدي في كتابه " ثقافة الخطيب " ص / ٩ " إنّ ممّا ابتليت به هذه الأمة العظيمة هدر الطاقات، ولهذا الأمر جملة من الأسباب أهمها: إضاعة الهدف، وانعدام الرؤيا الشمولية، وغياب المعرفة بالأولويات

...

ولعلّ ممّا يزيد في الأثر السلبي لهذه المشكلة حدوثها في المحافل المعنية بالتوجيه والإرشاد.

ويتابع قائلاً: فهذا خطيب يعتلي المنبر، وذهنه خلّو من فكرة يقدّمها للناس وهذا تشغله مسألة شرعية تجاوزها الزمان فيعزم على أن يطرحها على الناس وكأنهم يشاركونه همّة المندثر.



وهذا يعيش وعيه في زاوية مهجورة من المجتمع وحتى التاريخ، فيطرح على الناس أبعد الموضوعات عن أحداث الساعة التي تمرّ بالأمة، فبينما يموت إخوانه في أرض الإسلام ينشغل هو بالحديث عن الزهد والفضيلة والعفو.

وقلة هم الخطباء الذين تحرق قلوبهم أحاسيس المسؤولية عن النهوض بالأمة والمجتمع وحتى نتصور مقدار الهدر الذي يحدثه أمثال هؤلاء الخطباء

في جسد الأمة، لنتذكّر أنّ عدد المساجد في سورية يُقاربُ العشرة آلاف
مسجد ما بين المدن والأرياف والبادي ولو كان مُتوسّط عدد المُصلّين في



المسجد - يوم الجمعة - منتهي مُصلٍ فقط
فإنّ خُطبة الجمعة تُحاكي مليوني شخصٍ
وجهاً لوجه، وهم في إنصاتٍ تامّة،
واستحضارٍ نفسيٍّ للاستجابة لتوجيهاتِ
الخطيب وهذا العدد يُشكّل ١٠٪ من مجموع
السُكّان تقريباً.

... وإذا كان حال الكثير من الخطباء ما بيّنتُ قبل قليل، فما أعظم الخلل!



- ٤ -

الْجُمُهورُ

من هو؟

ماله؟

ما عليه؟



١- هذا جلُّ ما يريدون!

لا تُطِيلُوا علينا يرحمكم الله!

- روى مُسلمٌ عن أبي وائل (٨٦٩) أَنَّهُ قَالَ: **خُطِبْنَا عَمَّارٌ فَأَوْجَزَ وَأَبْلَغَ فَلَمَّا نَزَلَ قُلْنَا: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ لَقَدْ أَبْلَغْتَ وَأَوْجَزْتَ، فَلَوْ كُنْتَ تَنْفَسْتَ (أُطَلْتَ).**

فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

" إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مَنَّةٌ مِنْ فَقْهِهِ، فَأُطِيلُوا

الصَّلَاةَ، وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا "

قَالَ النَّوَوِي (١٥٨ / ٦) وَمَعْنَى " مَنَّةٌ عَلَى فَقْهِهِ"، أَي: عِلْمُهُ

عليه.

- روى أبو داودَ في سُنَنِهِ فِي بَابِ إِقْصَارِ الْخُطْبِ عَنْ عَمَّارٍ (١١٠٦) أَنَّهُ قَالَ: " **أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِإِقْصَارِ الْخُطْبِ** "

- روى أبو داودَ في سُنَنِهِ فِي بَابِ إِقْصَارِ الْخُطْبِ عَنْ

جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ (١١٠٧) أَنَّهُ قَالَ: " **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يُطِيلُ الْمَوْعِظَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، إِنَّمَا هِيَ كَلِمَاتٌ يَسِيرَاتٌ** "

مُكَاشَفَةُ غَيْرِ شَكْل!

كُلِّفْتُ ذَاتَ مَرَّةٍ بِالْخُطَابَةِ فِي مَسْجِدٍ مِنْ تِلْكَ الْمَسَاجِدِ الْكَبِيرَةِ الْجَامِعَةِ – بِشَكْلِ مُوقَّتٍ – وَلَمَّا أَنْ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، وَالْمَسْجِدُ مُزْدَحِمٌ بِأَهْلِهِ جَعَلْتُ أَشُقُّ الصُّفُوفَ بِاتِّجَاهِ الْمِنْبَرِ، وَسَمِعْتُ النَّاسَ يَتَهَامَسُونَ.

فَهَذَا يَقُولُ لِذَاكَ: مَنْ هَذَا الْخَطِيبُ؟

وَأَخَرُ يَقُولُ لَجَارِهِ: أَيْنَ ذَاكَ الْخَطِيبُ؟

فَإِذَا بِثَالِثٍ يَقُولُ لَهُمْ: فَلْيَكُنْ مَنْ يَكُنْ، الْمُهْمُّ أَلَّا يُطَوَّلَ الْخُطْبَةُ!

سمعتُ هذه الكلماتِ فَحَزَّتْ في نفسي، فما كان مِنِّي بعدَ أنْ صعدتُ المنبرَ
وفَرَعْتُ من الحَمْدِ والتَّناء...، ما كان مِنِّي إلَّا أنْ قلتُ هذه الكلماتِ، هكذا
وبكلِّ صراحةٍ:

إنَّه ممَّا يُوسَفُ له اليومَ أنَّ النَّاسَ جُلَّ النَّاسِ الَّذِينَ يَحْضُرُونَ خُطْبَةَ الجُمُعَةِ
لَمْ يَعدُ يَعْنِيهِمْ مَنْ هُوَ الخَطِيبُ، ولمْ يَعدُ يَعْنِيهِمْ ما هُوَ موضوعُ الخُطْبَةِ؟ حيثُ
صارَ أكبرُ هَمِّهم، ومَبْلَغُ عِلْمِهم، وغايةُ الأمرِ عندهم ألاَّ يُطِيلَ الخَطِيبُ
الخُطْبَةَ، فإنَّ لمْ يُطِلْ فليُكُنْ مَنْ يَكُنْ، وليَقُلْ ما يَقُلْ!

وتابعتُ قائلاً:



وأنا لا أقولُ هذا الكلامَ لأتِّي من هُواةِ التَّطويلِ،
رَغَمَ أنْفِ النَّاسِ، وإنَّما لأوضِّحَ الأمرَ .

إنَّ الغايةَ من حُضورِ خُطْبَةِ الجُمُعَةِ ليسَ هو
مُجرَّدُ إسقاطِ الفريضةِ ونيلِ أجرِها، بلْ إنَّ الأمرَ
ليتعدَّى ذلكَ بكثيرٍ.

ففي الجُمُعَةِ يجتمعُ أهلُ البلَدَةِ أو أكثرُهم في مسجدٍ واحدٍ، فيُسلِّمُ بعضهم
على بعضٍ، ويتفقَّدُ بعضهم بعضاً ثمَّ فيما يقولُ الخَطِيبُ تعليقَ على ما يجري
داخلَ أرضِ الإسلامِ أو خارجه، وفيها أيضاً تَصحيحٌ للعقيدةِ الَّتِي ينبغي أنْ
نعتَقَها وسنَلقى اللهَ عليها، وفيها بيانٌ لما أحلَّهُ اللهُ لِنُفُوسِنا، ولما حرَّمَهُ فَنُفُوسِنا،
وفيها أيضاً تَرْكِيَةٌ لِلنُّفُوسِ من ظاهرِ الإثمِ وباطنِهِ ... فلهذا، ولمثلِ هذا ولغيرِ
هذا كانتِ خُطْبَةُ الجُمُعَةِ في الإسلامِ، لا لإسقاطِ الفريضةِ وحَسْبُ.

احذروا من التَّطويلِ:



وإني - بعدَ هذا العُمُرِ المديدِ في الخُطابةِ
على المنابرِ وفي المَحافلِ العامَّةِ والخاصَّةِ - إنِّي
لأنصحُ لكلِّ خَطِيبٍ أنْ يحدَرَ من الإطالةِ كلَّ
الحذرِ في خُطْبِ الجُمُعَةِ والعِيدَيْنِ، وخُطْبِ
المَحافلِ، حتَّى لو قُدِّمَ للدُّعاءِ فقط وما زِلْتُ أذكرُ
يومَ كُنَّا في عزاءٍ فَقُدِّمَ أحدهمُ للدُّعاءِ، للدُّعاءِ فقط
فجعلَ يدعو ويدعو ويدعو حتَّى أَمَلَّ القومَ وأنا
منهم، بلْ إنَّ بعضَ الحاضِرِينَ تركَ المَكَانَ

مُغْضَبًا وَغَادِرَهُ عَلَى عَجَلٍ، وَمَنْ بَقِيَ بَقِيَ عَلَى مَضَضٍ، وَلَوْ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ
ثَقِيلَ الظِّلِّ - أَرَحَ اللَّهُ مِنْهُ وَمَنْ أَمَثَلَهُ مِيدَانِ الدَّعْوَةِ - قَرَأَ أَدْعِيَةَ الرَّسُولِ ﷺ
لَوَجَدَهَا لَا تَتَجَاوَزُ سَطْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً فِي الْغَالِبِ!

اجعلها خُطْبَتَيْنِ أَوْ خُطْبًا:

خُطِبْتُ ذَاتَ مَرَّةٍ عَنْ مَوْضُوعِ السِّحْرِ، وَقَدْ
دَعَانِي لِذَلِكَ سِوَى أَهْمِيَّةِ الْمَوْضُوعِ أَنْ دَجَّالًا حَطَّ
رِحَالَهُ فِي الْقَرْيَةِ الَّتِي كُنْتُ أَخْطُبُ بِهَا فَأَحْبَبْتُ أَنْ
أُبَيِّنَ الْأَمْرَ وَأَوْضَحَهُ، وَلَكِنِّي وَقَعْتُ فِي الْعَدْوِ
الَّذِي لِلْخَطِيبِ، أَلَا وَهُوَ التَّطْوِيلُ وَلَمَّا أَنْ انْتَهَيْتُ
قَالَ لِي أَحَدُ الْأَصْدِقَاءِ الْمُخْلِصِينَ: هَلَّا جَعَلْتَهَا
خُطْبَتَيْنِ!



٢- كيف تُثيرُ اهتمامَ جُمهورِكَ؟

إنَّ الوصولَ إلى إثارةِ الجَماهيرِ والحُصولِ على انتباهِها واهتمامِها
لَهُو غايةٌ ما يُريدُ الخطيبُ والمُتكلِّمُ، ولكن هل من سبيلٍ إلى إثارةِ الجَماهيرِ؟

التعليقُ على الأحداثِ المحليَّةِ والعالميَّةِ:

إنَّ ممَّا يُثيرُ الجُمهورَ جِداً أنْ يعلّقَ الخطيبُ أو المُتكلِّمُ على الأحداثِ
التي تجري على السّاحَتَيْنِ العالميَّةِ أو المحليَّةِ تعليقاً رَشيّداً يوضّحُ فيه موقفَ
الإسلام ممّا يجري هُنا أو هناك.

وأوَكِّدُ هُنا على أنَّ الحَطيْبَ أو المُتكلِّمَ من شأنِه أنْ
يُوضّحَ مَوقِفَ الإسلامِ لا أنْ يكونَ صدىً لمَوقِفِ
السّاسةِ في بلادِه من تلكَ الأحداثِ.

فللإسلام مَوقِفُه من اليَهودِ الذينَ يحتلُّونَ فلسطينَ،
ولا يجوزُ أنْ يتغيَّرَ هذا المَوقِفُ لأنَّ حُكومةَ بلادِه
أبرمتْ صلحاً مع أولئك المُعتدين.



وللإسلام مَوقِفُه من العِلْمانِيَّةِ الَّتِي تعني تنحيةَ الشَّرِيعَةِ
عن الحِياةِ، ولا يجوزُ أنْ يتغيَّرَ هذا المَوقِفُ لأنَّ الحُكومةَ
تبَنَّتِ العِلْمانِيَّةَ مَنهجاً.

وقُلْ عن الرأسماليَّةِ والقوميَّةِ والاشتراكيَّةِ ... ما قُلْتَه
عن العِلْمانِيَّةِ.

أخبرهم بشيءٍ جديدٍ عن القديم:

إنَّ الأحاديثَ المُكرَّرةَ والمُعَادَةَ لا تُثِيرُ الاهتمامَ فالإثارةُ لا تَحْصُلُ إِلَّا للمرةِ الأولى فقط وذلك كالرِّواياتِ أو القصصِ هل تُثِيرُكَ للمرةِ الثانية؟
والحلُّ إذا ما اضطرَّ الخطيبُ لإعادةِ مَوْضوعٍ كان قد طَرَحَهُ هو أو غيره
أنَّ يبحثَ عن نقاطٍ جديدةٍ فيه ليَحْصَلَ على إثارةٍ جُمهوره.



ولنأخذُ على سبيلِ المِثالِ غزوةَ بدرٍ، ومَنْ مِنَ النَّاسِ لا يَعْرِفُ بدرًا؟ وللحصولِ على الإثارةِ ابحثْ عن تفاصيلٍ لا يَعْلَمُهَا النَّاسُ، أو ركِّزْ على زوايا كانت تُطْرَحُ على عَجَلٍ، وخيرُ مِثالٍ على ذلك التَّفْصِيلُ في مُشارَكَةِ الملائكةِ لأهلِ بدرٍ، وكيفَ أنَّ جُنُودَ السَّمَاءِ تَنْزَلُ مَدَدًا لِجُنُودِ الأَرْضِ في معاركِ الحقِّ والباطلِ.

حدِّثهم عن أنفسهم:

سُئِلَ أَحَدُ الحُكَمَاءِ عن أَكْثَرِ شَيْءٍ يُهْمُ النَّاسَ وَيُثِيرُهُم فَأَجابَ " أَنفُسَهُمْ "
يقولُ أَحَدُ المُدَرِّبِينَ المَشْهُورِينَ: تَذَكَّرْ أَنَّ النَّاسَ الَّذِينَ تَتَحَدَّثُ إِلَيْهِمْ يَقضُونَ مُعْظَمَ وَقْتِهِمْ — عِنْدَ ما لا يَكُونُونَ مُنْشَغِلِينَ — بِالتَّفْكِيرِ بِأَنْفُسِهِمْ.



تَذَكَّرْ أَنَّ الإنسانَ العَادِيَّ يَهْتَمُّ بِالطَّبَّاحِ الَّذِي غابَ أَكْثَرُ مِنْ اِهْتِمَامِهِ بِدَفْعِ ديونِ إِيْطالِيا لِلوِلاياتِ المُتَّحِدةِ



ويَهْتَمُّ بِشَفَرَةِ الحِلاقَةِ أَكْثَرَ ممَّا يَهْتَمُّ بِثُورَةِ تَقَعُ في أَمْرِيكا الجَنُوبِيَّةِ



وَأَلَمَ أَسْنَانِ الْمَرَأَةِ يُحْزِنُهَا أَكْثَرَ مِمَّا
يُحْزِنُهَا زَلْزَالٌ يَقَعُ فِي آسِيَا يَذْهَبُ ضَحِيَّتُهُ
نِصْفُ مِلْيُونِ إِنْسَانٍ، وَتُفْضَلُ الْإِسْتِمَاعُ إِلَى
شَيْءٍ لَطِيفٍ تَذَكُّرُهُ عَنْهَا عَلَى أَنْ تَحْدِثَهَا عَنْ
أَعْظَمِ الرِّجَالِ فِي التَّارِيخِ.

وَيَذْكُرُ هَذَا الْمُدَرِّبُ هَذِهِ الْقِصَّةَ فيقول: ألقى مُدَرِّبٌ خِطَاباً حَقَّقَ نَجَاحاً
بَاهِراً خِلَالَ مَادُبَةِ عِشَاءٍ اخْتَتَمَتْ فَصَلاً مِنْ فِصُولِ تَعْلِيمِ الْخُطَابَةِ، فَتَحَدَّثَ
عَنْ كُلِّ رَجُلٍ بِمُفْرَدِهِ، وَأَخْبَرَ هُمْ كَيْفَ كَانُوا يَخْطُبُونَ فِي بَدَايَةِ الْفَصْلِ وَكَيْفَ
تَطَوَّرُوا، وَأَعَادَ قِرَاءَةَ الْخُطْبِ الَّتِي أَلْقَاهَا مُخْتَلَفُ الْأَعْضَاءِ وَالْمَوَاضِيْعِ الَّتِي
نَاقَشُوهَا فَسَخَّرَ مِنْ بَعْضِهِمْ، وَبَالَغَ فِي وَصْفِ أَخْطَائِهِمْ، فَأَثَارَ ضَحْكَ الْجَمِيعِ
وَأَدْخَلَ السُّرُورَ إِلَى قُلُوبِهِمْ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَفْشَلَ مِثْلُ هَذَا الْأُسْلُوبِ.

اهتمامهم واهتمامك!

لَفَتَ نَظْرِي وَأَنَا أَطَالِعُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ هَذِهِ الْعِبَارَةَ " إِنَّ سَبَبَ إِخْفَاقِ
الْكَثِيرِ مِنَ الْخُطَبَاءِ هُوَ حَدِيثُهُمْ عَنِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُثِيرُ اهْتِمَامَهُمْ فَقَطْ، وَرُبَّمَا
كَانَ ذَلِكَ مُمِلًّا لِلآخِرِينَ " .



أَقُولُ: وَمَا أَكْثَرَ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تُثِيرُ اهْتِمَامَ النَّاسِ
وَيَتَطَلَّعُونَ إِلَى مَنْ يُرْشِدُهُمْ فِي أَمْرِهِمْ هَذَا، عَلَى أَنَّ مَا
يُثِيرُ النَّاسَ قَدْ يَبْدُو عِنْدَ الْخُطَبَاءِ سَخِيفاً مِثْلَ بُطُولَةِ كُرَةِ
الْقَدَمِ، مُسْلَسِلٍ يَتِمُّ عَرْضُهُ، مُوضَعٌ، طَعَامٌ مُعَيَّنٌ، ...
وَرَغْمَ ذَلِكَ فَالْخُطِيبُ النَّاجِحُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَخْرِجَ مِنْهُ مَا
يُفِيدُ وَيُمْتَعُ.



المَوَاضِيعُ الْمُثِيرَةُ:

ثَمَّةُ مَوَاضِيعُ مُثِيرَةٌ بِحَدِّ ذَاتِهَا كَالْحَدِيثِ عَنْ عَلَامَاتِ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَالسَّحَرِ، وَعَالَمِ الْجَانِّ، وَعَالَمِ الْمَلَائِكَةِ، وَعَالَمِ الْأَرْوَاحِ، وَالرُّقِيَّةِ، وَتَعْبِيرِ الرُّؤْيَا ...



وَالْخَطِيبُ النَّاجِحُ يَأْخُذُ مِنْهَا مَادَّةً مُفِيدَةً هَادِفَةً وَلَا يَكُنْ كُلُّ هَمِّهِ الْإِثَارَةُ.
وَأَنَا أَنْصَحُ لِلْخَطِيبِ الْمُبْتَدِئِ، أَوْ مَنْ يَخْطُبُ فِي مَسْجِدٍ جَدِيدٍ أَنْ يَبْدَأَ بِمَثَلٍ
هَذِهِ الْمَوَاضِيعِ لِكَيْ تَصِيرَ لَهُ شَعْبِيَّةٌ بَيْنَ جُمْهُورِهِ، وَلَا يَبْدَأَ بِمَا يُمَكِّنُ أَنْ
يُزْهَدَ بِهِ، أَوْ يَنْقَرَّ هُمْ مِنْهُ.

٣- كُلَّمَا جَاءَ الْخَطِيبُ

لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ مِنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ:

- روى الإمام الترمذي في أبواب البرِّ والصِّلَةِ وبِسْنَدٍ حَسَنٍ عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (١٩٥٥) أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

" مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ "



لا تتخدع يا أيُّها الخطيبُ!

كُلِّفْتُ خُطِيباً فِي أَحَدِ الْمَسَاجِدِ فَأَمَمْتُ ذَاكَ الْمَسْجِدَ وَخُطَبْتُ فِيهِ، وَكَانَ الْحُضُورُ كَبِيراً عَلَى عَادَةِ أَهْلِ الْمَسْجِدِ أَنَّهُمْ كُلَّمَا جَاءَ خُطِيبٌ جَدِيدٌ تَقَاطَرُوا لِيَرَوْهُ ثُمَّ إِذَا حَسَنٌ فِي أَنْفُسِهِمْ حَضَرُوا عِنْدَهُ، وَإِلَّا اعْتَزَلُوهُ.

وَمَا إِنِ انْتَهَتِ الْخُطْبَةُ حَتَّى تَحُلَّقَ النَّاسُ حَوْلِي تَحُلُّقَ الْفُضُولِ الْمَعْرُوفِ حَوْلَ كُلِّ خُطِيبٍ جَدِيدٍ، وَرَحَّبُوا بِي وَأَثْنُوا عَلَى خُطْبَتِي، - وَعَلَى الْخُطِيبِ أَلَّا يَلْتَفِتَ إِلَى ثَنَاءِ النَّاسِ فِي وَجْهِهِ - وَإِلَى هُنَا فَالْأَمْرُ مَقْبُولٌ وَحَسَنٌ بَلْ وَمُشْجَعٌ.

غَيْرَ أَنَّ أَحَدَهُمْ فَاجَأَنِي بِقَوْلِهِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَصَنَا بِكَ مِنْ ذَاكَ الْخُطِيبِ لَقَدْ كَانَ ... وَهُنَا قَاطَعْتُهُ وَقَطَعْتُ عَلَيْهِ كَلَامَهُ قَائِلاً: يَا هَذَا تَوَقَّفْ وَلَا تُكْمِلْ، أَوْ لَا تَعْلَمْ أَنَّ هَذَا هُوَ الْغَيْبَةُ الْمُحَرَّمَةُ؟

وَأَيْنَ؟ فِي بَيْتِ اللَّهِ!

وَأَمَامَ مَنْ؟ أَمَامَ الْخُطِيبِ!

وَعَلَى مَنْ؟ عَلَى خُطِيبٍ كَانَ يَعْلُو هَذَا الْمِنْبَرَ وَيُذَكِّرُكُمْ بِاللَّهِ؟!





ثُمَّ قُلْتُ لَهُ وَلِمَنْ يُحِيطُ بِهِ: كَأَنِّي بِكُمْ كُلَّمَا جَاءَ
خَطِيبٌ أَتَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَعَظَّمْتُمُوهُ، ثُمَّ نَمَمْتُمْ مِنْ
كَانَ قَبْلَهُ وَتَنَقَّصْتُمُوهُ؟! أَهَذِهِ أَخْلَاقُ الْمُؤْمِنِينَ؟!

وَأَنَا الْآنَ لَا أَشْكُ أَنِّي عِنْدَمَا أُغَادِرُكُمْ يَوْمًا – وَلَا
بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ ذَلِكَ الْيَوْمُ – فَلَسَوْفَ تُثْنُونَ عَلَى مَنْ
يَخْلِفُنِي وَتَذْمُونِي أَمَامَهُ!

فَسَكَتَ الْقَوْمُ وَسَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ.

ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: يَا إِخْوَتِي: لَا يُوجَدُ خَطِيبٌ كَامِلٌ كَمَا أَنَّهُ لَا يُوجَدُ جُمْهُورٌ
كَامِلٌ، وَلَئِنْ أُوتِيَ بَيَانًا فَقَدْ يُحَرِّمُ عُمُقَ الْفِكْرَةِ، وَلَئِنْ كَانَ ذَا فِكْرٍ ثَاقِبٍ فَقَدْ
يُحَرِّمُ حُسْنَ الْعَرْضِ وَالْأَدَاءِ، وَلَئِنْ بَرَعَ فِي مَوَاضِيَعٍ فَقَدْ لَا يَبْرَعُ فِي غَيْرِهَا؟

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْجَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا كَفَى الْمَرْءَ نُبَلَاءً أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ

وَأَقُولُ لِكُلِّ خَطِيبٍ: إِيَّاكَ وَالْاِغْتِرَارَ بِبِنَاءِ النَّاسِ عَلَيْكَ وَلَا سَيِّمًا فِي وَجْهِكَ،
وإِيَّاكَ أَنْ تَسْمَحَ لِلنَّاسِ بِأَنْ يَذْمُوا مَنْ قَبْلَكَ لِأَنَّهُ سَيَأْتِي يَوْمٌ يَذْمُونَكَ فِيهِ أَيْضًا!

٤-أذواق النَّاسِ

وَالنَّاسُ فِيمَا يَعْشَقُونَ مَذَاهِبُ:



دخلتُ ذاتَ مرّةٍ إلى جزارٍ أُشترِي منه شيئاً من لحمٍ، وبينما كان يقطّع ويَقطّع قالَ لي: يا أستاذُ إنّ بعضَ النَّاسِ لهم بعضُ الملاحظاتِ على خُطْبِكَ ... وقيلَ أن يستفيضَ بالشرحِ - ولعلّه هو ذاكَ البعضُ، ولكنّه يتستّرُ ببعضِ النَّاسِ - فاجأته بهذا السُّؤالِ قائلاً: كم عندك من الأولادِ؟

قالَ الرَّجُلُ مُندهِشاً ولعلّه ظنّ أنّي بهذا أُغيّرُ مجرى الحديثِ - قالَ: خمسةٌ من الأولادِ.

فقلتُ له: حسناً جداً بارَكَ اللهُ لكَ بهم وجعلهم قُرّةَ عينٍ لكَ ولكنّ عندي سؤالٌ آخرُ، هل هم راضونَ عنكَ؟

الرَّجُلُ مُسرِعاً: لا لا إنّ (أولادَ الكلبِ - هكذا قالَ عن نفسه -) (ما حدا عاجبو شيءٍ).

فقلتُ له: حسناً إنّكَ أبٌ وتعجّرُ عن إرضاءِ أولادِكَ الذين هم من صُلبِكَ وكلّهم خمسةٌ، فكيفَ تطلبُ مِنّي أن أَرْضِيَ أذواقَ جُمهوري وهم فوقَ الآلافِ الخمسة؟! الخَمسة؟!

وما أنا بِأبيهم؟

وهنا بُهتَ اللَّحَامُ وأفجمَ ، وأسقطَ في يده وألجمَ، وكادت سِكِّينُهُ الحادّةُ تقطّعَ يده، وما كانَ منه إلّا أن أعطاني ما طُلبتُهُ من لحمٍ وألجمَ وقبضَ ثمنه ثمّ مضى كلُّ إلى عمله، هو يذبحُ الأنعامَ - وأنا بفضلِ اللهِ - أُعَلِّمُ الأنامَ!

إنّ الخَطيْبَ أيّ خَطيْبٍ كانَ ومهما أُوتِيَ من القُوَّةِ والقُدرةِ لن يستطيعَ أن يُرضِيَ أذواقَ جَميعِ النَّاسِ مَهما أحسنَ اختيَارَ المَوْضوعِ ،ومهما تَفَنَّنَ في

عَرَضَهُ؛ ذَلِكَ أَنَّ أَذْوَاقَ النَّاسِ فِي هَذَا وَفِي غَيْرِهِ مِنْ أُمُورِ الْحَيَاةِ مُخْتَلِفَةٌ كُلُّ
الْاِخْتِلَافِ إِلَى حَدِّ التَّقَاتُلِ وَالْخِلَافِ.

فَبَعْضُ النَّاسِ مَثَلًا يُفَضِّلُ الْخَطِيبَ الشَّابَّ، وَبَعْضُهُمْ يُفَضِّلُ الشَّيْخَ الْمُجَرَّبَ
الَّذِي خَبِرَ الْحَيَاةَ وَخَبِرَتَهُ.



وَبَعْضُ النَّاسِ مَثَلًا يُفَضِّلُ الْخَطِيبَ الَّذِي يُخَاطِبُ الْعُقُولَ، وَبَعْضُهُمْ يُفَضِّلُ
الَّذِي يَهْمِسُ فِي الْمَشَاعِرِ.



وَبَعْضُ النَّاسِ مَثَلًا يَرِغِبُ فِي مَوَاضِيْعَ، وَبَعْضُهُمْ يَرِغِبُ عَنْهَا.
وَبَعْضُ النَّاسِ مَثَلًا يُفَضِّلُ الْخَطِيبَ الْقَصَّاصَ، وَبَعْضُهُمْ يَرَى فِي الْقَصَصِ
مَضِيْعَةً لِلْوَقْتِ ... وَهَكَذَا.



وَبَعْضُ النَّاسِ يَمِيلُ إِلَى أَحَادِيثِ التَّرْغِيْبِ، وَآخَرُونَ يَمِيلُونَ إِلَى أَحَادِيثِ
التَّرْهِيْبِ وَهَكَذَا.

موقف الخطيب إزاء إرضاء أذواق الجمهور:



فماذا يفعل الخطيب حيال كل ما سبق؟

- إنَّ بعضَ الخطباءِ يُغلقُ عَيْنِيهِ وَيُصِمُّ أُذُنِيهِ ضارباً بِعَرَضِ الحَانِطِ جميعَ ملاحظاتِ النَّاسِ قائلاً: إرضاءُ النَّاسِ غايةٌ لا تُدْرِكُ إذاً فلتُترَكْ.
- وبعضُ الخطباءِ يُراعي أذواقَ النَّاسِ، وينظرُ إلى رأيِ الأغلبيةِ وهذا حسنٌ جداً، وهو المطلوبُ، وإلاَّ سينتهي أمرُ الخطيبِ بأنَّ يَهْجُرَهُ النَّاسُ، أو تَعزِلَهُ السُّلْطَةُ بناءً على رَغْبَةِ النَّاسِ، والسُّلْطَةُ لا تُلَبِّي رَغباتِ النَّاسِ إلاَّ في هذا المَوْطَنِ!

همسةٌ في أذنِ الجمهورِ:

وأقولُ للجمهورِ العزيزِ إذا لَمْ يَتَّفَقْ مَيْلُكَ معَ الخطيبِ فالأفضلُ أنْ تَلْتَمِسَ لَكَ خُطيباً يَتَنَاسَبُ معَ ذَوْقِكَ ولا تُعِيبَهُ، فَرَسَوْنَا ﷺ أوصانا إذا ما أَحَبَبْنَا طَعَاماً أَكَلْنَاهُ وإلاَّ تَرَكَنَاهُ وما عِيبَاهُ، فكيفَ بالنَّاسِ؟ والخطباءُ منهم.

٥- أعمار النَّاسِ

قِصَّةٌ فِيهَا عِبْرَةٌ:

حَدَّثَنَا أَحَدُ الْخُطَبَاءِ قَائِلًا: دُعِيتُ لِإِلْقَاءِ كَلِمَةٍ فِي مُنَاسَبَةٍ عَامَّةٍ فَأَمَمْتُ الْمَسْجِدَ وَلَمَّا أَنْ اقْتَرَبْتُ مِنْهُ بِحَيْثُ أَسْمَعُ صَوْتَ مَنْ يَتَكَلَّمُ فِيهِ وَاضِحًا بَيِّنًا فَإِذَا بِي أَسْمَعُ صَوْتَ خَطِيبٍ وَكَانَ صَوْتُهُ عَالِيًّا مُدَوِّيًا مُجَلْجَلًا، وَكَانَ يَتَحَدَّثُ فِي مَوْضُوعٍ مِنَ الْمَوَاضِيْعِ الْكُبْرَى فَأَسْعَدَنِي ذَلِكَ وَلَكِنِّي ظَنَنْتُ - عَلَى حَسَبِ مَا أَسْمَعُ - الْمَسْجِدَ مُمْتَلَأًا بِرِجَالِ الْفِكْرِ وَالْعَقْلِ وَالْمُتَقَفِينَ ... هَكَذَا ظَنَنْتُ.



وَلَكِنِّي عِنْدَمَا دَخَلْتُ أَصَابَتْنِي الدَّهْشَةُ وَاعْتَرَانِي مِنَ الْحَيْرَةِ مَا اعْتَرَانِي، لَقَدْ كَانَ الْمَسْجِدُ خَالِيًا خَاوِيًا إِلَّا مِنْ قَلَّةٍ مِنَ الْأَطْفَالِ (جَذَبَتْهُمْ بُطُونُهُمْ وَأَغْرَاهُم الْمُلْبَسُ وَالْحَلْوَى) وَمِنْ بَعْضِ كِبَارِ السِّنِّ الَّذِينَ جَعَلُوا الْمَسْجِدَ مَأْوَاهُمْ مَا قَبْلَ الْأَخِيرِ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لِمَنْ يَا تُرَى يَخْطُبُ هَذَا الْخَطِيبُ؟!!



وَبَعْدَ قَلِيلٍ انْتَهَتْ كَلِمَةُ ذَاكَ الْمُتَكَلِّمِ، وَقُدِّمْتُ لِلْكَلامِ فَطَلَبْتُ كُرْسِيًّا جَلَسْتُ عَلَيْهِ وَأَدْنَيْتُ مِنِّي الْأَطْفَالَ وَجَعَلْتُ أَنْشِدُ لَهُمْ وَيُعِيدُونَ خَلْفِي، وَهُمْ فَرِحُونَ وَسَطَ دَهْشَةٍ عَجَائِزِ الْمَسْجِدِ، وَتَرَكْتُ الْمَوْضُوعَ الَّذِي أَعَدَدْتُهُ إِلَى مُنَاسَبَةٍ مُنَاسِبَةٍ .

إِنَّ لِكُلِّ مَرَحَلَةٍ عُمَرِيَّةٍ طُمُوحَهَا، وَهَمُومَهَا، وَأَمَالَهَا، وَالْأَمَهَا. فَأَوَّلًا هُنَاكَ مَرَحَلَةُ الْطِفُولَةِ بِلَهْوِهَا، وَمَرَحَلَةُهَا، وَتَطْلُعُهَا لِكُلِّ جَدِيدٍ. ثُمَّ مَرَحَلَةُ الْمَرَاهِقَةِ بِمَا فِيهَا مِنْ تَقْلِبَاتٍ، وَتَبَدُّلَاتٍ، وَتَطْلُعَاتٍ. ثُمَّ مَرَحَلَةُ الشَّبَابِ وَهِيَ مَرَحَلَةُ الْإِنْجَازَاتِ. ثُمَّ مَرَحَلَةُ الرُّجُولَةِ، فَالْكُھُولَةِ، وَالشَّيْخُوخَةِ وَفِيهَا الْإِسْتِعْدَادُ لِلْقَاءِ اللَّهِ.



ولئن كَانَ مجتمَعُنَا مجتمَعاً شَابّاً – كَمَا يَقُولُونَ – فَهَذَا لَا يُلْغِي الْفِتْنَاتِ
الْعُمَرِيَّةَ الْآخَرَى الْمَوْجُودَةَ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْمَحَافِلِ وَالَّتِي إِن شَعَرْتُ أَنَّهَا لَيْسَتْ
هِيَ الْمَقْصُودَةُ بِالْكَلامِ زَهَدْتُ بِالِاسْتِمَاعِ.

فَعَلَى الْخَطِيبِ – إِذْنِ – أَنْ يُرَاعِيَ اخْتِيَارَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي تَهْمُ كُلَّ الْفِتْنَاتِ
الْعُمَرِيَّةِ – وَمَا أَكْثَرُهَا – وَلَا مَانِعَ أَنْ يَخْصَّ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ فَنَّةً عُمَرِيَّةً
بِالْحَدِيثِ.



وَبَعْضُ الْأَحَادِيثِ تَغْطِي فِتْنَتَيْنِ عُمَرِيَّتَيْنِ
مَعاً مِثْلَ مَوْضُوعِ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ فَعَلَى
الْخَطِيبِ هُنَا أَنْ يُوَزَّعَ الْكَلَامُ بِالْعَدْلِ بَيْنَ
الْفِتْنَتَيْنِ غَيْرَ مُتَحَيِّزٍ لِفَنَّةٍ عَلَى حِسَابِ الْفَنَّةِ
الْآخَرَى.

٦- أفهام النَّاسِ

عُقُولُكُمْ وَعُقُولُهُمْ!

- روى البخاريُّ في صحيحه في كتاب العلم عن عليٍّ (١٢٧) أَنَّهُ قَالَ " حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتَحِبُّونَ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟ ".

- وروى مُسْلِمٌ في مقدِّمة صحيحه عن ابن مسعودٍ أَنَّهُ قَالَ: " مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ ،إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ "

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي شَرْحِهِ عَلَى الْبُخَارِيِّ (١/ ٢٢٥) مُعَلِّقًا عَلَى حَدِيثِ عَلِيٍّ وَالْمَعْنَى: حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَفْهَمُونَ ... وَدَعُوا مَا يُنْكِرُونَ أَيُّ: يُشْتَبِهَ عَلَيْهِمْ فَهْمُهُ ... وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُتَشَابِهَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُذَكَرَ عِنْدَ الْعَامَّةِ ...

وَمِمَّنْ كَرِهَ التَّحْدِيثَ بِبَعْضِ دُونَ بَعْضِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي الْأَحَادِيثِ الَّتِي ظَاهَرُهَا الْخُرُوجُ عَلَى السُّلْطَانِ .

وَالْإِمَامُ مَالِكٌ فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ.

وَالْإِمَامُ أَبُو يَوْسُفَ فِي الْغَرَائِبِ.

وَمِنْ قَلِيلِهِمُ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ أَبُو هُرَيْرَةَ ... وَنَحْوَهُ عَنْ خُذِيفَةَ.

وَعَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ أَنْكَرَ تَحْدِيثَ أَنَسٍ لِلْحَجَّاجِ بِقِصَّةِ الْعُرَنِيِّينَ لِأَنَّهُ اتَّخَذَهَا وَسِيلَةً إِلَى مَا كَانَ يَعْتَمِدُهُ مِنَ الْمُبَالِغَةِ فِي سَفْكِ الدِّمَاءِ بِتَأْوِيلِهِ الْوَاهِي، وَضَابِطُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ يُقَوِّي الْبِدْعَةَ، وَظَاهِرُهُ فِي الْأَصْلِ غَيْرُ مُرَادٍ، فَالْإِمْسَاكُ عَنْهُ عِنْدَ مَنْ يُخْشَى عَلَيْهِ الْأَخْذَ بِظَاهِرِهِ مَطْلُوبٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الكرامات والمتشابهات!

لبعض الخطباء ولع في سرد الكرامات، وهي حق في أصلها، ولكن هل تهضمها عقول أبناء زماننا؟

ولبعض الخطباء ولع في سرد الآيات والأحاديث المتشابهات، وترك المحكمات مما قد يُشوّش على العقيدة فليتق الله هؤلاء وهؤلاء وليحدثوا الناس بما يعرفون وإلا فستكون النتائج كارثية!

قصة طريفة:



حدثنا أحد أساتذتنا عن قصة جرت معه فيها لطافة وطرافة قال:



انتشر بين الناس ورقة تُنذرُ الناس بقرب القيامة، وتعدُّ من يطبعها ويوزعها بالأجر، وتيسر الأمر، وتتوعد من يهملها ولا يساهم بنشرها بالإثم، وتعسر الأمر.

وقرب الساعة حق، ولكن هذه الورقة باطلة، ومما يؤكد بطلانها أنها ممهورة بتوقيع رجل اسمه أحمد، وعمله هو خدمة الحجرة النبوية الشريفة، وقد رأى رؤيا، فيا لله، رجل لا وجود له، لعمل لا وجود له، لرؤيا مفتراة، إنها الظلمات بعضها فوق بعض.

يقول الأستاذ: وبسبب الانتشار الواسع لهذه الورقة، وكثرة القيل والقال فيها، والكلام البطال عنها، أفردت لهذا الموضوع خطبة، بينت أن القيامة حق وقربها حق وأن هذه الورقة أمرها باطل ثم مزقتها بين الناس رداً على ما جاء فيها أن من مزقها فإن الله سيمزقه، وكأنها كتاب رسول الله ﷺ لكسرى.

يقول الأستاذ: وحانت صلاة العصر، وحضرني بعد الصلاة رجلان أب وابنه.

قال الابن: اختلفت مع أبي وقد جئناك لتفصل الخلاف فيما بيننا.

فقال الأستاذ: وفيم اختلافكما؟

قَالَ الابْنُ: اختلفنا هل قُلْتَ أَنْ نَنْسَخَ الْوَرَقَةَ خَمْسَ مَرَّاتٍ أَمْ عَشَرَ مَرَّاتٍ قَبْلَ أَنْ نَقُومَ بِتَوَزِيعِهَا؟

وَمِمَّا جَرَى مَعِي:

هَذَا مَا جَرَى مَعَ ذَلِكَ الْأُسْتَاذِ، وَأَمَّا مَا جَرَى مَعِي فَهُوَ أَنِّي تَحَدَّثْتُ فِي مَطْلَعِ الْعَامِ الدِّرَاسِيِّ عَنْ أَهْمِيَّةِ الْعِلْمِ، وَمَكَانَتِهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَقُلْتُ: إِذَا مَا انْتَهَى الْفَتَى أَوْ الْفَتَاةُ مِنْ مَرَحَلَةِ التَّعْلِيمِ الْأَسَاسِيِّ، فَعَلَى الْوَالِدِ أَنْ يَجْلِسَ مَعَ وَلَدِهِ، ثُمَّ يُخَيِّرَهُ بَيْنَ مُتَابَعَةِ الْعِلْمِ إِنْ كَانَ أَهْلًا لِذَلِكَ، وَإِلَّا فَلْيُوجِّهْهُ نَحْوَ حِرْفَةٍ يُحِبُّهَا لِيَتَعَلَّمَهَا، وَتَكُونَ مَصْدَرَ رِزْقٍ لَهُ فِيمَا بَعْدُ.

وَلَكِنِّي مَعَ وُضُوحِ مَا قُلْتُ فَهَمَّ الْبَعْضُ كَلَامِي فَهَمًّا مَغْلُوطًا، إِذْ ظَنُّوا أَنِّي أَحْرَضْتُ أَبْنَاءَهُمْ عَلَى تَرْكِ مَقَاعِدِ الدِّرَاسَةِ، وَالتَّوَجُّهِ نَحْوَ مِيدَانِ الْعَمَلِ، وَأَنَا إِنَّمَا تَحَدَّثْتُ عَنْ فِئَةٍ مِنَ الطُّلَّابِ لَا تَجِدُ مُسْتَقْبَلَهَا عَلَى مَقَاعِدِ الدِّرَاسَةِ؟! وَأَيُّ أَمْرٍ فِي هَذَا؟



هل أنا ضد المرأة؟

هكذا قال لي مُحَقِّقُ أمن الدولة، ويا لها من تهمَةٍ في عَصْرِ المرأة! ولكن ما هي القِصَّة؟

لقد حَظِبْتُ ذاتَ مرَّةٍ عن العملِ، واقتَرَحْتُ أن يُقَدَّمَ الرَّجُلُ على المرأة في فرص العمل – ما عدا الأعمالَ الَّتِي تَكُونُ فيها الأولويَّةُ للمرأةِ مثلَ تَدْرِيسِ أطفالِ الحَصَانَةِ، ومُداوَاةِ المرأةِ ...



-وذلك للأسباب التالية:

- ١- أنَّ الرَّجُلَ عندما يعملُ فإنَّه يُفَكِّرُ بالزَّواجِ وَيَسْعَى لَهُ، بِخِلَافِ المرأةِ فتَأْمِينُ فُرْصَةِ عملٍ هو إعَانَةٌ على تَأْسِيسِ أُسْرَةٍ.
- ٢- أنَّ الرَّجُلَ هو المُكَلَّفُ بِالْإِنْفَاقِ شَرْعاً وَقَانُوناً وَعُرْفاً فتَأْمِينُ فُرْصَةِ العملِ له أولى من المرأةِ.

هذا ما قُلْتُهُ فَهَلْ يُفْهَمُ مِنْهُ أَنِّي ضِدُّ المرأةِ؟

لقد تَفَهَّمُ المُحَقِّقُ هذا الكلامَ وبرَّأني مِنْ تَهْمَةِ اضْطِهادِ المرأةِ والسَّعيِ لتَدْمِيرِها لأنَّها تَهْمَةٌ كَبِيرَةٌ في عَصْرِ المرأةِ الَّذِي نَعِيشُهُ!

مناقشة مع الذات قبل الخطبة:

إنَّ اختلافَ أفهامِ النَّاسِ أشدُّ من اختلافِ أذواقهم بِدرجاتٍ
ولئن كانَ من المُستحيلِ توحيدُ أذواقِ النَّاسِ فإنَّه من الأشدِّ استحالةً توحيدُ
أفهامِ النَّاسِ.

وعلى كلِّ حالٍ فعلى الخطيبِ وغيره أن يطرحَ على نفسه عدَّةَ أسئلةٍ قبلَ
أن يَرُجَّ موضوعه على النَّاسِ:

- هل الموضوعُ الَّذي سأطرحُه مَفهُومٌ أو غامِضٌ من حيثُ طبيعتهُ؟
- وهل الموضوعُ الَّذي سأطرحُه يَحتوي على أفكارٍ أو عباراتٍ غامِضةٍ
غيرِ مَفهُومةٍ؟
- وهل يُمكنُ أن يُفهمَ كلامي على غيرِ وجهه؟

فإن كانَ الموضوعُ في طبيعته غامِضاً تَرَكه، وإن كانَ واضحاً، ولكنَّ
الغُمُوضَ قد يلفُ بعضَ نقاطه عدَّلاًها، وإن كانَ قد يُفهمُ على غيرِ ما يُريدُ
الخطيبُ احترسَ من ذلك.

وذلك أنَّه إن لم يفعلْ ذلكَ فإنَّه سيضطرُّ إلى الشَّرحِ والاعتذارِ في الخطبِ
اللاحقةِ ، وهو يَغنى عن ذلك.

وصدقَ مَنْ قالَ:

لا تتكلَّمَنَّ اليومَ بكلامٍ تَحتاجُ إلى الاعتذارِ عنه غداً.

٧- رَبِّ مُسْتَمِعْ أَعْلَمُ مِنْ خَطِيبٍ

اللهُ يُعَاتِبُ كَلِيمَهُ مُوسَى:

- روى البخاري في صحيحه في كتاب الفتن عن أبي بكرة (٧٠٧٨)

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَظَبَ النَّاسَ وَسَاقَ الْحَدِيثَ إِلَى قَوْلِهِ " ... فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدَ الْغَائِبَ فَإِنَّ رَبَّ مُبَلِّغٌ يُبَلِّغُهُ لِمَنْ هُوَ أَوْعَى مِنْهُ ... الْحَدِيثَ.

- روى البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء عن أبي بن

كعب (٣٤٠١) عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " إِنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيباً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فُسِّلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا.

فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرِدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ.

فَقَالَ لَهُ: بَلَى، لِي عَبْدٌ ... هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ ... الْحَدِيثَ.

لَسْتُ بِخَيْرِكُمْ!

إِنَّ فِيمَا جَرَى مَعَ سَيِّدِنَا مُوسَى - وَهُوَ رَسُولٌ مِنْ أُولِي الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ - لَدَرْسًا وَعِبْرَةً لِكُلِّ خَطِيبٍ يعلو منبراً، أو يتقدّم أو يُقدّم للكلام في محفلٍ ما من المحافل.

فاعتلاؤه للمنبر فوق الناس، أو تقدّمه في المحافل أمام الناس، لا يعني - بالضرورة - أَنَّهُ أَعْلَمُ الحَاضِرِينَ، وَأَفْقَهُهُمْ، وَأَفْضَلُهُمْ ...

أَنْ يُقَدِّمَ أَحْسَنَ مَا عِنْدَهُ قَاصِداً وَجَهَ اللَّهِ، وَأَلَّا يَشْمَخَ بِأَنْفِهِ، وَأَلَّا يَغْتَرَّ، وَأَلَّا يَزْهَوَ، وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ بَيْنَ الْحَاضِرِينَ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ، أَوْ أَفْقَهُ أَوْ أَفْضَلُ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَقَبَّلَ النَّصِيحَ بِصَدْرٍ رَحْبٍ، وَأَنْ يَشْكُرَ النَّاصِحَ، وَيَعْمَلَ بِمَا نُصِحَ.

أخبرني أحد الأصدقاء قال: قُدمتُ لألقي كلمةً في عزاءٍ فتحدّثتُ ورأيتُ إعجابَ النَّاسِ بي وبكلمتي، و زَهتُ نفسي، ولمّا هَمَمْتُ بالانصرافِ دنا مِنِّي أحدُهم ونبّهني إلى خطأ بدر مِنِّي، ولمّا سألتُه - يقولُ صديقي - عن اسمه أخبرني عن اسمه وأنّه يحملُ شهادةَ الدكتوراه في الشريعة ... قال صديقي: فأصبتُ بالحرَج.

ومِمّا حَدَثَ معي أنّي خطبتُ ذاتَ مرّةٍ فسُقتُ حادثةً تاريخيّةً حضّرتُني من غير أن أكونَ قد حضّرتها من قبل، ولمّا أن انتهيتُ من الخطبة والصلاة، إذا برجلٍ وقورٍ يدنو مِنِّي بثقةٍ ويصوّبُ لي الخطأ الذي وقعتُ فيه، وأنا أسوقُ تلكَ الحادثةَ التاريخيّة، وعرفّني بنفسه أنّه مُدرّسٌ لمادةِ التاريخ وصدق الله

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٧]



يقولُ العلامةُ القرطبيُّ (٤٩٢/٢) ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ فوقه أرفعُ درجةً منه في علمه، وفوقَ العلماءِ كلّهم عليمٌ همّ دونه في العلم وهو الله عزَّ وجلَّ.

٨-النِّسَاءُ وَصَلَاةُ الْجُمُعَةِ

في ذاك العصر المبارك:

- روى التِّرْمِذِيُّ في باب ما جاء في بيعة النِّسَاءِ عن أُمِّمَةَ بنتِ رُقَيْقَةَ

(١٥٩٧) أَنَّهَا قَالَتْ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي نِسْوَةٍ فَقَالَ لَنَا: " فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ ... الْحَدِيثُ

- روى البُخَارِيُّ في كتاب العِيْدِ عن حفصة (١٦٥٢) أَنَّهَا قَالَتْ:

كُنَّا نَمْنَعُ عَوَاتِقَنَا أَنْ يَخْرُجْنَ، فَقَدِمَتِ امْرَأَةٌ فَفَزَلَتْ قَصْرَ بَنِي خَلَفٍ فَحَدَّثَتْ أَنَّ أُخْتَهَا كَانَتْ تَحْتَ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ غَزْوَةً، وَكَانَتْ أُخْتِي مَعَهُ فِي سِتِّ غَزَوَاتٍ قَالَتْ: كُنَّا نُدَاوِي الْكَلْمَى (الْجَرْحَى)، وَنَقُومُ عَلَى الْمَرْضَى ... الْحَدِيثُ.

- روى التِّرْمِذِيُّ في باب خروج النِّسَاءِ إِلَى الْمَسَاجِدِ عن ابنِ عُمَرَ (٥٧٠) أَنَّهُ قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " ائْذَنُوا لِلنِّسَاءِ بِاللَّيْلِ إِلَى الْمَسَاجِدِ ... الْحَدِيثُ.

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.



• روى النَّسَائِيُّ عن ابنِ عُمرَ (٧٠٦) أَنَّهُ قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِذَا اسْتَأْذَنْتِ امْرَأَةً أَحَدَكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَا يَمْنَعُهَا "



• روى أبو داودَ في كتابِ الصَّلَاةِ عن جابرٍ (١١٤١) أَنَّهُ قَالَ:

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَامَ يَوْمَ الْفِطْرِ فَصَلَّى، فَبَدَأَ بِالصَّلَاةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ ثُمَّ خَطَبَ النَّاسَ فَلَمَّا فَرَّغَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ نَزَلَ فَأَتَى النِّسَاءَ فَذَكَرَهُنَّ ... الْحَدِيثُ.

هكذا كانتِ النِّسَاءُ في ذاكَ الزَّمنِ المُبارِكِ، هاجرنَ كما هاجرَ الرِّجالُ، وباعنَ كما بايعَ الرِّجالُ، وجاهدنَ كما جاهدَ الرِّجالُ - وإن لم تكن تُشاركُ في القتالِ - وشاركنَ في الجماعاتِ والجمُوعِ والأعيادِ ...

في هذا الزَّمنِ المُرتبكِ:



وأما في زَمَانِنَا هذا فقد خَرَجَتِ الْمَرَأَةُ من بَيْتِهَا، طَالِبَةً إِلَى مَدْرَسَتِهَا وَجَامِعَتِهَا، وَمُوظَّفَةً إِلَى وَظِيفَتِهَا، وَزَاوَحَتِ الرِّجَالَ وَزَحَمَتُهُمْ فِي الْمَدَارِسِ وَالْمَعَامِلِ وَالذَّوَائِرِ الْحُكُومِيَّةِ وَالْمَلَاعِبِ الرِّيَاضِيَّةِ، وَالْأَسْوَاقِ وَالْمَتَاجِرِ وَشَاشَاتِ التِّلْفَازِ وَالْإِلْعَامِ...

لقد امتلأَ بِالْمَرَأَةِ كُلُّ مَكَانٍ إِلَّا الْمَسْجِدَ فَهُوَ الْيَوْمَ خَالٍ مِنْهَا مُتَحَسِّرٌ عَلَيْهَا فَلَا تُشَارِكُ الْمَرَأَةُ الْيَوْمَ فِي جَمَاعَةٍ وَلَا جُمُعَةٍ وَلَا صَلَاةٍ عِيدٍ ... إِلَّا مَا نَذُرُ!

عقول متخلفة:

كنتُ أخطبُ في أحدِ المساجدِ وكانت سَقِيفَةُ ذاكِ المسجدِ مُغلقةً لِعَدَمِ الْحَاجَةِ إليها فَاغْتَنَمْتُ هذهَ الْفُرْصَةَ وأُفردْتُ خُطْبَةً عن الْمَرْأَةِ ومُشاركتِها في الْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَبَيَّنْتُ أَنَّ الْمَسَاجِدَ في الْإِسْلَامِ لَيْسَتْ حِكْراً عَلَى الرِّجَالِ بَلْ هِيَ لِمَجْمُوعِ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ رِجَالُهُمْ وَنِسَائُهُمْ، كِبَارُهُمْ وَصِغَارُهُمْ، عُلَمَائُهُمْ وَعَامِّيُهُمْ...

واقْتَرَحْتُ أَنْ تُفْتَحَ السَّقِيفَةُ لِلنِّسَاءِ كَيْمَا تَحْضُرَ مَعَنَا وَتُشَارِكَنَا وَتَسْتَمَعَ وَتَتَعَلَّمَ وَتُعَلِّمَ، وَالْمَرْأَةُ أَنْفَعُ لِأَوْلَادِهَا مِنَ الرَّجُلِ إِذَا مَا تَعَلَّمَتْ ... وَسُرْعَانَ مَا انْطَوَى الْأُسْبُوعُ وَجَاءَ آخَرُ فَحَضَرْتُ فَإِذَا السَّقِيفَةُ قَدْ فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا وَإِذَا فِيهَا الْأَطْفَالُ وَالشَّبَابُ وَالرِّجَالُ وَلَا وُجُودَ لِلنِّسَاءِ أَبَداً وَلَمَّا اسْتَفْسَرْتُ عَنْ ذَلِكَ قِيلَ لِي: إِنَّ أَهْلَ الْبَلَدَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - لَمْ يَجِدُوا حَاجَةً فِي افْتِتَاحِ هَذَا الْقِسْمِ مِنَ الْمَسْجِدِ لِلنِّسَاءِ!

مُفَارَقَةٌ!



وَمِنَ الْمُفَارَقَاتِ أَنَّ أَهْلَ تِلْكَ الْبَلَدَةِ مَا زَالُوا حَتَّى ذَاكَ الْحَيْنِ يُقِيمُونَ أَعْرَاسَهُمْ مُخْتَلِطَةً يُشَارِكُ فِيهَا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ وَيَرْقُصُونَ مَعاً وَالْمَرْأَةُ بِأَحْلَى مَلَابِسِهَا وَكَامِلِ زِينَتِهَا فَقُلْتُ لَهُمْ مُعَاتِباً:

أَحْلَالُ مُشَارَكَةِ النِّسَاءِ فِي الدَّبَكَاتِ، وَحَرَامٌ عَلَيْهِمُ الْجُمُعُ وَالْجَمَاعَاتُ؟؟

٩- الجُمهورُ بينَ التَّرهيبِ والتَّرجيبِ

إِنَّ الْأَبْرَارَ ... إِنَّ الْفُجَّارَ:



مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ وَجَدَ فِيهِ ظَاهِرَةً لَا تُخْطِئُهَا الْعَيْنُ - وَمَا أَجْمَلُهَا مِنْ ظَاهِرَةٍ -
وهذه الظَّاهِرَةُ هي المُزَاوَجَةُ بَيْنَ التَّرهيبِ
والتَّرجيبِ فلا يَذْكُرُ الْجَنَّةَ إِلَّا وَيَذْكُرُ بَعْدَهَا
النَّارَ، وَلَا يَذْكُرُ النَّعِيمَ إِلَّا وَيَذْكُرُ بَعْدَهُ الْجَحِيمَ
، وَلَا يَذْكُرُ أَهْلَ الْإِيمَانِ إِلَّا وَأَتْبَعُهُم بِالْحَدِيثِ
عَنْ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ...



قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ كَثِيرٍ (٢٠٣/١) تَعْلِيْقًا عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا
قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ
فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥]

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى مَا أَعَدَّه لِأَعْدَائِهِ مِنَ الْأَشْقِيَاءِ الْكَافِرِينَ بِهِ وَبِرُسُلِهِ مِنَ
الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ، عَطَفَ بِذِكْرِ حَالِ أَوْلِيَائِهِ مِنَ السُّعْدَاءِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِرُسُلِهِ،
الَّذِينَ صَدَّقُوا إِيْمَانَهُمْ بِأَعْمَالِهِمِ الصَّالِحَةِ، وَهَذَا مَعْنَى تَسْمِيَةِ الْقُرْآنِ " مِثَالِي
" عَلَى أَصَحِّ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ اهـ

هَذَا وَقَدْ اقْتَبَسَ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ مَنَهِجِ الْقُرْآنِ فَجَاءَتْ أَحَادِيثُهُ مُتَرَاوِحَةً
مَا بَيْنَ التَّرهيبِ والتَّرجيبِ.

اِقْتَدُوا يَا أَيُّهَا الْخُطَبَاءُ!

فعلى الخطباء أن يُراعُوا هذا الجانبَ تمامَ المُرَاعاةِ في خُطْبِهِم بِشكْلِ عامٍ، بَلْ في الخُطْبَةِ الواحِدَةِ بِشكْلِ خاصٍّ، و السِّرُّ وراءَ ذلكَ أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُقَادُّ إلى الطَّاعَةِ وينتَهي عن المَعْصِيَةِ بالتَّخْوِيفِ والتَّرْهِيْبِ الَّذِي يَسْتَطِيعُ إطفَاءَ نارِ الشَّهَوَاتِ المُتَّقَدَةِ في نَفْسِهِ، ومِثْلُ هذا يَنجُ مَعَهُ التَّرْهِيْبُ. ومن النَّاسِ مَنْ يُقَادُّ إلى الطَّاعَةِ وَيَكْفُ عن المَعْصِيَةِ بالشَّوْقِ الَّذِي يُشْعِلُهُ التَّرْغِيْبُ ومِثْلُ هذا يُفْلِحُ مَعَهُ التَّرْغِيْبُ.

لا لِلَوْنِ الواحدِ:



لبعض الخطباء وَلَعٌ في الاقتصارِ على أحاديثِ التَّرْهِيْبِ فتراهُ لا يَتحدَّثُ إِلَّا عن غَضَبِ اللَّهِ وسَخَطِهِ ونارِهِ وما أَعَدَّهُ في الجَحِيمِ مِنَ الحَيَّاتِ والعقاربِ والحَمِيمِ ... حتَّى لَيُخَيِّلَ للمُستمِعينَ أَنَّ ناراً ستُخرُجُ من تحتِ المِنْبَرِ لِتَحرقَ المُصلِّينَ أَجمعينَ!



ولبعضهم وَلَعٌ في الاقتصارِ على أحاديثِ التَّرْغِيْبِ فتراهُ لا يَتحدَّثُ إِلَّا عن رَحْمَةِ اللَّهِ وجَنَّتِهِ وما فيها مِنَ الطَّعامِ والشَّرابِ والخُورِ العِينِ ... حتَّى لَيُخَيِّلَ للحاضِرِينَ أَنَّهُم - جَمِيعاً - سَيَدْخُلُونَهَا ما أَن يَخرُجُوا من بابِ المَسجِدِ.

ولئنْ كانَ كُلُّ مِنَ الخَطِيبِينَ مُصيباً فيما قالَهُ، فَإِنَّهُ مُخطِئٌ في الاقتصارِ على جانبٍ واحدٍ، فالطَّائِرُ لا يَطِيرُ إِلَّا بِجناحَيْنِ، فلا يَنبَغِي أنْ نُقَيِّطَ النَّاسَ من رَحْمَةِ اللَّهِ، كما لا يَنبَغِي أنْ نُطَمِعَ النَّاسَ بِعَفْوِهِ، وخيرُ الأمورِ أوسطُها.

١٠- رسائلُ الجمهورِ

اقرأ جمهورك:

- روى البيهقي في سننه الكبرى عن عبد الله بن مسعود (٦٠٣) أنه قال:

حدّث القوم إذا أقبلت عليك قلوبهم، فإذا انصرفت عنك فلا تحدّثهم.

فَقِيلَ لَهُ: وما علامة ذلك؟

قال: إذا أحدقوا إليك أبصارهم فقد أقبلت عليك قلوبهم، فإذا اتكأ بعضهم على بعض فقد انصرفت عنك قلوبهم فلا تحدّثهم.



- وفي رواية ساقها البغوي (٣١٣/١) عن ابن مسعود أيضاً أنه قال: حدّث القوم ما حدّجوك بأبصارهم، وأقبلت عليك قلوبهم، فإذا انصرفت عنك قلوبهم فلا تحدّثهم.

فَقِيلَ لَهُ: وما علامة ذلك؟

قال: إذا التفت بعضهم إلى بعض، ورأيتهم يتتأبون، فلا تحدّثهم.

- روى الدارمي عن الحسن (٤٦٣) أنه كان يقول " حدّث القوم ما أقبلوا عليك بوجوههم، فإذا التفتوا، فاعلم أنّ لهم حاجاتٍ ".

وغير خطتك:



كنتُ أخطبُ ذاتَ يومٍ وكان الحرُّ شديداً فرأيتُ
الرؤوسَ قد تدلَّتْ على أذقانها، والعيونَ تُقاوِمُ كراها، فما
كان مِنِّي إلا أن اختصرتُ الخطبةَ جداً وكذلك الصلاةَ،

وبيئنا كنتُ مُنصرفاً استوقفني أحدهم وقال: يا أستاذُ
كانَ في خطبتك اليومَ نقصاً، فأنشيتُ عليه لانتباهه ونبهته على السببِ .

فعلى الخطيبِ أن يقرأَ جُمهورَه بنظره إليه، وترجمته لحركاته وللغة
جسده ثم عليه أن يتصرّفَ على هذا الأساس، ولكم يقتلني خطيبٌ يرى المللَ
قد دبَّ في القوم، ويرى رؤوسهم قد لامست صدورهم، وعيونهم قد أطبقتْ
أو كادتْ، وقد يكونُ بعضُ منهم خارجَ المسجدِ تجلده الشمسُ بسياطها، أو
تلفحه الرياحُ الباردةُ بهوائها، وتسقطُ عليه الغيومُ من أمطارها، وقد يكونُ
هناك جنازةٌ في المسجدِ ثم يخطبُ ويخطبُ وكأنَّ شيئاً لم يكنْ، ما أثقلَ هؤلاءِ
وما أجدرَ أن يُنفوا من على منابرنا، ويُنادي عليهم هؤلاءِ المنفرونَ
فاحذروهم!

نصيحةٌ رشيدةٌ من خليفة راشد:

• روى البيهقيُّ في سننه عن عمرَ بن
الخطّابِ (٦٠١) أنّه قال:

" أيُّها النَّاسُ لا تُبغضوا الله إلى عباده ."

قال قائلٌ: وكيف ذلك؟

قال: يجلسُ أحدُكم قاصّاً (أو خطيباً) فيطولُ على النَّاسِ حتّى يُبغضَ إليهم
ما هم فيه، ويقومُ أحدُكم إماماً فيطولُ على النَّاسِ حتّى يُبغضَ إليهم ما هم
فيه ."

نصيحةٌ ذهبيةٌ من أم المؤمنين عائشة:

• روى البيهقيُّ أنّ عائشةَ قالتْ لعبيدِ بنِ عميرٍ وقد بلغها أنّه يجلسُ
إليه " إياك وإملاَل النَّاسِ وتقنيطهم ."

١١- بَيْنَ الصَّمْتِ وَالرِّضَا

مَنْبَرٌ وَاحِدٌ وَمُتَكَلِّمٌ وَاحِدٌ:

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ فِي كِتَابِ الْجُمُعَةِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (٩٣٤) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَنْصِتْ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَقَدْ لَغَوْتَ " .



قَالَ ابْنُ حَجَرٍ (٤١٥/٢) وَاسْتَدَلَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى مَنْعِ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْكَلَامِ حَالَ الْخُطْبَةِ وَبِهِ قَالَ الْجُمْهُورُ فِي حَقِّ مَنْ سَمِعَهَا، وَكَذَا الْحُكْمُ فِي حَقِّ مَنْ لَا يَسْمَعُهَا عِنْدَ الْأَكْثَرِ قَالُوا: وَإِذَا أَرَادَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ فَلْيَجْعَلْهُ بِالْإِشَارَةِ ...



الصَّمْتُ وَالْمُوَافَقَةُ!

إِنَّ سُكُوتَ الْجُمْهُورِ عِنْدَ اسْتِمَاعِ خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ أَمْرٌ يُمْلِيهِ الشَّرْعُ - كَمَا أوردنا سابقاً - وَلَكِنَّهُ لَا يَعْنِي - بِالضَّرُورَةِ - أَنَّ الْجُمْهُورَ مُوَافِقٌ عَلَى جَمِيعِ مَا يَقُولُهُ الْخَطِيبُ - وَلَا سِيَّما فِي الْقَضَايَا الَّتِي تَحْتَمِلُ تَعَدُّدَ وَجْهَاتِ النَّظَرِ .

وَعَلَى الْخَطِيبِ أَنْ يَعِيَ هَذَا جَيِّدًا عَلَى أَنْ فِي تَعَابِيرِ وَجْهِ الْحَاضِرِينَ مَا يُغْنِي عَنْ نُطْقِهِمْ لَوْ نَطَقُوا!



اسأل جُمهورَكَ:

يَحْسُنُ بِالْخَطِيبِ أَنْ يُقَرِّبَ مِنْهُ مَجْمُوعَةً مِنْ أُولِي الْفَهْمِ مِمَّنْ يُتَابِعُونَ خُطْبَتَهُ - وَلَا يَخْلُو مِنْهُمْ مَسْجِدٌ - ثُمَّ يَجْلِسُ مَعَهُمْ مُنْفَرِدًا بِهِمْ وَيَسْأَلُهُمْ عَنْ رَأْيِهِمْ فِي خُطْبَتِهِ وَمَا فِيهَا مِنْ مَوَاطِنَ قُوَّةٍ، وَمِنْ مَوَاطِنَ ضَعْفٍ، وَعَلَيْهِمْ أَنْ يُصَارِحُوهُ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَقَبَّلَ اعْتِرَاضَهُمْ تَقَبُّلَةً لِثَنَائِهِمْ، وَيُصَحِّحَ إِنْ كَانَ أَخْطَأَ

...

صُنْدُوقُ الْمُلَاحَظَاتِ:

هَذِهِ الْفِكْرَةُ فِكْرَةٌ جَدِيدَةٌ لَمْ يَعْمَلْ بِهَا خَطِيبٌ بَعْدُ وَقَوَامُهَا أَنْ يَجْعَلَ الْخَطِيبُ فِي مَسْجِدِهِ صُنْدُوقًا تَوْضَعُ فِيهِ الْمُلَاحَظَاتُ عَلَيْهِ وَعَلَى خُطْبَتِهِ مِمَّنْ لَا يُحِبُّ فِكْرَةَ مُوَاجَهَةِ الْخَطِيبِ وَمُصَارَحَتِهِ.



١٢- وأمرهم شورى بينهم

وشاورهم في الأمر:

يقول العلامة ابن كثير (٢١١/٧) تعليقا على قوله تعالى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ أي: لا يُبرمون أمراً حتى يتشاوروا فيه ليتساعدوا بأرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها كما قال تعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يُشاورهم في الحروب ونحوها ليُطِيبَ بذلك قلوبهم، وهكذا لما حضرت عمر الوفاة حين طعن جعل الأمر بعده شورى في ستة نفر ...



ويقول صاحب الظلال (٣١٦٠/٥) وهنا - في هذه الآيات - يُصور القرآن خصائص هذه الجماعة التي تطبعها وتُميّزها، ومع أن هذه الآيات مكية نزلت قبل قيام الدولة المسلمة في المدينة فإننا نجد فيها من صفة هذه الجماعة المسلمة أن أمرهم "شورى بينهم" مما يوجي بأن وضع الشورى أعمق في حياة المسلمين من مجرد أن تكون نظاماً سياسياً للدولة، فهو طابع أساسي للجماعة كلها، يقوم عليها أمرها كجماعة، ثم يتسرّب من الجماعة إلى الدولة بوصفها إفرازاً طبيعياً للجماعة.



مجلس شورى المسجد:

من المُستحسن أن يصطَفِي الخطيبُ ثُلَّةً من أهل المسجد من أهل الفهم والعلم ويجعلَ منهم مجلسَ شورى تكونُ من مهامِهِ اقتراحَ المواضيع التي يخطبُ بها الخطيبُ، ويُقدِّمُها للناس، لأنَّ الخطيبَ في كثيرٍ من الأحيان لا يكونُ من أهل البلدة، وأهل البلدة أدرى بمشاكلها وآمالها وآلامها.

صندوق الاقتراحات:

وهذا صندوقُ آخرُ من الصناديق التي أقترحُ أن يضعها الخطيبُ في مسجده الذي يخطبُ فيه ويكونُ مُخصَّصاً لاقتراحاتِ أهل المسجد حولَ المواضيع والأفكار التي يرغبون أن يتمَّ طرحها من خلال خطيبهم.



١٣- رَغْبَةُ الْجُمْهُورِ

وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ:

- روى أبو داود في بابِ الرَّجُلِ يَوْمُ الْقَوْمِ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو (٥٩٣) أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ " ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُمْ صَلَاةً، مَنْ تَقَدَّمَ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ ... الحديث.
- روى الترمذي في باب: ما جاء فيمن أم قوماً وهم له كارهون عن أنس بن مالك (٣٥٨) أنه قال " لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَةً: رَجُلٌ أَمَّ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ ... الحديث.

ارْحَلْ قَبْلَ أَنْ:

قد يحدثُ أن يفقدَ أهلُ المسجدِ إعجابَهم ومحبَّتَهم لخطيبِ مسجدِهِم بِحَقِّ أو بغيرِ حقٍّ ويطلبُوا مِنْهُ أَنْ يُغَادِرَ هُمْ لِغَايَةٍ فِي أَنْفُسِهِمْ أو فِي نَفْسِ بَعْضِهِمْ. وَمِنْ خِلَالِ خِبْرَتِي فَإِنِّي أَنْصَحُ لِلخَطِيبِ أَنْ يَسْتَجِيبَ لِهَذَا الطَّلَبِ - وَلَوْ كَانَ غَيْرَ مُحَقِّقٍ - وَأَنْ يُغَادِرَ المَسْجِدَ، وَعَسَى اللهُ أَنْ يَخْلِفَهُ أَهْلَ مَسْجِدٍ خَيْرًا مِنْ هَؤُلَاءِ، لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَإِنَّهُمْ سَيَتَقَدَّمُونَ بِطَلَبِ إِقَالَتِهِ وَعَزْلِهِ إِلَى الْأَوْقَافِ أو جِهَةِ أُمْنِيَّةٍ وَعِنْدَهَا سَيَتِمُّ تَلْبِيَةُ طَلِبِهِمْ - وَيَكَادُ يَكُونُ هَذَا الطَّلَبُ الْوَحِيدُ الَّذِي يُوَافِقُ الْمَسْئُولُونَ عَلَيْهِ فَوْرًا - وَعِنْدَهَا سَيَتْرُكُ المَسْجِدَ مُهَانًا مَكْسُورَ الجَنَاحِ.

نُريدُ الخطيبَ السابقَ:

خَطَبْتُ فِي أَحَدِ الْمَسَاجِدِ حِينَئِذٍ مِنَ الزَّمَانِ، وَذَاتَ جُمُعَةٍ وَبَعْدَ انْتِهَاءِ الصَّلَاةِ
جَاءَنِي أَحَدُهُمْ وَقَالَ لِي: جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْرًا، وَلَكِنِّي بِاسْمِي وَاسْمِ أَهْلِ الْقَرْيَةِ
– هَكَذَا قَالَ – نُريدُ خَطِيبَنَا السَّابِقَ وَقَبْلَ أَنْ يُتِمَّ حَدِيثَهُ قُلْتُ لَهُ: كَمَا تَشَاءُ
وَتَرَكْتُ الْمَسْجِدَ إِلَى غَيْرِهِ.

لَقَدْ كَانَ بِإِمْكَانِي أَنْ أَتَجَاهَلَ كَلَامَهُ أَوْ عَلَى الْأَقْلِ أَتَحَقَّقَ مِنْهُ وَلَكِنِّي لَمْ
أَرْغَبْ بِهَذَا وَلَا بِذَلِكَ فَتَرَكْتُ الْمَسْجِدَ وَأَبْدَلَنِي اللَّهُ أَهْلَ مَسْجِدٍ خَيْرًا مِنْ أَهْلِ
ذَلِكَ الْمَسْجِدِ، وَكُلُّ مَسَاجِدِ اللَّهِ خَيْرٌ.

- ٥ -

السُّلْطَةُ وَالْمِنْبِرُ



سُلْطَةُ الْمِنْبِرِ

التَّسَلُّطُ عَلَى الْمِنْبِرِ

مِنْبِرُ السُّلْطَةِ

الرَّقَابَةُ عَلَى الْمِنْبِرِ

الْخُطُوطُ الْحَمْرَاءُ

١- سُلْطَةُ الْمِنْبَرِ

المَبْنَى الْأَوَّلُ:



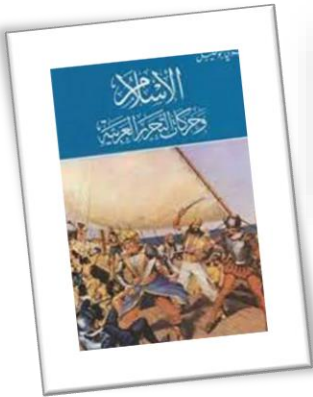
عِنْدَمَا هَاجَرَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ فَإِنَّ أَوَّلَ عَمَلٍ قَامَ بِهِ هُوَ بِنَاءُ الْمَسْجِدِ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَبْنِيَ دَاراً لَهُ حَيْثُ ظَلَّ ضَيْفَاً عَلَى أَبِي أَيُّوبَ رِيثَمَا تَمَّ بِنَاءُ الْمَسْجِدِ وَبَنَى مَنْزِلَهُ إِلَى جَوَارِهِ.



يَقُولُ مُحَمَّدٌ الْغَزَالِيُّ فِي فَحْهِ السَّيْرَةِ (١٨٨) إِنَّ مَكَانَةَ الْمَسْجِدِ فِي الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ تَجْعَلُهُ مَصْدَرَ التَّوْجِيهِ الرُّوحِيِّ وَالْمَادِيِّ.

أَقُولُ: ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ الْخُطْبِ وَالدُّرُوسِ، وَقَدْ كَانَتْ كَلِمَاتٌ قَلِيلَةٌ مِنْ عَلَى الْمِنْبَرِ كَافِيَةً لِوَادٍ بَاطِلٍ أَطْلَعَ بِرَأْسِهِ، وَإِحْيَاءٍ حَقٍّ أُحِيطَ بِهِ، بَلْ وَلِعِزْلٍ مُتَسَلِّطٍ، وَلِتَحْرِيكِ الْجُيُوشِ ... فَأَيُّ سُلْطَةٍ بَعْدَ هَذِهِ السُّلْطَةِ؟

نَمُودَجٌ مُشْرِقٌ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ:



يُرْوِي شَوْقِي أَبُو خَلِيلٍ فِي كِتَابِهِ " الْإِسْلَامُ وَحَرَكَاتُ التَّحَرُّرِ الْعَرَبِيَّةِ " هَذِهِ الْحَادِثَةَ عَنِ الشَّيْخِ عَلِيِّ الدَّقَرِ زَمَنَ الْإِحْتِلَالِ الْفَرَنْسِيِّ لِسُورِيَا يَقُولُ: وَقَدْ بَلَغَ بِهِ الْأَمْرُ أَنَّهُ بَعْدَ أَنْ أَنْهَى خُطْبَتَهُ بِجَامِعِ السَّنَانِيَّةِ يَقُولُهُ: " يَا إِخْوَانَنَا، اللَّصُّ دَاخِلُ الدَّارِ، وَهُوَ يَطْلُبُ مِنْكُمْ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءٍ: دِينَكُمْ وَمَالَكُمْ وَعِرْضَكُمْ "

وَلَمَّا سَأَلَهُ أَحَدُ الْمُسْتَمْعِينَ وَمَنْ هُوَ هَذَا اللَّصُّ يَا شَيْخِي؟

أَجَابَ الشَّيْخُ عَلِيُّ الدَّقَرُ: إِنَّهُ فَرَنْسَا!

أعطوني منابرَكم شهراً:



يقول عماد الدين رشيد في كتابه "ثقافة الخطيب" ص/ ١٨
"إنَّ الخطباءَ هم القادرونَ على تجييش الأمة، وهم القادرونَ على
أن يبتئوا في الأمة أنماطاً من السلوكِ تحتاجُ تجديدًا يوافقُ الشريعةَ

...

إنَّ الخطباءَ هم أقدرُ النَّاسِ على ذلكَ لأنَّ النَّاسَ يُحشرونَ لهم حشراً في
خطبة الجمعة وفي العيد وفي المناسبات الشرعية والاجتماعية.

إنَّ هذا الفضاءَ الواسعَ الذي يشغله الخطباءُ يُشكِّلُ حالةً من أهمِّ حالاتِ التغيير
في المجتمع.

إنَّ هذا الفضاءَ الواسعَ يجعلُ من الخطيبِ إعلامياً بامتيازٍ، بل يجعلُ منه
إعلامياً من الدرجة الأولى وحتى ندركَ ذلكَ ينبغي أن نعرفَ كيف يُغيَّرُ
الإعلامُ في سلوكِ البشر.



يقول الرئيس الفرنسي ديغول " أعطني هذه الشاشة
أغيِّرُ لك الشعبَ الفرنسيّ ".

إذاً: مجردُ ملكِك وسيلةً من وسائلِ الإعلام
تستطيعُ أن تُغيِّرَ الجمهورَ، ونحنُ نملكُ وسيلةً من
أهمِّ وسائلِ الإعلام، وسيلةً مقدَّسةً يُقبلُ النَّاسُ عليها
بجاهزيةٍ وتهيؤٍ كاملين، إنَّها المنبرُ يُقبلُ النَّاسُ عليها
بإيمانٍ، يُقبلُ النَّاسُ عليها باستعدادٍ مُطلقٍ للتلقّي.

إنَّنا نملكُ منبراً عظيماً للإعلام، ولهذا السببِ قالَ أحدُ زعماءِ الأحزابِ
الشيوعية في بلادنا أتمنّى لو أُعطى منابرَ الجمعة شهراً.

كان يتمنّى أن يأخذها شهراً، لأنَّه يدركُ كم تُؤثِّرُ في سلوكِ النَّاسِ.

أقول: والخطباءُ يعتلون متنها منذ سنين فما الذي غيَّره في هذا المجتمع؟

٢- التَّسَلُّطُ عَلَى الْمَنِيرِ

بدعة مروان:

- روى البخاريُّ في صحيحه في كتاب الجمعة عن أبي سعيد الخدري (٩٥٦) أنه قال:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْرُجُ يَوْمَ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى إِلَى الْمُصَلَّى فَأَوَّلُ شَيْءٍ يَبْدَأُ بِهِ الصَّلَاةُ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَيَقُومُ مُقَابِلَ النَّاسِ، وَالنَّاسُ جُلُوسٌ عَلَى صُفُوفِهِمْ فَيُعْظَمُ وَيُوصِيهِمْ...

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: " فَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى خَرَجْتُ مَعَ مَرْوَانَ - وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ - فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ، فَلَمَّا أَتَيْنَا الْمُصَلَّى إِذَا مِنْبَرٌ بَنَاهُ كَثِيرُ بْنُ الصَّلْتِ، فَإِذَا مَرْوَانُ يَرِيدُ أَنْ يَرْتَقِيهِ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَجَذَبْتُ بِثَوْبِهِ، فَجَبَذَنِي فَارْتَفَعَ فَخَطَبَ قَبْلَ الصَّلَاةِ.

فَقُلْتُ لَهُ: غَيَّرْتُمْ وَاللَّهِ.

فَقَالَ يَا أَبَا سَعِيدٍ: قَدْ ذَهَبَ مَا تَعْلَمُ

فَقُلْتُ: مَا أَعْلَمُ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا لَا أَعْلَمُ

فَقَالَ: إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَجْلِسُونَ لَنَا بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَجَعَلْتُهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ.

خُطْبَةُ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ وَالِي الْبَصْرَةِ:

يُرَوِّى الْجَاحِظُ فِي كِتَابِهِ " الْبَيَان " ١٧ / ٢٤٤ خُطْبَةً لَزِيَادِ بْنِ أَبِيهِ أَيَّامَ كَانَ وَالِيًا لِمُعَاوِيَةَ عَلَى الْبَصْرَةِ وَمِمَّا جَاءَ فِيهَا " أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّا أَصْبَحْنَا لَكُمْ سَاسَةً، وَعَنْكُمْ ذَادَةً، نَسُوسُكُمْ بِسُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَانَا، وَنَدُودُكُمْ بِفِيءِ اللَّهِ الَّذِي خَوَّلَنَا، فَلَنَا عَلَيْكُمْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَبْنَا، وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَدْلُ فِيمَا وُلِّينَا، فَاسْتَوْجِبُوا عَدْلَنَا وَفَيِّنَا بِمُنَاصَحَتِكُمْ لَنَا ... وَإِذَا رَأَيْتُمُونِي أَنْفَذُ فَيْكُمُ الْأَمْرَ فَاَنْفُذُوهُ عَلَى إِذْلَالِهِ، وَابْتِغَاءِ اللَّهِ، إِنَّ لِي فِيكُمْ لَصَرْعَى كَثِيرَةً، فَلْيَحْذَرْ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ مِنْ صَرَعايَ ...

من خُطبِ الحَجَّاجِ في خِدمةِ السُّلْطَةِ:

• روى أبو داودَ في سُنَنِه في كتابِ السُّنَةِ عن عاصِمِ (٤٦٤٣) أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ الحَجَّاجَ وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ يَقُولُ: " اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ لَيْسَ فِيهَا مَثْنَوِيَّةٌ، واسْمَعُوا وَأَطِيعُوا لَيْسَ فِيهَا مَثْنَوِيَّةٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَاللَّهُ لَوْ أَمَرْتُ النَّاسَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ المَسْجِدِ فَخَرَجُوا مِنْ بَابٍ آخَرَ لَحَلَّتْ لِي دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ، وَاللَّهُ لَوْ أَخَذْتُ رُبْعَهُ بِمَضَرٍ لَكَانَ ذَلِكَ لِي مِنَ اللَّهِ حَلَالاً ...

• روى أبو داودَ في سُنَنِه في كتابِ السُّنَةِ عن الرَّبِيعِ بْنِ خَالِدِ الضَّبِّيِّ (٤٦٤٢) أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ الحَجَّاجَ يَخْطُبُ فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ " رَسُولُ أَحَدِكُمْ فِي حَاجَتِهِ أَكْرَمُ عَلَيْهِ أَمْ خَلِيفَتُهُ فِي أَهْلِهِ؟ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لِلَّهِ عَلَيَّ إِلَّا أَصْلِي خَلْفَكَ صَلَاةً أَبَدًا ...

انحراف:

إنَّ في هذه الأمثلة التي سقَّتها وغيرها كثيرٌ جداً ما يُعدُّ انحرافاً لخطِّ المنبرِ الأصليِّ ونرى هنا تسلُّطاً على المنبرِ واستغلالاً له لفرضِ سياسياتٍ مُعيَّنة.

٣- منبر السلطنة

العهد الجديد:

لقد ذهبَ ذاكَ العهدُ الَّذي كانَ للمنبرِ سُلْطَانُهُ على صاحبِ السُّلْطَانِ نَفْسِهِ
فَضْلاً عن جماهيرِ المُسْلِمِينَ .

كما وَذَهَبَ ذاكَ العهدُ الَّذي كانَ بعضُ السَّاسَةِ وأبواقُهُم وأذنابُهُم يتسلَّطُونَ
فيه على المنبرِ بينَ الحينِ والحينِ خِدْمَةً لِأَغْرَاضِهِم الشَّخْصِيَّةِ!



لقد ذهبَ هذا وَذاكَ وجاءَ عهدٌ جَدِيدٌ فَقَدَ فِيهِ المنبرُ سُلْطَانَهُ،
وَصَارَ أَدَاةً طَيِّعَةً فِي أَيْدِي الحُكَّامِ، يُرَوِّجُ مِنْ عَلَيْهِ لِباطِلِهِمْ،
وَيُجَمِّلُ مِنْ عَلَيْهِ قُبُحَهُمْ، وَتُسَوِّغُ مِنْ عَلَيْهِ جَرَائِمَهُمْ، وَتَقْرِضُ مِنْ
عَلَيْهِ سِيَاسَاتِهِمْ، مَهْمَا كَانَتِ مُخَالَفَةً لِلإِسْلَامِ، وَيُشِيطُنُ مِنْ عَلَيْهِ
أَعْدَاؤُهُمْ مَهْمَا كَانُوا صَالِحِينَ وَمُصْلِحِينَ بَلْ وَيُدْعَى لَهُمْ مِنْ عَلَيْهِ
بَطُولِ العُمُرِ والتَّايِيدِ مِنْ رَبِّ السَّمَاءِ!!

ولكن كيف حدث هذا؟

وَلَعَلَّكَ تَتَسَاءَلُ فَتَقُولَ وَلَكِنْ كَيْفَ حَدَثَ هَذَا الانْحِدَارُ الْخَطِيرُ وَالتَّحَوُّلُ
الْكَبِيرُ؟

إِنَّهُ لَمْ يَحْدُثْ فَجَاءَةً، بَلْ هُنَاكَ عُقُولٌ مَآكِرَةٌ خَطَّطَتْ، وَرِجَالٌ مُغْفَلُونَ قَبِلَتْ،
وَصَدَّقَ اللَّهُ ﴿بَلْ مَكْرٌ أَلِيلٌ وَالنَّهَارُ﴾ [سبأ: ٣٣]

لقد حَدَثَ كُلُّ هَذَا عِنْدَمَا تَحَوَّلَ أَوْ حَوَّلَ الدِّينُ وَاخْتَزَلَ فِي مُؤَسَّسَةِ (وَزَارَةِ
الأَوْقَافِ، الشُّؤُونِ الدِّينِيَّةِ ...) مِنْ مُؤَسَّسَاتِ الدَّوْلَةِ، تُدِيرُهَا كَمَا تُدِيرُ الْمُؤَسَّسَةَ
الرِّيَاضِيَّةَ وَالسِّيَاحِيَّةَ ... وَصَارَ لِلدَّوْلَةِ فِيهَا أَرْبَعَةُ حُقُوقٍ:

١- حَقُّ التَّصْنِيعِ مِنْ خِلَالِ وَضْعِ الْمَنَاجِجِ الَّتِي تَتَنَاسَبُ مَعَ تَوَجِيهَاتِ كُلِّ
دَوْلَةٍ، وَالتَّعْدِيلِ عَلَيْهَا عِنْدَمَا يَلْزَمُ الْأَمْرُ، فِي بِلَادِي عِنْدَمَا لَمْ تَسْتَطِعْ تِلْكَ
العُقُولُ المَآكِرَةُ مِنْ إِغْلَاقِ المَعَاهِدِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَتَمَيَّزُ عَنِ التَّعْلِيمِ
الرَّسْمِيِّ الْمُتَمَثِّلِ بِالتَّانَوِيَّاتِ الشَّرْعِيَّةِ، وَكُلِّيَّةِ الشَّرِيعَةِ بِمَنَاجِجِهَا الْقَوِيَّةِ فِي



العلوم الشرعية والعربية، حيث تُدرّس فيها أمّات الكتب على أيدي رجالٍ مخلصين ومُتخصّصين، عندما عجزت - ولكم حاولت - قامت بتوجيه ضربة شبيهة قاضية على تلك المقرّرات فمسحتها تحت مُسمّى " المناهج الموحّدة " وفي غير بلادنا ما زلنا نسمع بين الحين والحين

عن تعديلات تطال المقرّرات الشرعية من حذفٍ لكثيرٍ من آيات الجهاد، والآيات التي تتحدّث عن أهل الكتاب ... ولا سيّما بعد المصالحات المخزية مع أعداء البشرية اليهود!

٢-حق اختيار القادة الدينيين مثل المفتين والخطباء والمدرّسين والوزراء ومديري الأوقاف ... ولا شكّ أنهم لن يختاروا إلّا من يوافق أهواءهم ويحقّق لهم رغباتهم.



وقد سمعتُ بأذني أحدهم يقول وقد عُيّن مُفتياً لدمشق " إنهم لم يُعطونا حتّى أخذوا مِنّا !"

٣-فرض الخطاب الديني شكلاً ومضموناً.

٤-فرض الرقابة المشدّدة على العاملين في هذه المؤسسة ومحاسبتهم إن خرجوا عن الخط المرسوم له حساباً قد يصل إلى العزل أو السجن وقد حدثا معي.

فالخطيب اليوم الذي تمّ تصنيعه على عيون السلطة، لا يرتقي منبراً إلّا بعد حصوله على موافقة من وزارة الأوقاف، وهي لا تمنح موافقتها لأحد إلّا بعد حصوله على الموافقة الأمنية، فالحاصل أنّ الذي يُعيّن الخطيب ويسمح له باعتلاء المنبر هو الجهاز الأمني لا الوزارة المنكوبة.

وبعد أن يحصل الخطيب على الموافقة فإنّه يلاحق بالتعميمات الأسبوعية التي تُملّي عليه ما يقول، وما لا يقول، ولكم دُعيت إلى الأوقاف والجهات الأمنية بتهمة أنني لا أستجيب ولا أجاوب مع تلك التعميمات ولئن سألتني عن محتوى تلك التعميمات فالجواب مُضحك ...

فهذا تعميم عن التذكير بأعياد نيسان وآذار وتشرين الثالث...

وهذا تَعْمِيمٌ عن عيد الشجرة

وآخر عن ضرورة ترشيده الطاقة والمحافظة على البيئة!

وبعد هذا وذاك ثم رقابة إجبارية على المنبر وقد اطلعت على واحد من تلك التقارير بالمصادفة فإذا فيه إحصاء لعدد المصلين، وأن الناس خرجوا بهدوء، وأن الخطيب دعا لزعم الأمة.

ولئن - فرضاً - غاب مندوب الجهة الأمنية فإن الكثير من الحاضرين سيتطوعون بنقل التقارير عن الخطيب أنه قال كذا وكذا، وهكذا تحول المصلون أو بعضهم إلى جواسيس وصارت الوشاية في بلادي ثقافة عامة حتى إني - والله على ما أقول شهيد - ما خطبت في مسجد إلا قيل لك: احذر من كتبة التقارير فهم أكثر في هذا المسجد، ولما كشف لي أحد المحققين عن أسماء الذين كتبوا عني تقريراً لجهة أمنية إذا فيهم شخص كنت أحبه وأجله وأقدمه للإمامة، وأنبيئه للخطابة، فهل يا ترى أراد أن (يرحلني) ليخطب بالناس ابتغاء رضا الله؟!

لو طلب مني ذلك لفعلت، ولكم فعلت!

وفي حين تجاوز الخطيب الخطوط الحمراء فإنه سيتم استدعاؤه إلى جهة أمنية مثل فرع المخابرات الجوية، أو الأمن السياسي، أو أمن الدولة، وكأنما بخطابه هذا هدد أمن الدولة... والتحقق معه بطريقة مهينة جداً جداً، حتى إن أحدهم قال لي: لو لم تأت كنا (شحنناك)، فقلت له: ولم لا وأنتم الدولة ونحن أشخاص مدنيون لا حول لنا ولا قوة فسكت الرجل،... ثم بعد ذلك إما أن يتابع عمله خطيباً إلى حين، وإما أن يعزل، وإما أن يسجن، وقد حدث معي كل ما سبق.

فهل بقي للمنبر في ظل هذه الظروف أي سلطة؟

نقول باطمئنان: لقد فقد المنبر سلطته وسلطانته وصار أداة طيعة في يد السلطة لخدمتها ولم يعد من الشعب وإلى الشعب كما ينبغي أن يكون!

نتائج كارثية!

إنَّ تَسُلُّطَ السُّلْطَةِ عَلَى الْمِنْبَرِ وَتَحْوِيلَهُ مَنْبَرًا لَهَا يَعْمَلُ لَصَالِحِهَا وَيَنْطِقُ بِلِسَانِهَا ... أَفْقَدَ الْجَمَاهِيرَ الثِّقَةَ بِهِ وَالِاسْتِجَابَةَ لَهُ.

وَلَكَّمْ حَضَرْتُ عِنْدَ خُطْبَاءٍ أَقَلَّ مَا يُقَالُ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ عُمَلَاءٌ لَا عُلَمَاءَ فَهَذَا يُهَاجِمُ الْقَنَاةَ الْفُلَانِيَّةَ لِأَنَّهَا فَضَحَتْ الْحُكُومَاتِ وَعَرَّتْهَا أَمَامَ شُعُوبِهَا،

وَأَخْرَجَ جَعَلَ مَنْبَرَهُ لِتَسْوِيعِ جَمِيعِ أَفْعَالِ الْحُكُومَةِ مَهْمَا بَلَغَتْ دَرَجَةُ قَسَاوَتِهَا وَمُخَالَفَتِهَا لِلشَّرْعِ وَأَخْرَجَ ... وَأَخْرَجَ ...

وَبِحَقِّ نَقُولُ: لَقَدْ انْتَهَتْ سُلْطَةُ الْمِنْبَرِ عَلَى النَّاسِ عِنْدَمَا تَحَوَّلَ مَنْبَرًا لِلْسُّلْطَةِ.

خياران صعبان:



لَطَالَمَا تَسَاءَلْتُ هَلِ الْأَفْضَلُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الظُّرُوفِ اعْتِزَالُ الْمِنْبَرِ وَتَرْكُهُ لِلْمُطَبِّلِينَ وَالْمُزْمِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ أَمْ اعْتِلَاؤُهُ وَتَقْدِيمُ مَا يُمَكِّنُ تَقْدِيمَهُ، وَإِنْقَاذُ مَا يُمَكِّنُ إِنْقَاذَهُ مَعَ عَدَمِ السَّيْرِ فِي رِكَابِ أَوْلَئِكَ الْمُهَرَّجِينَ؟

لَقَدْ كَانَ يَغْلِبُ عَلَيَّ الْأَمْرُ الْأَوَّلُ فَأَعْتَزَلْتُ الْمِنْبَرَ إِلَى حِينٍ.

ثُمَّ يَأْتِينِي بَعْضُ النَّاصِحِينَ وَيَقُولُونَ: أَنْقِذْ مَا يُمَكِّنُ إِنْقَاذَهُ، وَكَمْ مِنْ حَقَائِقِ الدِّينِ يُمَكِّنُ طَرَحُهَا مِنْ دُونِ التَّصَادُمِ مَعَ السُّلْطَةِ فَأَعُودْ وَهَكَذَا حَتَّى تَمَّ عَزْلِي نِهَائِيًّا مَعَ مَطْلَعِ عَامِ (٢٠١١) بِتُّهْمَةِ التَّحْرِيزِ، وَمِنْ الطَّرِيفِ أَنِّي أَكْتُبُ سَطُورَ هَذَا الْكِتَابِ وَأَنَا مُبْعَدٌ عَنِ الْمِنْبَرِ مُنْذُ مَا يَزِيدُ عَنْ عَشْرِ سَنَوَاتٍ، وَلَوْ عَرَضَ عَلَيَّ الْآنَ لَمَا قَبِلْتُ ارْتِقَاءَهُ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ.

٤- الرّقابة على المنبر

مصرعُ الحرّية:



إنَّ حرّيةَ الكلمةِ والتّعبيرِ عن الرّأي ليست
مُتاحةً في بلادِي الكبيرة لأحدٍ لا لِخطيبٍ ولا
لغيره، وهذا ممّا باتَ يَعرفُهُ القاصي والدّاني
وسارَتْ به - كما يُقال - الرُّكبانُ.

وإنَّ الأقفالَ المَوْضوعةَ والمفروضةَ على أفواه
النّاسِ جَميعاً، والخطباءِ مِنْهُمْ خصوصاً لَهَيَ
أكبرُ وأكثرُ مِنْ أقفالٍ متاجرٍ سوقِ الحميديةِ الشّهيرِ في مَدِينَتِي وصدقَ القائِلُ:

وكيف نخطبُ والأقفالُ في فمنا؟

وأطالما كُنْتُ أتساءلُ - قبلَ أن أرى ما وراء السّتارِ وتتكشّف أُمَامِي
كواليسُ الخطابةِ - ما بالُ خُطباننا في وادٍ، وقضايا أُمّتنا الإسلاميّةِ في وادٍ
آخر؟ أعلى أبصارهم غشاوةٌ أم في آذانهم وَقْرٌ؟

فحربٌ يُبادُ فيها أهلُ الإسلامِ على أيدي أعدائهم أو حُكّامهم المُحتَكَمينَ بِهِم
وإذا بالخطيبِ يُتَحَفُّ جُمهوره بِخُطبةٍ عَصماءَ عن البيئَةِ! وَيَلْفِتُ انتباهَ النّاسِ
إلى ضرورةِ ترشييدِ الطّاقةِ، ورُبّما حَدّثهم عن الحوادثِ المُروِريّةِ وخُطورةِ
القيادةِ بِسرعةٍ!

ولكنّي بعدَ أن دخلتُ عالمَ الخطابةِ اكتشَفْتُ الحقيقةَ المُرّةَ الَّتِي أَكشِفُ عنها
هنا وقلّ من يَجْزُو أن يكشفَ عنها اكتشَفْتُ أَنَّ الخطيبَ أيَّ خطيبٍ كانَ
مُطَوّقٌ تَمَامَ التّطويقِ مِنْ قَبْلِ أن يتكلّمَ، وعندما يَقومُ مُتكلِّماً، وبعدَ أن يتكلّمَ.

١- الرّقابةُ القبليّةُ:

وأعني بها تلك التعميمات التي تقذف بها وزارة الأوقاف للخطباء ليجعلوا منها مواضيع يطرحونها على المنبر وهي في الغالب مواضيع هزيلة جداً بل وهزيلة جداً وبعيدة عن واقع الأمة ونبض الشارع، وأياً كان الأمر فهي رغبة السلطة وقد يأتي يوم - وهذا يحدث في بعض الدول العربية الآن - تكتب فيها الخطبة كاملة، وما على الخطيب إلا قراءتها على مسمع جمهوره!

٢- الرقابة المباشرة:



إن الجهات المسؤولة لا تكتفي بتحديد موضوع الخطبة بل ترسل مندوبيها إلى المساجد، جميع المساجد ليتأكدوا من أن الخطيب نفذ ما طلب منه وقال ما ينبغي أن يقوله ولم ...

ولو فرضنا أن مسجداً خلا من المندوبين، فإنه لن يخلو من الإخوة المتطوعين من بين صفوف المصلين المسلمين.

ولك أن تتخيل أمة يشي فيها المصلون وحاضرو الخطبة بالخطيب غير مباليين بما يمكن أن يحدث معه فيما بعد، ولقد ضقت ذرعاً يوماً بهؤلاء وهؤلاء أعني المندوبين والمتطوعين فقلت " لا خير فينا إن لم نقل الحق، ولا خير فيكم إن لم تسمعوا الحق، ولا خير في أمة لا يقال فيها الحق ".

٣- المحاسبة:

وهذه هي المرحلة الثالثة من مراحل الرقابة، وفيها يستدعى الخطيب إلى جهة أمنية وربما أكثر، وبعد أن يتعرض للتفتيش وطول الانتظار، يمن عليه المحقق الذي يوهمه بأنه يعرف عنه غيبه وشهادته وما يأكل في بيته، ويدخر في جيبه ويسر به إلى زوجته، بادئاً بسرد ما قاله الخطيب بالحرف الواحد، ويبدأ الاثنان جدالاً لا ينتهي، وفي آخر المطاف إما أن يكتفي بتوجيه إنذار، أو عزل، أو اعتقال، وقد حدث معي هذا كله.

٥- حَصَانَةُ الْخَطِيبِ!

الْحَصَانَةُ الْبَرْلَمَانِيَّةُ:



هي نوعٌ من الحِمايةِ القانونيّةِ الّتي يُعطِها الدُّستورُ لِنُوابِ الشَّعبِ في البرلمانِ كنوعٍ من الحِمايةِ السِّياسيّةِ والقانونيّةِ حتّى يَسْتَطِيعَ النّائبُ أنْ يُوَدِّيَ وظيفتَه الدُّستوريّةَ كامِلَةً (كسلطةٍ تشريعيّةٍ) بَعِيداً عن تأثيرِ السُّلطةِ التَّنفيذيّةِ على أعضاءِ البرلمانِ بالترغيبِ والترهيبِ.

وقد ظهرتْ هذه الحَصانةُ بادئَ ذي بدءٍ في إنكلترا عامَ (١٦٨٨)م على أثرِ قيامِ الثَّورةِ الإنكليزيّةِ ... ثمَّ في فرنسا عامَ (١٧٨٩)م.

الدستور السوري وحصانة أعضاء مجلس الشعب:



نصَّ الدُّستورُ السوريُّ في (م/ ٧٠+٧١) على حَصانةِ أعضاءِ مجلسِ الشَّعبِ.

تقولُ م/ ٧٠ " لا يُسألُ أعضاءُ مجلسِ الشَّعبِ جزائيّاً أو مدنيّاً بسببِ الوقائعِ الّتي يُوردونها، أو الآراءِ الّتي يُبدونها أو التَّصويتِ في الجلساتِ العلنيّةِ أو السَّريّةِ، وفي أعمالِ اللِّجانِ ".

الْحَصَانَةُ الْمُنْبِرِيَّةُ:

أوليسَ مِنَ العجائبِ والمُفارقاتِ أنْ تُمنَحَ الحَصانةُ لعضوٍ في مجلسِ الشَّعبِ، ثمَّ تُمنعُ عن خطيبٍ يخطُبُ في الشَّعبِ؟

إنَّ الخطباءَ وكذلك سائرُ الدُّعاةِ هُمُ أولى النَّاسِ بالحَصانةِ الّتي هي حقُّ النَّاسِ كُلِّهم - لأنَّهم من الشَّعبِ خَرَجُوا، وبلسانِهِ يَتكلَّمونَ، وعن حُقوقِهِ يُدافعون!

وقُلْ لي بِربِّكَ ما الفَرْقُ بينَ عُضوٍ في مَجْلِسِ الشَّعبِ - قد يكونُ اشترى أصواتَ الشَّعبِ واستغلَّ حاجَتَهُمَ للوصولِ إلى كُرسيِّه ذاكَ - وخطيبِ الشَّعبِ حتّى يُسبِغَ على الأوَّلِ الحِمايةَ، ويُحاسبَ الثَّاني على مُجرَّدِ اجتماعِهِ مع النَّاسِ هُنا أو هُنالك؟

مصدرُ حصانةِ الخطيبِ:



إنَّ الحَصَانَةَ الَّتِي أُريدُها للخطيبِ هي تلكَ الَّتِي تَنبُعُ من مَحَبَّةِ النَّاسِ لَهُ والتَّفَافِ النَّاسِ حَوْلَهُ ممَّا يجعلُ السُّلْطَةَ تُرهَبُ جانِبَهُ ولا تُفَكِّرُ في إيذائه.

وأما الحَصَانَةُ الَّتِي يَنصُّ عليها الدُّستورُ فليستَ ما أُريدُ لأنَّ الدُّستورَ الَّذِي يُلْغِي حَاكِمِيَّةَ اللَّهِ ويجعلُ التَّشْرِيعَ بيدَ أعضاءِ مَجْلِسِ الشَّعْبِ (السُّلْطَةُ التَّشْرِيعِيَّةُ) والرَّئِيسِ ووزرائِهِ (السُّلْطَةُ التَّنْفِيزِيَّةُ) إِنَّ هَذَا الدُّستورَ هو أَوَّلُ ما على الخُطباءِ مُحَارَبَتُهُ واستبداله فهل يَستمدُّونَ منه حَصَانَتَهُمْ!

٦- الخطوط الحمراء



إنَّ الخُطوطَ الحَمراءَ كثيرةٌ جدًّا، وهي تختلفُ من بلدٍ إلى بلدٍ، وفي البلدِ نفسِه من زَمَنِ إلى زَمَنِ، وذلك على حَسَبِ أهواءِ الحُكَّامِ وتوجُّهاتهم.

ففي حينِ أنَّ الأضواءَ خَضراءَ أَمَامَ مَنْ يُهاجِمُ دولةَ الاحتلالِ في بَلَدٍ، تَكونُ بِلونٍ أَحمرَ كلونِ الدَّمِ في بَلَدٍ آخَرَ، ولعلَّ هذا البلدَ كانتِ إشارَتُهُ خَضراءَ يوماً كِمِصرَ والأردنَ والإماراتِ ...

وهذه الخُطوطُ الحَمراءُ لمَ أقرأها في كِتَابٍ، وهل هُناكَ كِتَابٌ يَنصُّ على تِلْكَ الخُطوطِ؟ وإنَّما اكتَشَفْتُها اكتِشافاً فكلَّما خَطَبْتُ خُطْبَةً ثُمَّ اسْتَدْعَيْتُ بَعْدَها إلى جِهَةٍ أَمَنِيَّةٍ، وتَمَّ التَّحْقِيقُ مَعِي مِنْ أَجْلِ ما قُلْتُه عَلِمْتُ أَنَّ ما قُلْتُه تَحْتَهُ خَطٌ أَحْمَرٌ، وإنَّ تُرْكُتْ بِلَا اسْتِدْعاءٍ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَطٌّ أَخْضَرٌ، وقد يكونُ إلى حينٍ ثُمَّ قد يَحْمَرُّ أو يَبْقَى أَخْضَرَ.

الجهاد:



إنَّ الجِهَادَ هو دِرْعُ الأُمَّةِ وَحِصْنُها الحَصِينُ، وإنَّ الجُيُوشَ الإسلاميَّةَ هَدَفُها جِمايَةَ الإسلامِ في أرضِه، ونشرُه خارجَها، وإنَّ الأُمَّةَ الإسلاميَّةَ لم تُصَبِّبْ بما أُصِيبَتْ به اليَومَ مِنَ المَذَلَّةِ والهوانِ، إِلَّا عِنْدَما أَغْمَدَتْ سِيفَها، وعَقَرَتْ جِوادَها، وَمَنَحَتْ أَعْداءَها أَكتافَها.

ولَقَدْ وعى العَرَبُ الصَّلَيبِيُّ والعَدُوُّ الصُّهْيُونِيُّ هذا جَيِّداً فَلِذا فَإِنَّ الحَدِيثَ – مُجَرِّدَ الحَدِيثِ عَنِ الجِهَادِ يُثِيرُ غَضَبَهُمْ وَقَلَقَهُمْ وَيُفْزِعُهُمْ، فَلِذا فَهُم يُوَحِّونَ إلى أولِيائِهِم في أرضِنا أن يَبْقَى بابُ الحَدِيثِ عَنِ الجِهَادِ مُغْلَقاً.

هذا مِنْ جِهَةٍ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرى فَإِنَّ الحَدِيثَ عَنِ الجِهَادِ يُحْرِجُ الحُكُوماتِ والأنظِمَةَ العَرَبِيَّةَ الَّتِي تَدَّعي المُقاوَمَةَ و الممانعة وهي قد جَعَلَتْ مِنْ جُيُوشِها الدِّرْعَ لِحَمائِتيها هي، وما يَومُ حَلِيمَةً بِسِرٍّ.

وخلال فترة خطابتي التي امتدت لسنوات لم أتحدث عن الجهاد إلا في مناسبات معدودات مثل الحرب الصليبية على العراق، والتي انتهت بسقوطها، والحرب على غزة والتي انتهت بإنهاء الغازي لها أمام بطولة أهلها، والرأي العام ... وفيما عدا ذلك فبقي باب الحديث عن الجهاد (لا باب الجهاد) مغلقاً حتى يحصل اعتداء على المسلمين هنا أو هناك.

العمليات الاستشهادية:

هي نوع من أنواع الأعمال القتالية لا تُرجى في الغالب سلامة



مُنَفَّذِيهَا، وذلك بأن ينغمس المجاهد في صفوف الأعداء بعد إحاطة نفسه، أو ملء عربته بالمواد المتفجرة، حتى إذا صار بين الأعداء حرر تلك المواد المتفجرة، فقتل أعداءه وغالباً ما يُستشهد عند ذلك.

وقد عرفت ساحات الجهاد هذا النوع من الأعمال القتالية منذ زمن الصحابة الكرام، وما الاختلاف إلا في طريقة التنفيذ.



وموقف الفقهاء من هذه العمليات هي الإجازة، نص على ذلك الإمام محمد في كتابه السير الكبير وغيره، وهو ما ذهب إليه علماؤنا المعاصرون إلا من شذ منهم، وللتوسع في هذا الموضوع يرجع إلى ما كتبه الباحث نواف التكموري في رسالته "العمليات الاستشهادية".

ولقد طرقت هذا الموضوع ذات مرة على المنبر وكُنْتُ عِنْدَهَا فِي بَدَايَاتِ أَمْرِي خَطِيباً، وَلَقَدْ رَأَيْتُ مُفَاجَأَةَ النَّاسِ وَاسْتِغْرَابَهُمْ فَهُمْ لَمْ يَرَوْا خَطِيباً قَبْلِي طَرَحَ هَذَا الْمَوْضُوعَ عَلَى الْمَنْبَرِ، وَلَمْ تَمُضْ أَيَّامٌ قَلِيلَةٌ حَتَّى اسْتُدْعِيتُ إِلَى فِرْعِ الْأَمْنِ السِّيَاسِيِّ لِلتَّحْقِيقِ مَعِيَ عَنْ هَذِهِ الْخُطْبَةِ، وَلَمَّا سَأَلَنِي عَنْ أَسْمَاءِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ فَضْلُ السَّبْقِ إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الْعَمَلِيَّاتِ، أَخْبَرْتُهُ أَنَّهُمْ قَدْ مَاتُوا فَقَدْ خَشِيتُ أَلَّا يَكُونَ قَدْ عَلِمَ بِمَوْتِهِمْ، فَبِيعْتُ مِنْ رَجَالِهِ الْأَشْدَاءِ – عَلَيْنَا – مَنْ يَأْتِيهِ بِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَقَدْ أَحْسَسْتُ أَنَّ فِي نَفْسِ الْمُحَقِّقِ مَا لَمْ يُصْرِّحْ لِي بِهِ، فَهُوَ ضِدُّ هَذِهِ الْعَمَلِيَّاتِ، وَلَكِنِّي تَحَدَّثْتُ عَنْ الْعَمَلِيَّاتِ الَّتِي تَجْرِي عَلَى أَرْضِ فِلَسْطِينَ وَهَذَا مَا أَسْكَتَهُ!

وغيرنا يتعاملُ بها:



قد لا يَعْلَمُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّ هَذَا النُّوعَ مِنَ الْعَمَلِيَّاتِ لَيْسَ حِكْماً عَلَيْنَا، بَلْ جَاءَ فِي الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ أَنَّ الطَّيَّارِينَ الْيَابَانِيِّينَ اسْتَعْمَلُوا هَذِهِ الطَّرِيقَةَ فِي الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ، عِنْدَمَا كَانُوا يَقْصِدُونَ بِطَائِرَاتِهِمُ الْأَسَاطِيلَ الْأَمْرِيكِيَّةَ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْعَمَلِيَّاتُ تُعْرَفُ بِعَمَلِيَّاتِ الْكَامِيكَازِي.

وَمِنَ الطَّرِيفِ أَنَّ الصَّلَيبِيِّينَ فِي الْحَمَلَاتِ الصَّلَيبِيَّةِ اسْتَخْدَمُوا هَذَا النُّوعَ أَيْضاً حَيْثُ قَامَتْ سَفِينَةٌ تَحْمِلُ فُرْسَاناً أُطْلِقَ عَلَيْهِمْ تَسْمِيَةُ فُرْسَانِ الْمَعْبَدِ بِالْإِصْطِدَامِ مَعَ سَفِينَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ فَقُتِلَ (١٤٠) فَارِساً مَسِيحِيّاً مَعَ أضعافِ هَذَا الْعَدَدِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

أهل الكتاب:

إِنَّ الْحَدِيثَ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ - إِلَّا فِي بَعْضِ الْبِلَادِ - وَالنَّصَارَى مِنَ الْخُطُوطِ الْحَمْرَاءِ أَيْضاً وَلَئِنْ كَانَ بَابُ الْحَدِيثِ عَنِ الْجِهَادِ يُفْتَحُ حِيناً وَيُعْلَقُ أحياناً فَإِنَّ بَابَ الْحَدِيثِ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا سِيَّما النَّصَارَى فِي بِلَادِنَا مُغْلَقٌ فِي كُلِّ الْأَحْيَانِ.

وترى الحكوماتُ أَنَّ فِي السَّمَاحِ بِفَتْحِ هَذَا الْبَابِ مَا يُهْدِدُ السَّلَامَ الدَّاخِلِيَّ، وَتَرَى فِي نَفْسِهَا أَنَّهَا حَامِيَةُ الْأَقْلِيَّاتِ؟

وهذه أَكْذُوبَةٌ فَالَّذِي حَمَى النَّصَارَى وَغَيْرَهُمْ فِي أَرْضِ الْإِسْلَامِ هُوَ تَعَالِيمُ الْإِسْلَامِ وَسَمَاحَةُ أَهْلِهِ وَإِلَّا فَمَا كَانَ لَهُمْ وُجُودٌ فِي أَرْضِنَا كَمَا مُسَحَّ وُجُودُنَا فِي أَرْضِ الْأَنْدَلُسِ بَعْدَ الْاِحْتِلَالِ الصَّلَيبِيِّ لَهَا!



وقد وَصَلَ الأمرُ بالخطباء أَنَّهُمْ لَمْ يَعُودُوا يَجْرُؤُونَ عَلَى تَنَاوُلِ مواضيعَ
تَعْنِينَا نَحْنُ لَهَا صِلَةٌ بِهِمْ مِثْلَ:

١- عَقِيدَتُنَا فِي الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ فِي مُقَابَلَةٍ أُجْرِيَتْ مَعَهُ
أَثْنَاءَ عُدْوَانِ الْيَهُودِ عَلَى غَزَّةٍ قَالَ: إِنَّ الْيَهُودَ لَا يَتَوَرَّعُونَ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى
إِنَّهُمْ قَتَلُوا الْمَسِيحَ وَصَلَبُوهُ؟ أَيُّ جَهْلٍ بَلْ وَكُفْرٍ هَذَا؟



٢- حُرْمَةُ مُشَارَكَةِ النَّصَارَى فِي احْتِفَالَاتِهِمْ بِمِيلَادِ
الْمَسِيحِ (مُخَالَفِينَ كُلَّ تَعَالِيمِهِ بِحُجَّةِ الْاِحْتِفَالِ بِهِ) أَوْ
مَا يَجْرِي فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِنَ الْفُجُورِ وَشُرْبِ الْخُمُورِ
وَالزَّانَا... حَتَّى لَمْ تَعُدْ تُفَرِّقُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ بَيْنَ مُسْلِمٍ
وَنَصْرَانِيٍّ، وَلَا بَيْنَ مُسْلِمَةٍ وَنَصْرَانِيَّةٍ... بَلْ وَاِمْتَلَأَتْ
السَّاحَاتُ الْعَامَّةُ بِأَشْجَارِ الْمِيلَادِ الْعِمْلَاقَةِ وَصَارَ
الْمُسْلِمُونَ يَلْتَقِطُونَ صُورًا تَذْكَارِيَّةً عِنْدَهَا... فِي حِينٍ أَنْ رَأَسَ السَّنَةِ الْهَجْرِيَّةِ
لَا يَشْعُرُ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

الطَّوَائِفُ:

مَا أَكْثَرَ الطَّوَائِفَ فِي أَرْضِ الْإِسْلَامِ، وَمَا أَشَدَّ خَطَرَ بَعْضِهَا عَلَى الْإِسْلَامِ
وَأَهْلِهِ وَرَعْمَ كُلِّ ذَلِكَ فَالْحَدِيثُ عَنْهَا تَحْتَهُ أَلْفُ خَطِّ أَحْمَرَ.

وَنَتِيجَةً لِهَذَا الْخَطَرِ الدَّائِمِ بَاتَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ لَا يَعْلَمُونَ عَنْ تِلْكَ
الطَّوَائِفِ مِنْ حَيْثُ أَفْكَارُهَا وَخُطُورُهَا أَيُّ شَيْءٍ.

وَعِنْدَمَا كُنْتُ طَالِبًا فِي جَامِعَةِ دِمَشْقَ رَأَيْتُ بَعْضِي نَتَائِجَ هَذَا التَّجْهِيلِ
فَصُرْتُ تَرَى مُسْلِمَةً وَيَدُهَا فِي يَدِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تُصْبِحُ زَوْجًا لَهُ فَهِيَ لَا تَعْلَمُ
شَيْئًا عَنْ دِينِهَا حَتَّى تَعْرِفَ شَيْئًا عَنْ دِينِهِ هُوَ!

وَمِنْ طَرِيفٍ مَا جَرَى مَعِي أَنَّ تَعْمِيمًا جَاءَنَا يُطَلَّبُ إِلَيْنَا مِنْ خِلَالِهِ أَنْ
نُهَاجِمَ الْقَنَوَاتِ الْمُغْرِضَةَ! هَكَذَا! فَمَا كَانَ مِنِّي إِلَّا أَنْ هَاجَمْتُ جَمِيعَ الْقَنَوَاتِ
الطَّائِفِيَّةِ الَّتِي تَنْتَقِصُ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَتَنْقُضُ عُرَى الْإِسْلَامِ بِحُجَّةٍ
نُصَرَّتْهَا لِأَهْلِ الْبَيْتِ؟

فَعَضِبَ مَنْ غَضِبَ وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَفْعَلُوا شَيْئاً وَانْقَلَبَ السِّحْرُ عَلَى السَّاحِرِ
فَقَدْ كَانَ مُرَادُهُمْ أَنْ تُهَاجِمَ الْقَنَوَاتِ الَّتِي تُدَافِعُ عَنِ الصَّحَابَةِ وَتَفْضَحُ مِنْ
يَنْتَقِصُ مِنْهُمْ.

وَرَحِمَ اللَّهُ الْبُوصِيرِي إِذْ يَقُولُ:



إِنَّ قَوْماً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
إِنِّي فِي حُبِّهِمْ لَا أَحَابِي
تَبَارَأْنَا مِنَ النَّصَبِ وَالرَّفْـ
صَلَوَاتُ اللَّهِ تُتْرَى عَلَيْهِ
مَا لَنَا نَلْقَى عَلَيْهِمْ غَضَاباً
أَحْداً قَطُّ وَمَنْ ذَا يُحَابِي
ضٍ وَأَوْجَبْنَا لِكُلِّ جَنَابَا
وَعَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ عَذَابَا

السِّيَاسَةُ:

وَالْحَدِيثُ عَنْهَا مِنَ الْخُطُوطِ الْحَمَرَاءِ جِدًّا عَلَى أَنَّهُ لَا مَانِعَ أَنْ تَكُونَ
الْخُطْبَةُ تَمْجِيداً لِلزَّرْعِيمِ وَتَضَخِيماً لِبُطُولَاتِهِ إِنْ كَانَتْ، أَوْ ادِّعَاؤُهَا إِنْ لَمْ تَكُنْ
... وَأَمَّا انتِقَادُ سِيَاسَتِهِ أَوْ سِيَاسَةِ حُكُومَتِهِ ... فَهَذَا مِنَ الْخُطُوطِ الْحَمَرَاءِ جِدًّا.

خَطَبْتُ ذَاتَ مَرَّةٍ خُطْبَةً فَفُهِمَ مِنِّي أَنِّي أَغْمَزُ فِي رَنَيسِ الْبِلَادِ فَاسْتُدْعَيْتُ
لِلتَّحْقِيقِ حَتَّى إِنِّي خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، وَكُلُّ هَذَا تَلْمِيحٌ فَكَيْفَ لَوْ كَانَ هُنَاكَ
تَصْرِيحٌ؟

الْمَرَأَةُ:

فِي عَصْرِ النِّسْوَانِ يُصْبِحُ الْحَدِيثُ عَنِ النِّسْوَانِ مِنَ الْخُطُوطِ الْحَمَرَاءِ
وَحَسْبِي هَذِهِ الْكَلِمَاتُ.

وَأَخِيرًا:

إِذَا كَانَتْ تِلْكَ - وَغَيْرُهَا - مِنَ الْخُطُوطِ الْحَمَرَاءِ فِي وَجْهِ الْخَطِيبِ
فَعَمَّاذَا يَتَحَدَّثُ؟ وَكَيْفَ يُعَرِّفُ عِبَادَ اللَّهِ بِدِينِ اللَّهِ؟

فهرس الموضوعات

٩	مُقدِّمةُ هذا الكتاب
١٥	التَّقديم
١٧	الخطابة
١٨	١- الخطابة
١٨	تعريفها - أركانها
١٨	ما هي الخطابة؟
١٩	أركان الخطابة
١٩	الرُّكنُ الأوَّلُ من أركان العملية الخطابية (الخطيب)
١٩	١- الخطيبُ عند أهل اللغة:
٢٠	٢- الخطيبُ اصطلاحاً:
٢٠	الرُّكنُ الثاني من أركان العملية الخطابية (الخطبة):
٢٠	١- الخطبةُ عند أهل اللغة:
٢١	٢- الخطبةُ اصطلاحاً:
٢٢	الرُّكنُ الثالثُ من أركان العملية الخطابية (الجمهور):
٢٢	١- الجمهورُ عند أهل اللغة
٢٢	٢- الجمهورُ اصطلاحاً:
٢٣	٢- الخطابةُ والفنونُ الدَّعويَّةُ الأخرى
٢٥	الفنونُ الدَّعويَّةُ الأخرى:
٢٥	التَّدریسُ من الفنونِ الدَّعويَّة:
٢٦	الوعظُ والإرشادُ منَ الفنونِ الدَّعويَّة:
٢٧	التَّأليفُ والتَّحقيقُ منَ الفنونِ الدَّعويَّة:
٢٨	الدَّعوةُ إلى الله بالحال:
٣١	الخطيبُ
٣٣	١- مَنْ هو الخطيبُ؟
٣٧	٢- فتیان المنابر
٣٩	٣- المُعَمِّرون
٤١	٤- مِراثُ المنابر

٤٥	٥-الخطيب والقرآن العظيم.....
٤٥	القرآن ومنبر الرسول صلى الله عليه وسلم:
٤٦	القرآن وثقافته الدعاة إلى الله:
٤٦	زاد الخطيب من القرآن العظيم:
٤٨	٢-الاستكثار من محفوظاتهم منه -مع إتقان ذلك المحفوظ -
٤٩	قرآن المنابر والمحافل:
٥١	تخریف على المنابر والمحافل:
٥٩	موقف مستغرب من بعض الخطباء!
٦٢	القرآن على منابرنا اليوم!
٦٣	٦-الخطيب وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
٦٤	زاد الخطيب من أحاديث الحبيب ﷺ:
٧٠	نماذج مُحزنة!
٧٣	•الأحاديث الموضوعة تغزو منابرنا و محافلنا!
٧٤	•واجب الخطيب - والدعاة عموماً - تجاه هذه الظاهرة الخطيرة:
٧٩	٧-الخطيب والسيرة النبوية
٨٢	٨-الخطيب والتاريخ
٨٢	الأحداث والشخصيات
٩٦	٩- الخطيب والقصص القرآني والنبوي
٩٦	الأحداث والشخصيات
٩٦	١-القصص القرآني:
١٠٢	٢-القصص النبوي:
١٠٥	١٠-الخطيب والحكايا
١٠٨	١١-الخطيب والصحابة رضي الله عنهم
١١٥	١٢-الخطيب والفقه
١٢١	١٣-الخطيب والطوائف
١٢٢	نماذج:
١٢٣	١٤-الخطيب وأهل الكتاب
١٢٣	ود كثير من أهل الكتاب:
١٢٣	ما كان وما ينبغي أن يكون:
١٢٥	علموا وجهلنا:
١٢٥	كتب ذات شأن:
١٢٦	تخريب لا تقريب:

١٢٧	١٥- الخطيبُ والعربيَّةُ
١٢٧	نحوها وصرْفُها
١٢٧	سَوَطُ عمرَ بنِ الخطَّابِ:
١٢٨	تَشَدُّدٌ ولكن في مَحَلِّه:
١٢٨	فَنُ النُّحو:
١٣٠	فَنُ الصَّرْفِ:
١٣٠	جَوْلَةٌ مع المَصَادِرِ والمَراجِع:
١٣١	تَجَرُّبَةٌ لو تَتَكَرَّر:
١٣٢	١٦- الحَطيِّبُ والبَلَاغَةُ
١٣٢	بَلَاغَةُ الحَطيِّبِ والأقوالِ البَلِغَةِ
١٣٣	فَنُ البَلَاغَةِ:
١٣٤	الأقوالِ البَلِغَةِ:
١٣٤	مَنابعُ الأدبِ:
١٣٥	أُمُّ نُوصِي ابْنَتِهَا العُرُوس:
١٣٦	١٧- الحَطيِّبُ والشَّعْر
١٣٦	ما هُوَ الشَّعْرُ؟
١٣٧	إيضاحٌ لا دِفاع:
١٣٨	رَأْدُ الحَطيِّبِ مِنَ الشَّعْرِ:
١٣٨	مَنْبَرِي والشَّعْرِ:
١٣٩	السَّيْفُ أَصْدَقُ إنباءٍ مِنَ الكُتُب:
١٤٠	الشَّعْرُ المُعاصِر:
١٤٠	نِزار و نَكْسَةُ ١٩٦٧:
١٤٣	أحمد شوقي يرثي الخلافة عام ١٩٢٤:
١٤٤	عبد الرحيم محمود واستشراف ضياع الأقصى:
١٤٥	أحمد مطر واتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل:
١٤٦	نزار قباني و اتفاقية أوسلو بين السلطة وإسرائيل ١٩٩٣:
١٤٧	أبو ريشة يُناجي الأُمَّة:
١٤٩	١٨- الحَطيِّبُ والعُلُومُ المُعاصرة
١٥١	١٩- عِلْمانِيُونٌ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُون
١٥٢	العِلْمانِيَّة:
١٥٣	حَقِيقَةُ العِلْمانِيَّةِ (اللادِينِيَّة):
١٥٤	ولَكِنْ لا يَشْعُرُون:

- ٢٠- الخَطِيبُ بَيْنَ الوَسَامَةِ وَ الأَنَاقَةِ ١٥٩
- الْوَسَامَةُ وَ الأَنَاقَةُ: ١٥٩
- لَا غِنَى عَنِ الأَنَاقَةِ لِكُلِّ خَطِيبٍ: ١٦٠
- سَحَرُ المَلَابِسِ وَسُرُّهَا: ١٦٠
- حَذَارُ مِنَ السُّمْنَةِ وَ البِدَائَةِ! ١٦٢
- ٢١- هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً ١٦٤
- مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ١٦٤
- مَا هِيَ الفَصَاحَةُ؟ ١٦٤
- الْعُيُوبُ النُّطْقِيَّةُ وَ أثرُهَا عَلَى فَصَاحَةِ الخَطِيبِ: ١٦٥
- مَوْقِفُ الخَطِيبِ تَجَاوُزَ أَرْزَمَةِ الْعُيُوبِ النُّطْقِيَّةِ: ١٦٩
- الْعُيُوبُ النُّطْقِيَّةُ عِنْدَ كِبَارِ السِّنِّ لَا دَوَاءَ لَهَا: ١٧٠
- ٢٢- إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ١٧٣
- الدَّفْعُ وَ التَّدَاوُعُ: ١٧٥
- ٢٣- الثِّقَةُ بِالنَّفْسِ ١٧٦
- الإِخْلَاصُ وَ الثِّقَةُ جَنَاحَا الخَطِيبِ: ١٧٦
- صِنَاعَةُ الثِّقَةِ! ١٧٦
- وَصْفَةُ سِحْرِيَّةٍ لَصِنَاعَةِ الثِّقَةِ: ١٧٦
- تَصَرَّفٌ بِثِقَةٍ: ١٧٧
- تَجْرِبَةُ قَائِدِ جَيْشٍ بَرِيطَانِيٍّ: ١٧٨
- اعْتِرَافَاتٌ لِخُطَبَاءِ عَظَمَاءٍ: ١٧٩
- ٢٤- العِزَّةُ بِالإِثْمِ ١٨١
- عُمُرُ وَ المَرْأَةُ: ١٨١
- مُرَاجَعَةُ الحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي البَاطِلِ: ١٨١
- ٢٥- بَيْنَ خَوْفَيْنِ ١٨٣
- الخَوْفُ مِنَ اللَّهِ وَ الخَوْفُ مِنَ السُّلْطَانِ ١٨٣
- ٢٦- الرِّأْيُ وَ الرِّأْيُ الأَخَرُ ١٨٨
- الخِلَافُ وَ الاختِلَافُ ١٨٨
- الاختِلَافُ: ١٨٨
- الخِلَافُ: ١٨٩
- مَسَلُّكَ مُرِيبٍ: ١٩٠
- ٢٧- سُرْعَةُ البَدِيهَةِ وَ إنْقَادُ المَوْقِفِ ١٩١
- إِنَّهُ أَبُو الحَسَنِ! ١٩١

١٩١	 قصّة أعجب من ذلك:
١٩٢	 مواقف معي:
١٩٢	 رجل يقاطع الخطيب:
١٩٢	 رجل يهتف ويكبر!
١٩٣	 نصيحة غير شكل!
١٩٣	 الخطبة لمن سبق:
١٩٤	 ٢٨- الحيرة بين القول والفعل
١٩٤	 لم تقولون ما لا تفعلون؟
١٩٥	 خطيب في النار!
١٩٥	 وصفة مجربة:
١٩٦	 الناس والخطيب:
١٩٧	 ٢٩- الأجر والأجرة
١٩٩	 الخطبة
٢٠٢	 ما هي الخطبة؟
٢١٠	 ٢- ما تريد أن تقول
٢١٠	 من نصائح خطيب مجرب:
٢١١	 أخطاء وعثرات:
٢١٢	 ٣- تحضير الموضوع
٢١٢	 احذر هذا المسلك:
٢١٢	 ما قبل التحضير!
٢١٣	 التحضير الصحيح:
٢١٤	 لماذا كل هذا الجهد:
٢١٩	 -المقدمة
٢٢٠	 نماذج رائعة :
٢٢٠	 مقدمة خطبة عن الذكر:
٢٢٠	 مقدمة خطبة عن الزواج:
٢٢١	 مقدمة خطبة عن الموت:
٢٢٢	 ٥- أما بعدُ
٢٢٢	 أما بعدُ:
٢٢٢	 حكمها:
٢٢٢	 من تلك الأحاديث:

- ٢٢٣ ٦-كيف تَفْتَتِحُ خُطْبَتَكَ أو كَلِمَتَكَ؟؟؟
- ٢٢٣ من ثقافة الشَّرْق:
- ٢٢٣ من ثقافة الغَرْب:
- ٢٢٣ التَّقَاءُ النَّقَافَات:
- ٢٢٤ صفاتُ الافتتاحية النّاجحة:
- ٢٢٩ ٧-قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ
- ٢٣٤ ٨-كيف تختتمُ خطابك؟
- ٢٣٤ الجزء الأصعب:
- ٢٣٥ كيف أختتمُ خطابي؟
- ٢٣٦ الخاتمة المرحّة:
- ٢٣٦ الاختتام بمقتطفاتٍ شعريّة:
- ٢٣٦ •احذر من هذين:
- ٢٣٨ ٩-الدُّعاء
- ٢٣٨ موقعُ الدُّعاء في خُطبة الجمعة والعِيدين:
- ٢٣٩ الدُّعاء للسُّلطان:
- ٢٤٠ الدُّعاء الرَّاقِي المُرْتَقِي:
- ٢٤١ •إِلَّا بِالاسْمِ الصَّرِيح:
- ٢٤٣ ١٠-البَدَائِلُ
- ٢٤٣ عيدٌ بعيد:
- ٢٤٤ نماذجٌ ممّا خطبتُ:
- ٢٤٤ الرِّنا والزَّواج:
- ٢٤٥ الرِّبا والمُضاربة:
- ٢٤٦ ١١-الماضي والحاضر والمستقبل
- ٢٤٦ أسرى المَاضِي:
- ٢٤٧ المُتفائلون:
- ٢٤٧ خيرُ الأمور أوسَطُها:
- ٢٤٨ ١٢-الحُطباء والأطباء
- ٢٤٨ حِفْظُ الحَيَاةِ أَوَّلًا:
- ٢٤٨ أنتم أطباءُ الأُمَّة:
- ٢٤٩ على أرض الواقع:
- ٢٥١ ١٣-الوحدة والفرقة
- ٢٥٣ ١٤-بين التَّوعية والتَّزكية

٢٥٣	 التَّوَعِيَةُ:
٢٥٣	 التَّرَكِيَةُ:
٢٥٤	 إلقاء الخطبة
٢٥٦	 ١- ما هو الإلقاء؟
٢٥٧	 ٢- قالوا عن الإلقاء
٢٥٨	 ٣- وصعد على الصفا
٢٦٠	 ٤- الخطباء الورقيون
٢٦٣	 ٥- تقوية الذاكرة
٢٦٣	 وصفة مُجَرَّبَةٌ لِتَقْوِيَةِ الذَّاكِرَةِ:
٢٦٦	 كيف نتذكّر التَّوَارِيخَ:
٢٦٧	 ٦- كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ
٢٦٩	 ٧- كُنْ وَاضِحاً
٢٧٤	 ٨- كُنْ مُؤَثِّراً
٢٧٤	 المَهْزَمُونَ لَا يُؤَثِّرُونَ:
٢٧٥	 لَا تُقَلِّدْ غَيْرَكَ:
٢٧٥	 لَا تَتَكَلَّفْ:
٢٧٦	 مِمَّا يُسَاعِدُ عَلَى التَّلَقُّائِيَّةِ:
٢٧٧	 شَدِّدْ عَلَى الْكَلِمَاتِ الْمُهَمَّةِ:
٢٧٨	 تَوَقَّفْ قَبْلَ وَبَعْدَ الْأَفْكَارِ الْمُهَمَّةِ:
٢٧٩	 ٩- العبارة والإشارة
٢٧٩	 ما هي لغةُ الجسدِ؟
٢٨٢	 لغةُ العيون:
٢٨٣	 ١٠- المرونة
٢٨٣	 مفاتيحُ النَّجَاحِ العَشْرَةُ:
٢٨٣	 المرونة:
٢٨٤	 العوارضُ والطَّوَارِئُ:
٢٨٦	 ١١- إثارةُ على المنابر!
٢٨٦	 يوسفُ وامرأةُ العزيز:
٢٨٧	 القضايا الجنسيَّةُ والمنبرُ:
٢٨٨	 ١٢- الاستخفافُ بالخطبةِ هدرٌ لأوقاتِ الأُمَّةِ
٢٨٨	 شابٌّ وَقِحٌّ ولكن!
٢٨٩	 هدرُ أوقاتِ الأُمَّةِ:

الجُمهُورُ	٢٩١
١- هذا جُلُّ ما يريدون!	٢٩٣
احذروا من التَّطْوِيلِ:	٢٩٤
٢- كَيْفَ تُثِيرُ اهْتِمَامَ جُمهُورِكَ؟	٢٩٦
التَّعْلِيقُ عَلَى الْأَحْدَاثِ الْمَحَلِّيَّةِ وَالْعَالَمِيَّةِ:	٢٩٦
أخبرهم بشيءٍ جديدٍ عَنِ الْقَدِيمِ:	٢٩٧
حدِّثْهُمْ عَنْ أَنْفُسِهِمْ:	٢٩٧
المَوَاضِيعُ الْمُثِيرَةُ:	٢٩٩
٣- كُلَّمَا جَاءَ الْخَطِيبُ	٣٠٠
لا تنخدعْ يا أَيُّهَا الْخَطِيبُ!	٣٠٠
٤- أَدَوَاقُ النَّاسِ	٣٠٢
وَلِلنَّاسِ فِيمَا يَعِشْقُونَ مَذَاهِبُ:	٣٠٢
٥- أَعْمَارُ النَّاسِ	٣٠٥
قِصَّةٌ فِيهَا عِبْرَةٌ:	٣٠٥
٦- أَفْهَامُ النَّاسِ	٣٠٧
الْكَرَامَاتُ وَالْمُتَشَابِهَاتُ!	٣٠٨
هل أنا ضدُّ الْمَرْأَةِ؟	٣١٠
مُنَاقَشَةٌ مَعَ الذَّاتِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ:	٣١١
٧- رَبِّ مُسْتَمِعْ أَعْلَمُ مِنْ خَطِيبٍ	٣١٢
اللَّهُ يُعَاتِبُ كَلِيمَهُ مُوسَى:	٣١٢
٨- النَّسَاءُ وَصَلَاةُ الْجُمُعَةِ	٣١٤
في هذا الزَّمنِ الْمُرتَبِكِ:	٣١٥
عقول متخلفة:	٣١٦
٩- الْجُمهُورُ بَيْنَ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ	٣١٧
إِنَّ الْأَبْرَارَ ... إِنَّ الْفُجَّارَ:	٣١٧
لا لِلَّوْنِ الْوَاحِدِ:	٣١٨
١٠- رِسَائِلُ الْجُمهُورِ	٣١٩
اقرأ جُمهُورَكَ:	٣١٩
وغيِّرْ خُطَّتَكَ:	٣٢٠
١١- بَيْنَ الصَّمْتِ وَالرِّضَا	٣٢١
١٢- وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ	٣٢٣
وشاورهم في الأمر:	٣٢٣

٣٢٤	 مجلسُ شُورى المَسجدِ:
٣٢٥	 ١٣- رَغْبَةُ الجُمهور
٣٢٨	 السُّلْطَةُ وَالْمَنْبِرُ
٣٣٠	
٣٣٠	 ١- سُلْطَةُ الْمَنْبِرِ
٣٣٢	 ٢- التَّسَلُّطُ عَلَى الْمَنْبِرِ
٣٣٤	 ٣- مَنْبِرُ السُّلْطَةِ
٣٣٨	 ٤- الرِّقَابَةُ عَلَى الْمَنْبِرِ
٣٣٨	 مَصْرَعُ الْحُرِّيَّةِ:
٣٤٠	 ٥- حَصَانَةُ الْخَطِيبِ!
٣٤٢	 ٦- الْخُطُوطُ الْحَمْرَاءُ
٣٤٢	 الْجِهَادُ:
٣٤٣	 الْعَمَلِيَّاتُ الْإِسْتِشْهَادِيَّةُ:
٣٤٤	 وَغَيْرُنَا يَتَعَامَلُ بِهَا:
٣٤٤	 أَهْلُ الْكِتَابِ:
٣٤٥	 الطَّوَائِفُ: